المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

نواقض وقوادح توحيد الربوبية المعاصرة
(جمعاً ودراسة)

رسالة علمية مقدمة للحصول على درجة العالمية العالية
(الدكتوراه)

إعداد الطالب
أيمن بن محمد الحمدان

إشراف الأستاذ المشارك
د. أحمد بن عبد اللّه الغنيمان

العام الجامعي
١٤٣٥-١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ نبيَّنا محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليماً كثيراً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران، آية: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء آية: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب آية: ٧٠].

أما بعد:

فإن الله تعالى ما خلق الخليقة إلا لتوحيده وعبادته، وتوحيد الله تعالى أعظم حقوقه على خلقه، ولذلك خلقهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه، فبالتوحيد الكامل والدين الخالص، ينال العبد المراتب العُلى في الدنيا والآخرة، وعلى قدر تحقيق التوحيد تكون كفاية الله تعالى لعبده، ونجاته في الآخرة، ولأجل ذلك كانت الدعوة للتوحيد والتحذير من الشرك، مهمة الرسل والأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- قاطبة، ومن هذا المنطلق كان التحذير من الشرك ونواقض التوحيد من الأهمية بمكان، ومن دعائم الدعوة إلى توحيد الله تعالى، فإذا خاف الشرك على نفسه إمام الحنفاء ووالد الأنبياء إبراهيم عليه السلام، فسائر الناس أولى بالخوف منه، ومن يأمن البلاء بعده؟ ولا سيما في حال فترة من العلم، وفشوٍ للجهل، وشيوعٍ للفتن، وغربةٍ للدين وأهله.

فعلماً بعظيم حق الله تعالى على خلقه بتوحيده، ومعرفةً بما يناقضه من ضدّه، وسيراً على سنن أولئك الصفوة الحنفاء، والبررة الأتقياء، أتقدم لأساتذتي الكرام بموضوعي هذا، لَبِنةً من اللبنات، وتكميلاً لما سلف من الدراسات، بعنوان:

نواقض وقوادح توحيد الربوبية المعاصرة
جمعاً ودراسة

والقصد منه: جمع أصول مسائل هذا الباب، والاكتفاء منها بالجوهر واللّباب، فآثرت الكتابة فيه إتماماً لمتطلبات المرحلة العالمية العالية "الدكتوراه".

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

لهذا الموضوع أهميته وأسبابه التي دعتني إلى اختياره، وتتلخص فيما يلي:

١. تنبع أهمية هذا الموضوع، من أهمية التوحيد.
٢. تكميل دراسة نواقض أنواع التوحيد، ببيان نواقض وقوادح توحيد الربوبية المعاصرة التي أضحى لها شيوع لم يعهد من قبل.
٣. أنَّ مسائل هذا الموضوع ما زالت متفرقة في مختلف المصنفات، ومتشعبة بأنواع المؤلفات، فجمعها في مؤلّفٍ مستقلٍّ، يسهم في إضافة جديد للمكتبة الإسلامية -هي في نظري- بحاجة إليها.
٤. خطورة هذا النوع من الشرك -الشرك في توحيد الربوبية- على

عقائد المسلمين، حيث ظهر الشرك في توحيد الربوبية في الأزمان المتأخرة ظهورا بيّناً، بل إن إنكار وجود الله تعالى في هذا الزمن انتشر انتشارا واسعا لافتاً للنظر، ويقنّن بالقوانين العلمية التجريبية، وله مدارسه ومؤلفاته، بل تدرّس في بعض جامعات العالم باسم الفلسفة والجيولوجية والاقتصاد الحديث، ومن ثَمَّ ظهرت النواقض في توحيد الربوبية بألوان مختلفة، وأساليب متنوعة، الأمر الذي يحتّم دراسة هذا الموضوع، دراسةً يتبين منها نواقض وقوادح هذا التوحيد التي ظهرت في العصر الحديث، ليُحذر منها.

٥. حماية جناب التوحيد.

٦. الرغبة في سهولة الإلمام بنواقض وقوادح توحيد الربوبية المعاصرة، ومعرفتها من واقع مؤلف مستقل، أسوةً بالكتب المؤلفة في بيان نواقض التوحيد.

٧. قلّة التأليف فيما يتعلق بتوحيد الربوبية، مقارنةً بتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، فجمع مسائل توحيد الربوبية وبيانها ودراستها، ومن ذلك: بيان نواقضه وقوادحه، ظاهر الأهمية، جدير بالبحث.

الدراسات السابقة.

لم أظفر بدراسة مستوفية تبيّن نواقض وقوادح توحيد الربوبية المعاصرة على وجه الاستقلال، غير أنه قد جاء ذكر شيء من نواقض توحيد الربوبية

بضرب الأمثلة أو ذكر بعض الأنواع، مفرّقاً في بعض الكتب، ولم أرَ كتاباً في جمع ودراسة نواقض وقوادح توحيد الربوبية المعاصرة، هناك بعض الرسائل والكتب التي تناولت شيئا يسيراً من النواقض المتعلقة بتوحيد الربوبية، وذلك من طرفٍ خفي، وهي كالتالي:

١. كتاب: الشرك في القديم والحديث، تأليف/ أبوبكر بن محمد زكريا، رسالة علمية لنيل الدرجة العالمية "الماجستير".

تعرّض المؤلف في كتابه للشرك بأنواعه ووقوعه في الأمم السالفة، وفي الأزمان الحاضرة، وبيّن خطورته وآثاره، ووسائل الحذر منه، وذكر في الباب الرابع: مظاهر الشرك في العصر الحديث، وذكر في الفصل الأول: بيان الشرك الذي يتعلق بالربوبية، وذكر تحته مبحثين، الأول: بيان الشرك في الربوبية بالتعطيل، والثاني: بيان الشرك في الربوبية بالأنداد، وذكر بعضاً من مظاهر الشرك في الربوبية، غير أنه قد أطال النفس في الردود، والتعقّب على أصحاب المقالات، وذكر أقوال العلماء في الردّ عليهم، والتنويع في ذكر الأدلة، فهو إلى الردود وبيان الحق، فيما وقع من بعض مظاهر الشرك في الربوبية، أقرب منه إلى ذكر بعض نواقض التوحيد في الربوبية، فما كتبه في هذا لون، وما أريد الكتابة فيه لون آخر.

٢. رسالة علمية، بقسم العقيدة، بكلية الدعوة وأصول الدين، بالجامعة الإسلامية، بعنوان / جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير توحيد الربوبية، ورد القوادح فيه.

وهذه الرسالة في بيان جهود شيخ الإسلام في تقرير توحيد الربوبية، وذكر دلائله، والرد على المتكلمين والفلاسفة، في مسائل توحيد الربوبية، التي أخطئوا فيها طريق أهل السنة والجماعة، وذكر اثني عشر قادحاً فحسب، وهي كما يلي:

ففي الباب الرابع، من الرسالة ذكر من القوادح: تمثيل المخلوق بالخالق، وتعظيم الأنبياء والصالحين تعظيم ربوبية، والتنجيم والكهانة، والاستسقاء بالأنواء، والطيرة، والغلو في الإطراء، والقول بأن العبد يخلق فعله، وطاعة الأحبار والرهبان.

وفي الباب الخامس، ذكر القوادح التالية: الإلحاد، والقول بقدم العالم، والحلول، والاتحاد.

ثم استعرض ردود شيخ الإسلام على ما تقدم من القوادح التي ذكرها في مصنفاته، وجهوده في بيان طريقة أهل السنة والجماعة، ولا يخفى أن هذا البحث متخصص في بيان جهود شيخ الإسلام بهذا الصدد، وليس فيه استقصاء لنواقض توحيد الربوبية، وإنما فيه ذكرٌ لشيء من نواقض توحيد الربوبية التي جمعها من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومن الجدير بالذكر أن كثيراً من نواقض توحيد الربوبية ظهر في الأزمان المتأخرة، بأساليب مبتكرة، وألوان مختلفة، وذلك من واقع انتشار المذاهب الفكرية والمدارس الفلسفية المعاصرة في البلدان الغربية والشرقية، التي هبّت رياحها على بعض البلدان الإسلامية، فتأثّر بها بعض المسلمين، فظهر كثير من هذه النواقض في شعر الحداثيين، وأفكار اللبراليين، وإلحاد

القوميين والعلمانيين والديمقراطيين والوجوديين وغيرهم، وهذا ما أريد البحث فيه من واقع هذه الخطة، من جمع ودراسة نواقض وقوادح توحيد الربوبية المعاصرة على هيئة قواعد كليّة، يندرج فيها كل ما يدخل في معناها من أفراد النواقض القديمة منها والحديثة، مع دراسة وجه الارتباط بينها، من حيث تفرع اللاحق من السابق، وذلك بمؤلف مستقل، من غير ارتباطٍ بجهود علم من الأعلام، كما هو الحال في تلك الرسالة _جهود شيخ الإسلام في تقرير توحيد الربوبية، ورد القوادح فيه_، فهذه الرسالة مغايرة تماما لما قصدت البحث فيه، من دراسة نواقض وقوادح توحيد الربوبية المعاصرة ، ودراسة امتداد جذورها التي تفرعت عنها.

٣. كتاب: الإيمان، حقيقته، وخوارمه، نواقضه، عند أهل السنة والجماعة، تأليف/ عبد الله بن عبد الحميد الأثري.

وهذا الكتاب تكلّم عن نواقض الإيمان عموماً، من الردة والكفر الأكبر والأصغر، والنفاق العملي والاعتقادي، وذكر شيئا من نواقض توحيد الربوبية بضرب تسعة أمثلة، في أربع صفحات فحسب.

٤. كتاب: الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، تأليف الدكتور محمد بن نعيم ياسين.

جمع شيئاً يسيراً من نواقض توحيد الربوبية، بضرب بعض الأمثلة، في ثلاثة عشر سطراً فحسب.

٥. كتاب: نواقض الإيمان القولية والعملية. تأليف الدكتور عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف.

ذكر في الباب الأول: نواقض الإيمان القولية، الفصل الأول: نواقض الإيمان القولية في التوحيد، المبحث الأول: نواقض الإيمان القولية في توحيد الربوبية، وشرح بعض النواقض القولية، وهي مسألة: قدم العالم، ومسألة: سب الله تعالى والاستهزاء به، وذلك من صفحة: ٩٦ إلى صفحة: ١١٦، فحسب.

٦. كتاب: نواقض الإيمان الاعتقادية، وضوابط التكفير عند السلف. تأليف الدكتور محمد بن عبد الله الوهيبي.

ذكر في الفصل الأول: ما يناقض قول القلب، وذكر في الفقرة السادسة: الشرك في الربوبية، وتكلم عن الشرك في الربوبية عموماً، ومنه: ادّعاء علم الغيب، والشرك في التصرف. وذلك من صفحة: ٨٩ إلى ١١٢، فحسب.

٧. كتاب: نواقض توحيد الأسماء والصفات، تأليف الدكتور ناصر القفاري.

وذكر ما يناقض هذا النوع من التوحيد في النقاط التالية:

- التحريف.
- التعطيل.
- التكييف.

- التمثيل.
- الإلحاد.

وذلك فيما يقارب الثمانين صفحة، فحسب، وهذا الكتاب متعلق على وجه الخصوص بما يناقض توحيد الأسماء والصفات، وبيان منهج أهل السنة والجماعة، ومناقشة المخالفين فقط.

٨. كتاب: نواقض الإسلام، للإمام المجد محمد بن عبد الوهاب، والشروح التي عليه.

وهذا الكتاب كما هو معلوم في بيان نواقض الإسلام على وجه العموم، وجمهوره الأغلب فيما يناقض توحيد العبادة، وفيه شيء يسير من ذكر ما يناقض توحيد الربوبية.

وقد وُجِدَتْ نواقضُ وقوادحُ توحيد الربوبية المعاصرة مبثوثةً في كتب متفرقة، لا يجمعها كتاب مستقلّ، فأحسب أن هذا الموضوع جدير بالبحث والجمع والدراسة، بمؤلف يسهل تناوله.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة:

تمهيد: وفيه: ستة مباحث:

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوحيد في اللغة.

المطلب الثاني: كلمة "ربّ" في اللغة، ومعنى الربوبية.

المطلب الثالث: توحيد الربوبية في الاصطلاح الشرعي.

المبحث الثاني: تقسيم التوحيد.

المبحث الثالث: توحيد الربوبية فِطريٌّ في البشر.

المبحث الرابع: أسباب ظهور نواقض وقوادح توحيد الربوبية في العصر الحديث.

المبحث الخامس: تعريف الناقض والقادح لغة واصطلاحا.

المبحث السادس: العلاقة بين النواقض في أقسام التوحيد.

الباب الأول: إنكار وجود الله تعالى، وفيه تمهيد وسبعة فصول:

تمهيد، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: حقيقة إنكار وجود الله تعالى عند القائلين به في الأمم السالفة.

المسألة الثانية: الفرق بين الإلحاد الماضي والإلحاد المعاصر.

الفصل الأول: إنكار وجود خالق للكون في العصر الحديث، وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

تمهيد: إنكار وجود خالق للكون في العصر الحديث، أسبابه وآثاره.

المبحث الأول: مذهب الطبعيين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الطبعيون في العصر الحديث.

المطلب الثاني: إجراء قوانين الطبيعة على الخالق ﷻ، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: دعوى: بداية الخالق ﷻ ونهايته.

الفرع الثاني: دعوى: دخول الخالق ﷻ في عامل الزمن المخلوق.

الفرع الثالث: دعوى: حاجة الخالق ﷻ لمخلوقاته.

المبحث الثاني: إنكار وجود الله ﷻ عند الفرق الباطنية.

المبحث الثالث: إنكار وجود الله ﷻ في المذاهب الفكرية المعاصرة، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: مذهب الوجوديين.

المطلب الثاني: مذهب الشيوعيين.

المطلب الثالث: مذهب العلمانيين.

المطلب الرابع: مذهب القوميين.

المطلب الخامس: مذهب الحداثيين.

المطلب السادس: مذهب اللبراليين.

المطلب السابع: مذهب العدميين.

المبحث الرابع: وصف الله ﷻ بسلب النقيضين.

المبحث الخامس: الشك أو التشكيك في وجود الله ﷻ.

الفصل الثاني: القول بوحدة الوجود، وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: أصل القول بوحدة الوجود عند النحل والملل قبل الإسلام.

المبحث الأول: وحدة الوجود عند الطوائف المنتسبة للإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وحدة الوجود عند الجهمية.

المطلب الثاني: وحدة الوجود عند الصوفية.

المطلب الثالث: وحدة الوجود عند الفرق الباطنية.

المبحث الثاني: وحدة الوجود عند المدرسة العقلية الحديثة.

المبحث الثالث: وحدة الوجود عند المذاهب الفكرية المعاصرة.

الفصل الثالث: مذهب العبثية، والزعم بأن الوجود عبث، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مذهب الدهريين في القديم والحديث.

المبحث الثاني: مذهب العبثية الوجودية في العصر الحديث.

الفصل الرابع: التعدي على جناب الربوبية بالسخرية والسبّ والاستهزاء، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعدي بالسخرية والاستهزاء لجناب الربوبية.

المبحث الثاني: التعدي بالسبُّ والشتم لجناب الربوبية.

الفصل الخامس: دعوى أن كل موجود مفتقر إلى وجود آخر، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التسلسل في الموجودات، وأثره في الإلحاد المعاصر.

المبحث الرابع: القول بتطوّر المادة والحياة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القول بالتطور أو النشوء الذاتي.

المطلب الثاني: القول بنظرية النشوء والارتقاء.

الفصل الثاني: نسبة الخلق لغير الله ﷻ، وجعل غير الله ﷻ خالقاً، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نسبة الخلق والحياة إلى الطبيعة في المذاهب الفكرية المعاصرة.

المبحث الثاني: نسبة الخلق إلى غير الله ﷻ في المدارس الأدبية المعاصرة.

الفصل الثالث: إمكان التصرف المطلق للإنسان في الكون، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إمكان الخلود في الدنيا.

المبحث الثاني: إمكان التصرف في تسيير الكون، وسير الأفلاك.

المبحث الثالث: إمكان تغيير حركة الزمن.

الفصل الرابع: القول بالمصادفة، وتفسيراتها.

الباب الثالث: الشرك في الربوبية باتخاذ الأنداد، وفيه تمهيد وأربعة فصول:

تمهيد: وقوع الشرك في الربوبية عند الأمم السالفة وظهوره في هذه الأمة، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: دعوى فرعون الربوبية.

المسألة الثانية: شرك الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه.

المسألة الثالثة: ظهور الشرك في الربوبية بالأنداد في هذه الأمة.

الفصل الأول: الشرك في الربوبية باتخاذ الأنداد في الذات، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشرك في الربوبية عند الصوفية.

المبحث الثاني: الشرك في الربوبية عند الفرق الباطنية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك في الربوبية عند النصيرية.

المطلب الثاني: الشرك في الربوبية عند الدروز.

المطلب الثالث: الشرك في الربوبية عند الإسماعيلية.

المطلب الرابع: الشرك في الربوبية عند الرافضة.

المبحث الثالث: الشرك في الربوبية عند الطوائف المنتسبة للإسلام في العصر الحديث، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الشرك في الربوبية عند القاديانية.

المطلب الثاني: الشرك في الربوبية عند البهائية.

المطلب الثالث: الشرك في الربوبية عند البابية.

الفصل الثاني: الشرك في الربوبية باتخاذ الأنداد في الصفات والأفعال، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الشرك في الربوبية بادعاء بعض صفات الخالق ﷻ للمخلوق، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الشرك في الربوبية بادعاء صفة القدرة المختصة بالله ﷻ لبعض الخلق، وفيه فرعان:

الفرع الأول: ادعاء التصرف المطلق في أحوال الآخرة.

الفرع الثاني: ادعاء التصرف المطلق في أحوال الدنيا.

المطلب الثاني: الشرك في الربوبية في صفة الحكم والتشريع، وفيه تمهيد وخمسة فروع:

تمهيد: في الحكم والتحاكم إلى غير شرع الله ﷻ.

الفرع الأول: إعطاء حق التشريع للأحبار والرهبان.

الفرع الثاني: إعطاء حق التشريع للأولياء والمشايخ.

الفرع الثالث: إعطاء حق التشريع للأنظمة والقوانين والدساتير والبرلمانات.

الفرع الرابع: دعوى عدم صلاحية حكم الشريعة الإسلامية في الزمن المعاصر.

الفرع الخامس: إعطاء الفرد حق التشريع لنفسه.

المبحث الثاني: الشرك في الربوبية بادّعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ، فيه ستة مطالب:

المطلب الأول: ادعاء البنوة لله تعالى.

المطلب الثاني: التمثيل والتشبيه فيما يختص بالله ﷻ من صفاته بخلقه.

المطلب الثالث: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند الصوفية.

المطلب الرابع: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند المتكلمين.

المطلب الخامس: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند القاديانية والبهائية والبابية.

منهج البحث.

سلك الباحث في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي في دراسة هذا الموضوع، وذلك من خلال النقاط التالية:

١. جمع المادة العلمية من مظانها، والتأصيل العلمي لها، بالنقل من المصادر الأصلية، وفي حالة التعذر فحينئذ أنقل بالواسطة.
٢. توثيق المادة العلمية، من مصادرها الأصلية، حسب طرائق البحث، بذكر المصدر ورقم الجزء والصفحة، فإذا نقلت النصَّ بحروفه، جعلته بين قوسين، وإذا كان النقل بتصرف، أشرت إلى ذلك في الحاشية، وإذا كان النقل بالمعنى، أشرت إلى ذلك في الحاشية بعبارة: ينظر.
٣. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها، بذكر اسم السورة ورقم الآية، مع كتابتها بالرسم العثماني.
٤. عزو الأحاديث والآثار إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، فإني أكتفي بالعزو إليهما، بدأً بذكر الكتاب ثم الباب، ثم رقم الحديث بين قوسين، وإن كان الحديث في غيرهما، فإني أعزو الحديث بذكر مصادره من كتب السنة المعتمدة، وأنقل قولاً من أقوال أهل العلم في بيان درجته.
٥. ترجمة الأعلام غير المشهورين، ترجمة موجزة.
٦. التعريف الموجز بالفرق والطوائف الأماكن والبلدان.
٧. شرح الكلمات الغربية، والمصطلحات العلمية.

٨. الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.

٩. عمل فهارس للبحث، على النحو الوارد في الخطة.

وبعـــــــد، فإنه لا يسعني في هذا المقام إلا أن أشكر الله العلي القدير، وأحمده حمداً يليق بجلاله وإنعامه على ما منَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث، وأسأل الله المولى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وذخراً بعد المات.

كما أشكر القائمين على هذا الصرح الشامخ -الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية- من تمكيني من المضيّ في هذا الطريق.

كما أسأل الله ﷻ أن يوفق شيخي، وأستاذي الدكتور: أحمد بن عبد الله الغنيمان، على ما بذل من نصحٍ ومشورةٍ وجهدٍ ووقتٍ، حتى استوى هذا البحث على سوقه، وأسأل الله ﷻ أن يرفع درجته في العليين، وأن يكتبه في عباده المقربين، ويجزل له المثوبة في الدنيا والآخرة.

والشكر، والدعاء موصول لفضيلة الأساتذة المناقشين على ما بذلاه من جهد، وتصويب.

وفي الختام فهذا جهد المقل، الذي لا يخلو من التقصير والخطأ، فإن أحسنت فمن الله ﷻ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله ﷻ إنه كان غفاراً.

وبالله حولي واعتصامي وقوتي ** وما لي إلا ســــــتره متــجلّلا

فيا ربّ أنت الله حسبي وعدّتي ** عليك اعتمادي ضارعاً متوكلا

والحمد لله رب االعالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

تـــمـهـــيـــد

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف توحيد الربوبية.

المبحث الثاني: تقسيم التوحيد.

المبحث الثالث: توحيد الربوبية فِطريٌّ في البشر.

المبحث الرابع: أسباب ظهور نواقض وقوادح توحيد الربوبية في العصر الحديث.

المبحث الخامس: تعريف الناقض والقادح لغة واصطلاحا.

المبحث السادس: العلاقة بين النواقض في أقسام التوحيد.

المبحث الأول:

تعريف توحيد الربوبية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التوحيد في اللغة.
المطلب الثاني: كلمة "ربّ" في اللغة، ومعنى الربوبية.
المطلب الثالث: توحيد الربوبية في الاصطلاح الشرعي.

المطلب الأول: التوحيد في اللغة

التوحيد في اللغة هو مصدر: وَحَّدَ يُوحِّدُ توحيداً، وأصل كلمة التوحيد في اللغة ترجع إلى مادة "وَحَدَ".

وهذه المادة لها أصل واحد تدور عليه، وهو الانفراد، إما بالذات، وإما بالصفات، وإما بالأفعال، وهذا يقتضي عدم وجود النظير له، ومن ذلك قول العرب: نسيج وحده.

والواحد، والوحدة أيضاً بمعنى الانفراد[(١)].

قال الجرجاني[(٢)]: «التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد»[(٣)].

وقال أبو القاسم التيمي[(٤)]: «التوحيد على وزن التفعيل، وهو مصدر

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة، ٦/ ٩٠، ولسان العرب، ٣/ ٤٥٠، والصحاح، للجوهري، ٢/ ٥٤٧.

(٢) عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أبو بكر _ توفي عام ٤٧١هـ _ واضع علم البلاغة، ومن أئمة اللغة، من كتبه أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وإعجاز القرآن. ينظر: (فوات الوفيات ٢/ ٣٦٩، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٣٤).

(٣) التعريفات، ص ٩٦.

(٤) إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الاصبهاني _ ولد عام ٤٥٧هـ، وتوفي عام ٥٣٥هـ _ الملقّب بقوام السنّة، من أعلام الحفاظ، كان إماماً في التفسير والحديث واللغة، من مؤلفاته: الحجة في بيان المحجة، ودلائل النبوة. ينظر: (تذكرة الحفاظ ٤/ ١٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٨٠).

وحدته توحيداً...ومعنى وحدته: جعلته منفرداً عما يشاركه، أو يشبهه في ذاته، وصفاته، والتشديد فيه للمبالغة، أي: بالغت في وصفه بذلك»[(١)].

الفرق بين الوصف بالواحد، والأحد:

الوصف بالأحدية وصف مختصٌّ بالله ﷻ لا يَشركه فيه غيره، فلا يُوصف غير الله ﷻ بوصف "أحد".

قال أبو منصور الأزهري[(٢)]: «وأما اسم الله -جل ثناؤه- أحد، فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره، لا يقال: رجل أحد، ولا درهم أحد، كما يقال: رجل وحد، أي: فرد، لأنَّ أحداً صفةٌ من صفات الله التي استأثر بها، فلا يشركه فيها شيء، وليس كقولك: الله واحد، وهذا شيء واحد، لأنه لا يقال شيء أحد...والواحد في صفة الله معناه: أنه لا ثاني له، ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا يوصف به غير الله؛ لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه»[(٣)].

وهذا من المناسبات الشريفة بين الألفاظ والمعاني، فلفظ أحد لا

---

(١) الحجة في بيان المحجة ١/ ٣٠٥.

(٢) محمد بن أحمد بن منصور الأزهري الهروي، ولد عام ٢٨٢هـ، وتوفي عام ٣٧٠هـ، أحد أئمة اللغة والأدب، اشتهر بتبحره في اللغة، له غريب اللغة، وغريب الألفاظ، وتفسير القرآن. ينظر: (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٣١٥، والأعلام، للزركلي ٥/ ٣١١).

(٣) تهذيب اللغة ٥/ ١٢٧.

يوصف به غير الله ﷻ، لأن الله ﷻ واحد لا شريك له، ولهذا يقال: «وحّدت الله، من باب عظّمت الله، وكبرته، أي: علمته عظيماً، وكبيراً، فكذلك وحّدته، أي: علمته واحداً، منزهاً عن المثل في الذات، والصفات»[1].

---

(١) الحجة في بيان المحجة، ١/ ٣٠٦.

المطلب الثاني: كلمة "ربّ" في اللغة، ومعنى الربوبية.

كلمة ربٍّ في اللغة لها ثلاثة أصول ترجع إليها، وهي كما ذكر ابن فارس[(١)]: «الراء، والباء يدل على أصول، فالأول: إصلاح الشيء، والقيام عليه...والأصل الآخر: لزوم الشيء، والإقامة عليه، وهو مناسب للأصل الأول...والأصل الثالث: ضم الشيء للشيء، وهو أيضا مناسب لما قبله»[(٢)].

وقال أبو السعادات ابن الأثير[(٣)]: «الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم» [(٤)].

فرجعت هذه الأصول إلى أصل واحد، وهو إصلاح الشيء، والقيام عليه، وكلمة "الرب" مأخوذة من معنى التربية، وهي «إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام»[(٥)]، وهذا يتضمّن كمال الرعاية، والعناية، والقيام

---

(١) أحمد بن فارس بن زكريا القزويني أبو الحسين _ ولد عام ٣٢٩هـ، وتوفي عام ٣٩٥هـ _ من أئمة اللغة والأدب، من تصانيفه: معجم مقاييس اللغة، واللامات، الصاحبي. ينظر: (وفيات الأعيان١/ ١١٨، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٠٣).

(٢) مقاييس اللغة ٢/ ٣١٣.

(٣) المبارك بن محمد بن محمد الشيباني، أبو السعادات _ ولد عام ٥٤٤هـ وتوفي عام ٦٠٦ هـ _ محدّث لغويٌّ أصولي، من كتبه: النهاية في غريب الحديث والأثر، جامع الأصول في أحاديث الرسول. ينظر:(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ٢/ ٢٧٤، ووفيات الأعيان ٤/ ١٤١).

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١٧٩.

(٥) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ١٨٤.

بالمصالح، وهذا هو حقيقة معنى الربِّ، ولذلك «فالرب: المالك، والخالق، والصاحب، والرب: المصلح للشيء»(١).

قال ابن منظور: «الربُّ، هو الله ﷻ، وهو ربُّ كلِّ شيء، أي: مالكه، له الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو ربُّ الأرباب ، ومالك الملوك والأملاك»(٢).

ومن أجمع التعريفات لكلمة "الرب" انطلاقاً من دلالاتها اللغوية، أنَّ الربَّ هو «السيد الذي لا شِبْه لهُ، ولا مثل في سُؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق، والأمر»(٣)، وهذا لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى.

وكذلك مما قُيل في معنى الرب، ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «الرب هو الذي يربي عبده فيعطيه خلقه ثم يهديه إلى جميع أحواله من العبادة، وغيرها»(٤)، وهذا المعنى مستنبطٌ مما جاء في الآيات الكريمة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [طه: ٤٩ – ٥٠]، فالرب هو «المبلّغ كلَّ ما أبدع حدَّ كماله الذي قدره له»(٥).

ومعاني كلمة "ربٍّ" الرئسية في اللغة، هي كالتالي:

(١) مقاييس اللغة ٢/ ٣١٣.

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس ٢/ ٤٥٩.

(٣) تفسير الطبري ١/ ١٤٢.

(٤) مجموع الفتاوى ١/ ٢٢.

(٥) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٢٠٥.

الأول: المالك، ومنه ما جاء في حديث اللقطة لمّا سُئل النبي ﷺ عن لقطة الإبل، فقال: «ما لك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء، وتأكل الشجر، حتى يلقاها ربها»(١).

الثاني: السيد المطاع، ومنه ما جاء في الحديث لّما سُئل النبي ﷺ عن أشراط الساعة، فقال: «إذا ولدت الأمة ربها»(٢).

الثالث: المصلح للشيء، المدبر له، القائم عليه(٣).

الرابع: المعبود، فلفظ "الرب" يفيد معنى المعبود المستحق للعبادة، والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة: ٢١]، والرب الخالق لهذه المخلوقات هو المستحق للعبادة (٤)، وذلك في الاصطلاح الشرعي، فالرب هو الخالق المالك المدبر المعبود، كما في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الغضب في الموعظة والتعليم، رقم الحديث (٩١)، ومسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، باب معرفة العفاص والوكاء، وحكم ضالة الغنم الإبل، رقم الحديث (١٧٢٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم الحديث (٥٠)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإسلام ما هو؟ وبيان خصاله، رقم الحديث (١٠).

(٣) ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ص ١٨٤، وينظر لسان العرب ١/ ٤٠٠.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٩٤.

ٱسۡتَقَـٰمُواْ ﴾ [فصلت: ٣٠]، أي: معبودنا المستحق للعبادة هو الله ﷻ، ولذلك رُتّب على هذا القول لزوم الاستقامة عليه، لأنه الحق الذي ليس بعده إلا الباطل(١).

وكلمة "الربِّ" معرفةً بالألف واللام لا تطلق إلا على الله ﷻ، و«الرب: هو الله ﷻ، هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك، والأملاك»(٢).

وذلك لأنَّ دخول الألف، واللام على كلمة "ربّ" يدل على العموم، فهو تعالى رب كل شيء، بخلاف ما إذا خُصصت بشيء، كربّ الدار، ونحو ذلك(٣).

والربُّ اسم من أسماء الله ﷻ، ولا يُطلق هذا الاسم إلا على الله ﷻ، «ولا يطلق غير مضاف إلا على الله ﷷ، وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: رب كذا، وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله تعالى، وليس بالكثير، ولم يذكر في غير الشعر»(٤)، ولعّله من التجوّز في الشعر الذي تتسامح فيه العرب، إذ لم يأت ذلك في منثور كلامها، ولا سيما أنه لم يُسمع إلا من شاعر واحد، والشرع حاكم على اللغة، ومخصص لمعانيها، «وقد قالوه في الجاهلية للملك،

(١) ينظر الأصول الثلاثة بشرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين، ص٤٦.

(٢) لسان العرب ١/ ٣٩٩.

(٣) ينظر: تفسير غريب القرآن، لابن قتيبة، ص٩.

(٤) لسان العرب ١/ ٣٩٩.

قال الحارث بن حلزة:

وهو الربُّ والشهيد على يـــــوم الحيارين والبلاء بلاء[١]»[٢].

معنى الربوبية:

الربوبية في أصلها مشتقةٌ من اسم الله ﷻ الربِّ، على ما تقدم من معاني الرب، فالربوبية نسبة إلى الرب، «والربوبية كالربَابَة، وعلم ربوبيٌّ، منسوب إلى الربِّ على غير قياس»[٣].

والربُّ هو المالك، والمربوب هو المملوك، يقال للملوك: «إنه لمربوب بين الربوبة...والعباد مربوبون لله ﷻ، أي: مملوكون، ورببت القوم سستهم، أي: كنت فوقهم...من الربوبية، والعرب تقول: لأن يربّني فلان، أحب إلي من أن يربّني فلان، يعني أن يكون ربّاً فوقي، وسيداً يملكني»[٤].

ويدخل في معنى الربوبية كل الصفات الإلهية التي يربُّ الله ﷻ بها الخلق، من الملك، والتصرف، والتدبير، والقيام بمصالحهم، والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ

---

(١) البيت من معلّقة الحارث بن حلزة اليشكري، ينظر: ديوانه، ص ٧٠.

(٢) الصحاح، للجوهري، ٢/ ١٤٧.

(٣) لسان العرب ١/ ٣٩٩.

(٤) لسان العرب ١/ ٣٩٩.

فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ – ٢٢]، وفي هاتين الآيتين الكريمين عدّد الله ﷻ بعض الصفات التي تقتضيها ربوبيته ﷻ على خلقه، المستلزمة لعبادته، وطاعته، وما يتضمنه اسم "الرب" من معاني الربوبية، من الخلق، والإيجاد، والرزق، والإحياء، والإماتة، والنفع، والضر، والعطاء، والمنع، والأمر، والنهي، وغير ذلك من صفات الربوبية، فالربُّ هو «ذو الربوبية على خلقه أجمعين خلقاً، وملكاً، وتصرفاً، وتدبيراً»[(١)].

وربوبية الله ﷻ على خلقه، لها ثلاثة أصول:

الأول: الخلق.

الثاني: الملك.

الثالث: التدبير.

والملك والتدبير يقتضيان الأمر الكوني، والشرعي، والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقول الله ﷻ: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ [الروم: ٢٥]، فالخلق، والأمر عليهما مدار الربوبية.

والدليل على الخلق قول الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الزمر:

---

(١) فقه الأسماء الحسنى، للدكتور عبد الرزاق البدر، ص ٧٩.

[٦٢].

والدليل على الملك، قول الله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [المائدة: ١٧].

والدليل على التدبر، قول الله ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

والتدبير ينتظم في ثلاثة أشياء:

تسيير نظام الكون، من خلق السموات والأرض، وما فيهما، ومن الأدلة على ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأعراف: ٥٧].

والقدر، ومن أدلته قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

والبعث والنشور، للحساب والجزاء، من أدلة ذلك قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية: ٢٥ – ٢٦][(١)].

ومن شواهد معنى ما تقدم، من معنى الربوبية ما جاء في القرآن الكريم من سؤال فرعون موسى عليه السلام عن ربّه، فأجابه بهذا الجواب الوجيز البليغ

---

(١) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، ص٧، ومعنى الربوبية، وأدلتها، وأحكامها، وإبطال الإلحاد فيها، ص٥.

الذي يلخّص فيه شواهد ربوبية الله ﷻ في مخلوقاته، وهذا من باب الاستدلال بالأثر على المُؤثِّر، قال الله ﷻ: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ [طه: ٤٩ – ٥٠]، والمعنى: «أي: قدر قدراً، وهدى الخلائق إليه»[١]، وذلك يعني أنَّ «ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، من كبر الجسم، وصغره، وتوسطه، وجميع صفاته، ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه الهداية العامة المشاهدة في جميع المخلوقات، فكل مخلوق، تجده يسعى لما خلق له من المنافع، وفي دفع المضار عنه، حتى إن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل، ما يتمكن به على ذلك»[٢].

ونظير ذلك أيضاً قول الله ﷻ في مجادلة فرعون موسى عليه السلام، وسؤاله عن حقيقة ربِّ العالمين: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٣ – ٢٨].

فأجابه موسى عليه السلام من سؤاله عن رب العالمين، بآثار ربوبية الله ﷻ في خلقه، «وكان جواب موسى عليه السلام بياناً لحقيقة رب العالمين بما يصير وصفه بربّ العالمين نصّاً لا يحتمل غير ما أراده من ظاهره، فأتى بشرح اللفظ بما هو

---

(١) تفسير ابن كثير، ٥/ ٢٩٨.

(٢) تفسير السعدي، ص ٥٠٦.

تفصيل لمعناه، إذ قال: رب السموات، والأرض، وما بينهما، فبذكر السموات، والأرض، وبعموم ما بينهما، حصل بيان حقيقة المسئول عنه، بـ "ما" ومرجع هذا البيان إلى أنه تعريف لحقيقة الربِّ بخصائصها، لأنَّ ذلك غاية ما تصل إليه العقول في معرفة الله، أن يُعرف بآثار خلقه»(١).

أنواع الربوبية:

ربوبية الله ﷻ على خلقه نوعان:

ربوبية عامة لكافة الخلق، وشاملة لجميع المخلوقات، وهي تقتضي أن الله ﷻ هو المنفرد بخلقها، ورزقها، وتدبيرها، والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ [يونس: ٣].

وربوبية خاصة بأوليائه، وهي التي تقتضي النصر، والتأييد، والحفظ، والهداية، والتوفيق، كما قال الله ﷻ للنبي محمد ﷺ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]، وهذا من باب إضافة الربوبية الخاصة إلى النبي محمد ﷺ، وهذه الربوبية الخاصة «حقيقتها: تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر»(٢).

---

(١) التحرير والتنوير ١٩/ ١١٧.

(٢) تفسير السعدي، ص ٣٩، ينظر: معنى الربوبية، وأدلتها، وأحكامها، وإبطال الإلحاد فيها، ص٧.

المطلب الثالث: توحيد الربوبية في الاصطلاح الشرعي.

توحيد الربوبية باعتباره اصطلاحاً شرعياً، له مدلوله الخاص، وقد تنوعت عبارات العلماء في بيان ذلك:

فمن ذلك ما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ توحيد الربوبية هو اعتقاد «أن الله رب كل شيء، ومليكه، وخالقه»[(١)].

وكذلك ابن القيم عرّفه بأنَّ الله ﷻ «وحده الرب الخالق الفاطر»[(٢)]، وقد أسهب في موضع أخر من باب التمثيل، وذكر فروع هذا التوحيد، فقال: «فيشهد صاحبه قيومية الرب تعالى فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق، ولا رازق، ولا معطي، ولا مانع، ولا مميت، ولا محيي، ولا مدبر لأمر المملكة ظاهراً، وباطناً غيره، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجري حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك، ولا أكبر إلا أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت بها مشيئته، واقتضتها حكمته فهذا جمع توحيد الربوبية»[(٣)].

وقال ابن أبي العز الحنفي[(٤)] ممثلاً لبعض ما يتضمنه: «توحيد الربوبية،

---

(١) الاستقامة لابن تيمية ١/ ١٧٩.

(٢) بدائع الفوائد ٤/ ١٥٤٢.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٣/ ٤٧١.

(٤) أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي _ ولد عام ٢٣٩هـ، وتوفي عام ٣٢١هـ =

كالإقرار بأنه خالق كل شيء، وأنه ليس للعالم صانعان متكافئان في الصفات والأفعال»[(١)].

وبعض أهل العلم جمع القول في توحيد الربوبية بقوله: «هو إفراد الله ﷻ في أمور ثلاثة، في الخلق، والملك، والتدبير»[(٢)].

وخلاصة الأمر في ذلك أنَّ حقيقة توحيد الربوبية هو إفراد الله ﷻ بأفعال الربوبية، من الخلق، والملك، والتدبير، والإحياء، والإماتة، والنفع والضر، والرزق، وغير ذلك، وهذا الإفراد يقتضي النفي، والإثبات، إثبات هذه الأفعال لله ﷻ، ونفيها عما عداه، نحو: لا خالق إلا الله ﷻ، ولا رازق سواه.

وعلى ذلك دلّت الأدلة من القرآن الكريم، على ما يلي:

قال الله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾[الزمر: ٦٢].

وقال الله ﷻ: ﴿قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨﴾ [المؤمنون: ٨٨].

=

_ فقيهٌ حنفي انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر، وله من المصنفات: شرح معاني الآثار، ومشكل الآثار. ينظر: (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ١/ ٧١، وطبقات الحفاظ، للسيوطي، ص ٣٣٧).

(١) شرح العقيدة الطحاوية ١/ ٢٥.

(٢) شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد ابن عثيمين ١/ ٢١.

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الروم: ٤٠].

والأدلة على ذلك كثيرة، وأكتفي بهذه الأمثلة.

المبحث الثاني:

تقسيم التوحيد.

المبحث الثاني: تقسيم التوحيد.

مما درج عليه أهل السنة والجماعة في عقيدتهم المباركة، أن أقسام التوحيد ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذا باعتبار المتعلِّق.

وباعتبار المتعلَّق قسمان، وهما: توحيد المعرفة والإثبات، ويتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد القصد والطلب، يتضمن توحيد الألوهية، وهذا التقسيم على اختلافه من حيث التسمية، فهو متفق في المعنى، من باب التنوّيع في الألفاظ[1].

وهذه عقيدة مستقاة من نصوص الكتاب والسنة، وقرّرها السلف في مصنفاتهم، قال الشيخ بكر أبو زيد: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف، أشار إليه ابن منده[2][3]، وابن جرير الطبري،[4] وغيرهما،

---

(١) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية ٣/ ٤١٧.

(٢) محمد بن إسحاق بن محمد بن منده، أبو عبد الله الاصبهاني، ولد عام ٣١٠هـ، وتوفي عام ٣٩٥هـ، من أئمة أهل السنة والجماعة، إمام حافظ محدث، له من التصانيف، كتاب الإيمان، وكتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجلّ وصفاته على الاتفاق والتفرد. ينظر: (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٨)

(٣) ينظر: كتاب النوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد، ص ٢٧.

(٤) محمد بن جرير بن يزيد الطبري _ ولد عام٢٢٤هـ، وتوفي عام٣١٠هـ _ المؤرخ المفسر الإمام، كان ذا علمٍ وذكاءٍ، من تصانيفه: جامع البيان في تأويل القرآن، وتاريخ الأمم والملوك. ينظر: (سير أعلام النبلاء ١٤/ ٢٦٧، وتذكرة الحفاظ =

وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وقرره الزبيدي[١]في "تاج العروس"[٢] وشيخنا الشنقيطي[٣] في "أضواء البيان"[٤] وآخرون _رحم الله الجميع_ وهو استقراء تام لنصوص الشرع، وهو مطرد لدى أهل كل فن»[٥].

وثَمَّتَ آيةٌ جامعةٌ لأقسام التوحيد الثلاثة، وهي قول الله ﷻ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]، فجمعت هذه الآية الكريمة على وجازتها أنواعَ التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلوهية، وتوحيد الأسماء والصفات[٦].

=
٢/ ٧١).

(١) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسينى الزبيدى، أبو الفيض، الملقب بمرتضى -ولد عام ١١٤٥هـ، وتوفي عام ١٢٠٥هـ- علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين. ينظر: (الأعلام للزركلي ٧/ ٧٠).

(٢) ينظر: تاج العروس ٩/ ٢٧٦.

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الشنقيطي _ ولد عام ١٣٢٥هـ، وتوفي عام ١٣٩٣هـ _ فقيه مفسر أصولي لغوي، له من المصنفات: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ودفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ينظر: (مقدمة كتاب أضواء البيان، للدكتور خالد السبت، ص ١٩).

(٤) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/ ١٧.

(٥) كتاب التحذير من مختصرات محمد علي الصابوني في التفسير، ص٣٠.

(٦) ينظر: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، ص ٤٧، للشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

وهذا التقسيم للتوحيد بيّنه علماء أهل السنة والجماعة غاية البيان في مصنفاتهم، قال الإمام أبو حنيفة في بيانه لتوحيد الربوبية، والألوهية: «والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل، لأنَّ الأسفل ليس من وصف الربوبية، والألوهية في شيء»[١]، وهذا التقرير يتضمن ذكر أنواع التوحيد الثلاثة، فقوله: «يدعى من أعلى» يتضمن توحيد الأسماء والصفات، كما ذكر نوعي التوحيد الربوبية، والألوهية[٢].

وقال ابن بطة العكبري[٣] في بيان أنواع التوحيد: «أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد آنيَّته[٤]، ليكون بذلك مبايناً لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

الثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع، وأشركوا معه في العبادة غيره.

---

(١) الفقه الأبسط، ص ١٣٥.

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ٢/ ٢١، والقول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، ص ٤٧.

(٣) عبيدالله بن محمد بن محمد بن حمدان، أبو عبد الله العكبري، المعروف بابن بطة _ ولد عام ٣٠٤هـ، وتوفي عام ٣٨٧هـ _ عالم بالحديث، فقيه من كبار الحنابلة، له من المؤلفات: الشرح والابانة على أصول السنة والديانة. ينظر: (سير أعلام النبلاء ١٦/ ٢٦، والأنساب، للسمعاني ١/ ٣٦٨).

(٤) أي: إثبات وجود الرب تعالى.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من العلم، والقدرة، والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه»[١].

وشيخ الإسلام ابن تيمية يزيد هذا التقسيم للتوحيد وضوحاً، فيجعله إلى نوعين:

التوحيد القولي العلمي، ويتضمن توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات.

والتوحيد القصدي العملي، ويتضمن توحيد الألوهية[٢].

وذكر ابن القيم أيضاً أنَّ التوحيد « نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في المطلب والقصد، فالأول هو حقيقة ذات الربِّ تعالى، وأسمائه وصفاته وأفعاله وعلوه فوق سمواته على عرشه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمه، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع جدَّ الإفصاح، كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة تنزيل السجدة، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها، وغير ذلك.

النوع الثاني: مثل ما تضمنته سورة: ﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا

---

(١) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة ٤/ ٦١.

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٢/ ٣٩٤، ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد، ١/ ١٧٣.

ﵟٱلۡكَٰفِرُونَ ﵞ[الكافرون: ١]، وقوله: ﵟقُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﵞ...الآية [آل عمران: ٦٤] ، وأول سورة تنزيل الكتاب، وآخرها، وأول سورة يونس، ووسطها، وآخرها، وأول سورة الأعراف، وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن، فهي متضمنة لنوعي التوحيد»[1].

وبهذا يتبين أنَّ التوحيد أقسام، استنبطها أهل العلم خلفاً عن سلف، من نصوص الأدلة الشرعية، وقد بيّنه أهل العلم في كتبهم.

---

(١) مدارج السالكين، ٣/ ٤١٧.

المبحث الثالث:

توحيد الربوبية فِطريٌّ في البشر.

المبحث الثالث: توحيد الربوبية فِطريٌّ في البشر.

الإقرار بالخالق أمرٌ ضروريٌّ في فِطر بني آدم السليمة التي لم يطرأ عليها الانحراف، وهي من لوازم خلقهم، فطريٌّ في قلوبهم، وتُعتبر هذه القضية من الفِطَر التي خلق الله ﷻ الناس عليها منذ خروجهم إلى هذه الحياة الدنيا.

والإقرار بفطرة وجود الله ﷻ أعظم من الإقرار بسائر الموجودات، ولهذا لم يكثُر في نصوص الكتاب والسنّة الأدلة على إثبات وجود الله ﷻ، إذ هذه الفطرة تُقرُّ بها قلوب البشر جميعاً، ولم يخالف في هذه الفطرة إلا شواذٌّ من البشر، كالذي حاجَّ إبراهيم عليه السلام في ربّه، وفرعون، وحقيقة أمرهم الجحود، والمكابرة لما يُعرف من العقل بداهته، حيث جحدوا بألسنتهم ما استيقنته قلوبهم: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[النمل: ١٤] .

ولهذا لا يُعلم من الناس من أنكر وجود الله ﷻ على وجهٍ يخفى به الدليل، «فإنكاره إنكار لأعظم الأشياء وجوداً، وهو مكابرة، ومجاهرة بالكذب، فلو قدر أن الإنسان، أنكر من الأمور المعلومة ما أنكر، كان إنكاره لرب العالمين أكبر من ذلك»[(١)].

وهذه هي الفطرة التي نوّه الله ﷻ بشأنها في كتابه العزيز: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ

---

(١) تفسير السعدي، ص ٥٠٧.

﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[الروم: ٣٠]، وكذلك قول الله ﷻ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، وذلك مفسّرٌ بحديث أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ أنه قال: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [(١)].

وخصومة الأنبياء، والرسل مع أقوامهم لم تكن في قضية إثبات وجود الله ﷻ، واتصافه بصفات الربوبية، بل في قضية استحقاق الله ﷻ للعبادة، وإفراده بالألوهيّة، والخلوص من إقرارهم بربوبية الله ﷻ على إلزامهم بإخلاص الدين له وحده لا شريك له، «ولذلك يخاطبهم في توحيد الربوبية باستفهام التقرير، فإذا أقروا بربوبيته، احتج بها عليهم على أنه هو المستحق لأن يعبد وحده، ووبخهم منكراً عليهم شركهم به غيره، مع اعترافهم بأنه هو الرب وحده، لأن من اعترف بأنه هو الرب وحده، لزمه الاعتراف بأنه هو المستحق لأن يعبد وحده»[(٢)].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: «أنه من المعروف عند السلف والخلف،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا اسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، رقم (١٣٥٩)، ومسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب الفضائل، رقم (٢٣٦٦).

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/ ١٩.

أن جميع الجن والإنس معترفون بالخالق، مقرّون به...فعلم أن أصل الإقرار بالصانع، والاعتراف به، مستقرٌّ في قلوب جميع الإنس، والجن، وأنه من لوازم خلقهم، ضروري فيهم...وهذا هو الإقرار والشهادة المذكورة في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾[الأعراف: ١٧٢]»[1].

«وهذا النوع من التوحيد لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، فلم يعرف عن أحد من الطوائف أنه قال: إن العالم له خالقان متماثلان في الصفات والأفعال، بل هذا ممتنع لذاته...بل ولا نقل عن أحد من بني آدم إثبات شريك مشارك لله في خلق جميع المخلوقات، ولا مماثل لله في جميع الصفات، بل عامة المشركين بالله يعتقدون أن الشريك مملوك لله، سواء كان ملكاً، أو نبياً، أو كوكباً، أو صنماً، كما كان مشركو العرب يقولون في تلبيتهم: "لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك"[2] »[3]، ولهذا كان المشركون من كلِّ أمّة مقرّين بربوبية الله ﷻ في الجملة، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

---

(١) درء التعارض بين العقل والنقل ٤/ ٣٣٢.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها، رقم (١١٨٥).

(٣) رسالة في أسس العقيدة، ص١٦.

أنَّ قوم ثمود لمّا أرادوا قتل نبيّهم صالح عليه السلام، قالوا فيما حكاه الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾ [النمل: ٤٩]، والشاهد: أنهم تقاسموا بالله سبحانه وتعالى، أي: حلفوا بالله سبحانه وتعالى[١]، فدلّ ذلك القسم على تعظيمهم لله، وهذا منهم إقرار بربوبية الله سبحانه وتعالى، والشواهد من القرآن الكريم على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[لقمان: ٢٥].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر: ٣٨].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٦/ ١٩٩.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الزخرف: ٩].

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ – ٨٩].

قال الشهرستاني(١): «أما تعطيل العالم عن الصانع العالم القادر الحكيم، فلست أراها مقالةً لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة، إلا ما نُقل عن شرذمة قليلة من الدهرية، أنهم قالوا: العالم كان في الأزل أجزاء مبثوثة تتحرك على غير استقامة، واصطكت اتفاقاً فحصل عنها العالم بشكله الذي تراه عليه، ودارت الأكوار، وكرت الأدوار، وحدثت المركبات، ولست أرى صاحب

---

(١) محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني –ولد عام ٤٧٩هـ، وتوفي عام ٥٤٨هـ– من فلاسفة الإسلام. كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة، من كتبه: الملل والنحل، والإرشاد إلى عقائد العباد، ينظر: (سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٨٦، والأعلام ٦/ ٢١٥).

هذه المقالة ممن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، لكنه يحيل سبب وجود العالم على البحث، والاتفاق، احترازاً عن التعليل، ولم يُعرف عن أحدٍ من الأمم أنكر وجود الله، ولم تُعرف هذه مقالة عن أحد، فما عددت هذه المسألة من النظريات التي يقام عليها برهان، فإن الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [إبراهيم: ١٠]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٨٧﴾ [الزخرف: ٨٧]، ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٩﴾ [الزخرف: ٩]، وإن هم غفلوا عن هذه الفطرة في حال السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه في حال الضراء ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [الإسراء: ٦٧]، ولهذا لم يرد التكليف بمعرفة وجود الصانع، وإنما ورد بمعرفة التوحيد، ونفي الشريك»(١).

وما أحسن ما أجاب به شيخ الإسلام ابن تيمية من سأله عن دليلٍ على وجود الله ﷻ، فقال فيما حكاه تلميذه ابن القيم: «وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية -قدس الله روحه- يقول: كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء؟ وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء ** إذا احتاج النهار إلى دليل(٢).

---

(١) نهاية الإقدام في علم الكلام، ص ١٢٣.

(٢) البيت للمتنبي، ينظر: التذكرة السعدية ص٤٣٤.

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول، والفطر من وجود النهار، ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها»[١].

ولما كان توحيد الربوبية فطرياً في البشر كان وقوع الشرك فيه أفحش من غيره، ولذلك فإنَّ الشرك في الربوبية أعظم، ولكن لم يجيء فيه من النصوص مثل ما جاء في الشرك في الألوهية، لأنَّ أكثر الخلق لم ينازعوا فيه[٢].

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى١/ ٣٣، وينظر: مدارج السالكين ١/ ٦٠.

(٢) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ١/ ٣٢.

المبحث الرابع:

أسباب ظهور نواقض وقوادح توحيد الربوبية في العصر الحديث.

المبحث الرابع

أسباب ظهور نواقض وقوادح توحيد الربوبية في العصر الحديث

توحيد الربوبية -كما تقدم في المبحث السابق- فطريٌّ في البشر، لم ينكره أحدٌ إلا على وجه المعاندة، والمكابرة، وهذا التوحيد من أظهر الأمور، وأبينها، وهو من البدهيات الضرورية، والعقليات القطعية، التي لا يُطلب لها الدليل، وكلُّ أحدٍ من البشر في الجملة، عنده شيء من الإيمان بربوبية الله ﷻ على خلقه، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾[يوسف: ١٠٦]، والمعنى: أنهم يؤمنون بالله ﷻ أنه هو الخالق الرازق، ولكن يشركون في ألوهيته[١].

ولكن مع الحضارة المعاصرة، والتقارب بين الثقافات العالمية، وخلطة المسلمين بغيرهم من أصحاب الملل، والنحل، والديانات، ومع تيارات الإلحاد الحديثة التي تعصف بأهل الملل الوضعية، والديانات المحرّفة، التي لم تلبِّ حاجة الفطرة البشرية من التدين الحقّ، وحينئذٍ لجأ أصحابها إلى الإلحاد خروجاً من التناقض الديني الذي لا يجدون له تفسيراً، إلا بالخروج من الدين بالكليّة، إلى إنكار وجود الله ﷻ.

وكذلك مع انفتاح العلم التجريبي القائم على الإلحاد، واغترار الإنسان بمكتسباته، وما توصّل إليه من مكتشفات، فمن هذه الأسباب وغيرها، بلغ الشرك في الربوبية في العصر الحديث مبلغاً لم يُعهد من قبل، ولا

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٦/ ٢٨٦.

ريب أنَّ ذلك له أسبابه، ودواعيه، وقد حاولت جاهداً تلّمسَ هذه الأسباب، وتتبعها ودراستها، ومن هذه الأسباب:

أولاً: الجهل:

وهذا السبب أساسُ كلِّ بليّة، وقد وصف الله ﷻ الإنسان من حيث جبلته وطبيعته أنه جهول، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، «أي في طبع الظلم والجهل، فهو معرّضٌ لهما ما لم يعصمه وازع الدين»(١).

وأعظم الجهل في هذا الباب هو الجهل بالله ﷻ، «وإن الجهل بالله سمٌّ مهلك»(٢)، وما تمرّد الإنسان على الله ﷻ، ولا جحد وجوده، ولا انتقص من حقه، إلا لجهله بالله ﷻ، لو عرف الجاهل بالله ﷻ ربَّهُ بأسمائه، وصفاته، لقدره حق قدره، ولعظّم الله ﷻ حق تعظيمه، واتقاه حق تقاته، قال الله ﷻ: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ [الشورى: ٥]، والمعنى: «تكاد السموات يتفطرن خوفاً من الله، وهيبةً، وإجلالاً»(٣)، ومن عرف الله

---

(١) التحرير والتنوير ٢٢/ ١٣٠، وينظر: تفسير السعدي، ص ٦٧٤.

(٢) العقيدة الاصفهانية، لشيخ الإسلام، ص ١٥١.

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٧/ ٣٩.

ﷻ حق معرفته، صانه ذلك عما لا يليق بالله ﷻ من الأقوال، والأعمال والأفعال.

ومثال ذلك ما ذكره الله ﷻ في حق من أنكر رسالةَ بعض الرسل، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾ [الأنعام: ٩١]، والمعنى أنَّهم «ما عظموا الله حق تعظيمه، إذ كذبوا رسله إليهم»(١).

وكذلك الذين عبدوا معه غيره قال الله ﷻ فيهم: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، «وما قدر المشركون الله حق قدره، حين عبدوا معه غيره، وهو العظيم الذي لا أعظم منه، القادر على كل شيء، المالك لكل شيء، وكل شيء تحت قهره وقدرته»(٢)، فشركهم بالله ﷻ بسبب أنهم ما قدروا الله ﷻ حق قدره، وهذا ناشئ عن جهلهم بالله ﷻ، وكذلك كلُّ من أشرك بالله ﷻ، فهو جاهلٌ بالله العظيم، ومن أعظم ذلك الشرك في ربوبية الله ﷻ.

فالجهل بالله ﷻ وبأسمائه، وصفاته، سبب رئيس لظهور نواقض، وقوادح توحيد الربوبية في هذا الزمن المعاصر -وما أكثر الجهل بالله ﷻ في

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ٣٠٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٧/ ١١٣.

الناس اليوم- وهذا من أعظم الجهل، وأفحشه، ومن ذلك أنَّ الإنسان بطبعه يكذّب بما لم يحط به علماً، ولا يصبر على ما لم يحط به خُبْراً، قال الله ﷻ: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يونس: ٣٩].

فالذين أنكروا وجود الله ﷻ، أو انتقصوه حقَّه في ربوبيته تبارك وتعالى، لم يعرفوه، فلم يقدروه حقَّ قدره.

ثانيا: طبيعة الإنسان الجدلية، وخصومته في ربّه ﷻ:

الإنسان بطبعه كثير الجدل، والخصام، قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾[الكهف: ٥٤]، يبيّن الله ﷻ في هذه الآية الكريمة، أنَّه تعالى قد أوضح، وبيّنَ في هذا القرآن الكريم من كل مَثَلٍ يصلح معه حال الناس، ولكنَّ طبيعةَ الإنسان: الجدل، فهو أكثر المخلوقات جدلاً وخصومةً، والمعنى: أنَّ الإنسان «أكثر شيء مراء وخصومة، لا ينيب لحقّ، ولا ينزجر لموعظة»[1]، وهذا في الإنسان من حيث الأصل، ولكن من وقر الإيمان في قلبه، فإنه لا يخاصم، ولا يجادل فيما لا يسوغ فيه ذلك.

ويقول الله ﷻ: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ

(١) تفسير الطبري ٨/ ٢٤١، وينظر: التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٥١٢.

مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾[يس: ٧٧]، أي: «مخاصم شديد الخصام ظاهرٌ في ذلك»[١]، ومن شدّة خصومة الإنسان في ربّه ﷻ، أنَّه استطال بعقله القاصر إلى ما لا يمكن إدراكه، ولا يصل منه إلى ما ينفعه، ولم يُطلب منه أن يتكلّف علمه، وهو البحث عن كيفيّة الذات الإلهيّة المقدسة، وما يتصل بذلك، حتى قاده ذلك إلى الإلحاد، والشرك بالله ﷻ في ربوبيته، لأنَّ الإنسان إذا لم يدرك الشيء بعقله بادر إلى التخلص منه بالتكذيب.

والإنسان لا يمكن أن يصل إلى تلك الأمور العظام بفكره، وعقله، وهذا النوع من العلم لا يعلمه إلا الله ﷻ، وعقول البشر أضعف، وأعجز من أن تدرك هذه العلوم التي تحار فيها، وذلك «أن الكلام في ذات الله تعالى على جهة التصور، والتفصيل، أو على جهة الإحاطة على حدَّ علم الله، كلاهما باطل، بل من المتشابه الممنوع، الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾[سورة طه:١١٠]، ولقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[سورة الشورى: ١١]، وإنما تتصور المخلوقات وما هو نحوه»[٢].

ومن مداخل الشيطان على الإنسان، أن يأتيه بوساوس، وخواطر تسوق إليه الحيرة، والاضطراب، والتشكيك، والارتياب، ومن أعظم ذلك التفكير في الذات الإلهية المقدسة، ومحاولة التسلّق بالعقل إلى ما يحار فيه، ولا يهتدي

---

(١) التحرير والتنوير ٢٣/ ٧٤.

(٢) إيثار الحقِّ على الخلق، ص ٩١.

إليه سبيلاً.

والاسترسال في ذلك من أسباب الوقوع في ما يناقض، أو يقدح في ربوبية الله ﷻ، وهو ضربٌ من الخصومة في الله ﷻ، لأنه إذا تكلّف بعقله الدخول في هذا الأمر العظيم، لابدَّ أن يقع في شيء من الإلحاد، «فمن ذلك أنه يأتي إلى العامي فيحمله على التفكر في ذات الله ﷻ وصفاته فيتشكّك»(١)، فالدخول بالعقل المجرد، والتفكير في الذات الإلهية بوابة إلى دهاليز الإلحاد، فليس من العقل أن يُطلب علمُ كلِّ شيءٍ بالعقل.

ولأجل هذا الأمر العظيم، ورد النهي عن الجدال، والخصام، والمراء في ذات الله ﷻ؛ لما يفضي إليه من الكفر، والزندقة، ومع الأسف الشديد أنَّ بعض من ينتسب إلى القبلة من الطوائف الزائغة، قد اتخذوا ذلك ديناً، فكثر خصامهم، وجدالهم، ومراؤهم في ربّهم ﷻ، وشغلوا الناس بما عافاهم الله ﷻ منه، وتأمل هذا السؤال الذي سُئله الإمام الشافعي عن علم الكلام ، فألقى على السائل مسألةً في الفقه، فأجاب عنها، فأورد عليه الشافعي شيئاً أفسد جواب السائل، فأجاب بغيره، فأدخل الشافعي ما أفسد به جوابه مرة أخرى، فجعل كلما جاء السائل بجواب أفسده عليه الشافعي؛ ليريه كيف تكون الخصومة، والجدال، وتشقيق الكلام، حتى قال الشافعي: هذا الفقه الذي فيه الكتاب، والسنة، وأقاويل الناس، يدخله مثل هذا! فكيف الكلام في

---

(١) تلبيس إبليس، ص: ٣٧٥.

ربِّ العالمين الذي الجدال فيه كفر؟[(١)].

ثالثاً: الغلو في الأنبياء، والصالحين، والأولياء، ورفع مرتبتهم إلى مرتبة الربوبية، والألوهية.

وهو من أعظم أبواب الشرك في توحيد الربوبية، ووسائله، وكما أنه مما ابتليت به هذه الأمة، سيما في العصور المتأخرة، فالغلو في الصالحين كان هو أوّل سبب أوقع بني آدم في الشرك الأكبر، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ﴾ [نوح: ٢٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك، وتنسّخ العلم عبدت»[(٢)].

والغلو في الصالحين من الأنبياء، والأولياء سبب ظاهر في الوقوع في الشرك في الربوبية من جهة أنَّ الغلوَّ فيهم يقود إلى الاعتقاد فيهم ما هو من خصائص الربوبية التي هي خالص حق الله ﷻ.

---

(١) ينظر: الآداب الشرعية ١/ ٢٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قول الله: ﴿وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾، رقم:(٤٩٢٠)، وينظر: جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية ٢/ ٦٨٧، وكتاب الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة.

رابعاً: الخلل في مفهوم التوحيد:

الخلل في مفهوم التوحيد، ولا سيما توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية مع الخلل في مفهوم الإيمان عند بعض طوائف أهل القبلة، هيأ بدوره الاستهانة بعبادة أهل القبور، وصرف خالص حق الله ﷻ لهم، وهم لم يعبدوهم من دون الله ﷻ حتى أضفوا عليهم شيئاً من خصائص الربوبية، كادّعاء علم الغيب، وقدرتهم على التصرف المطلق في الكون، ونحو ذلك من الشركيات.

فالخلل في مفهوم التوحيد عندهم، أنَّهم جعلوا التوحيد منحصراً في معرفة أن الله ﷻ هو الخالق لهذا الكون المبدع لما فيه، والقادر على الاختراع، وفسّروا معنى "الإله" بأنه هو الخالق، فصادروا بذلك معنى توحيد الألوهية، ولم يعدّوا صرف نوع من أنواع العبادة لغير الله ﷻ شركاً، بالإضافة إلى الخلل في مفهوم الإيمان، حيث جعلوه التصديق القلبي فحسب، وأخرجوا منه الأعمال، ومن ثَمَّ لم يروا أن الشرك في توحيد الله ﷻ في ألوهيته مخرج من الإيمان، لخروج العمل عن مسمى الإيمان، وهذا الخلل في مفهوم التوحيد والإيمان، فتح الباب على الشرك بربوبية الله ﷻ، لأنه لم يمكن أن تصُرف عبادة لمخلوق إلا باعتقاد أنَّ له شيئاً من خصائص الربوبية[1].

---

(١) ينظر: حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، ص ٤٩٩.

خامساً: التأثر بالملل، والنحل، والديانات، والفلسفات القديمة:

التأثر بالديانات، والملل، والنحل في ظهور الشرك في الربوبية في هذه الأمة ظاهر، من عدّة أوجه: من جهة ادّعاء النصارى الربوبية لغير الله ﷻ، إذ ادّعوا لعيسى عليه السلام صفات الربوبية، وكذلك من هذه الأمة من ادّعى ذلك في النبي محمد ﷺ، وعبده من دون الله ﷻ وجعل له ﷺ صفات الربوبية[1].

وكذلك من جهة أثر الديانات، والملل في بعض الطوائف المنتسبة إلى الإسلام كالصوفية وهي طائفة فيها كثير من مظاهر الشرك بالربوبية، فإن بعض الباحثين ذكر أن التصوف استمدّ أفكاره، وأصوله من أفكار مختلطة من أصحاب الديانات، والملل، والفلسفات، وهي: اليهودية، والنصرانية، والمانوية[2]، والمجوسية[3]، والمزدكية[4]،

(١) ينظر: البريلوية عقائد وتاريخ، ص٥٧.

(٢) المانوية أصحاب مذهب ماني بن فاتك الحكيم، وقد أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وكان يقول: بنبوة المسيح عليه السلام، وقد زعم أن العالم مركب من أصلين قديمين: النور، والظلمة، ويقول بتناسخ الأرواح. ينظر: الفرق بين الفرق، ص٢٠٢، والملل والنحل ١/ ٢٤٣.

(٣) المجوس هم القائلون: بإثبات أصلين: النور، والظلمة، والنور أزلي، والظلمة محدثة، ولهذا يعظمون النور ويعبدونه، ولهم شبهة كتاب، وهم فرق شتى: منها الزرادشتية، والمزدكية، والخرمية. ينظر: الملل والنحل ١/ ٢٤٨.

(٤) المزدكية هم أصحاب مزدك المجوسي، وقد دعا إلى إباحة النساء، والأموال، وجعل الناس شركاء فيها، وهم من الفرق المجوسية. ينظر: الملل والنحل ١/ ٢٣٢.

والهندوسية[١]، والبوذية[٢]، والفلسفة اليونانية[٣] [٤].

وهذه نماذج يسيرة من هذا التأثر بالملل، والديانات، والفلسفات القديمة، وأثره في ظهور الشرك في توحيد الربوبية.

وهناك أسباب أخرى قد تكون مخصوصة بفئة معيّنة، أو بزمن دون غيره، ولكن أردت ذكر أهم الأسباب.

---

(١) الهندوسية إحدى أكبر وأقدم ديانات الهند، وهي ديانة مختلفة العقائد، قد تفرّعت إلى فرق كثيرة، وقد عبدوا كل شيء من مظاهر الطبيعة، لاعتقادهم حلول الآلهة فيها. ينظر: فصول في أديان الهند، ص٥٢١.

(٢) البوذية ديانة خرجت من الديانة الهندوسية، أسسها بوذا، وهي أقرب إلى الفلسفة في الحياة منها إلى الدين، ينظر: فصول في أديان الهند، ص٦٣٩.

(٣) الفلسفة اليونانية، تعتني بالحكمة، والبحث بالعقل المجرد عن ما وراء الطبيعة، وهي فلسفة الغرب منذ استولى الرومان على بلاد اليونان، في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد. ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٤.

(٤) ينظر: هذه هي الصوفية، ص١٦، والتصوف المنشأ والمصادر، ص٤٩.

المبحث الخامس:

تعريف الناقض والقادح لغة واصطلاحا.

المبحث الخامس: تعريف الناقض والقادح لغة واصطلاحا.

معنى الناقض:

الناقض مأخوذ من مادّة: نَقَضَ، و«النون والقاف والضاد، أصل صحيح يدلُّ على نكث شيء»(١).

والنقض هو الإفساد بعد الإحكام، وإفساد المبرم من عقد، أو بناء، والناقض اسم فاعل من نقض الشيء، إذا حلّه وهدمه(٢).

وقد جاء في القرآن الكريم هذا المعنى في قول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ﴾ [النحل: ٩٢]، وقول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الرعد: ٢٠]، وقول الله ﷻ: ﴿ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾ [النحل: ٩١].

«ونَقَضَ الشيء نقضاً، أفسده بعد إحكامه، يقال: نقض البناء هدمه، ونقض الحبل، أو الغزل حلَّ طاقاته»(٣).

ويقال: كلام متناقض، أي: يبطل بعضه بعضاً(٤).

ونقضت الحبل نقضاً حللت برمه، ومنه ما يقال: نقضت ما أبرمه إذا أبطلته، وانتقض هو بنفسه، وانتقضت الطهارة بطلت، وانتقض الجرح بعد

---

(١) مقاييس اللغة ٥/ ٣٧٨.

(٢) ينظر: تاج العروس ١٩/ ٨٨، والمعجم الوسيط ٢/ ٩٤٦، والتعريفات، ص١٧٠.

(٣) المعجم الوسيط ٢/ ٩٤٧.

(٤) المصباح المنير، ص٣٢٠.

برئه، والأمر بعد التئامه فسد، وتناقض الكلامان تدافعا، كأنَّ كل واحد نقض الآخر، وفي كلامه تناقض إذا كان بعضه يقتضي إبطال بعض.

فمعنى النواقض في الاصطلاح: أنها اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال ترفع التوحيد، وتزيله، وتخرج صاحبها من الملّة(١)، فهي إذاً من مبطلات التوحيد، والمكفرات التي يكفر بها صاحبها.

وقد اهتمَّ الفقهاء بهذه النواقض على اختلافها، وتنوعها، في كتب الفقه، وعقدوا لهذه النواقض باباً مستقلاً في كتاب الحدود، سمّوه: باب حكم المرتد، أو باب الردة، وبعضهم جعله في كتاب مستقل(٢)، وذلك لمسيس الحاجة إلى معرفة هذه النواقض، كيف وقد خرجت في هذا العصر بألوان مختلفة؟.

معنى القادح.

أصل لفظة "القدح" اللغوية: النقصان، وتسمّى الدودة التي تأكل الشجر القادحة، لأنها تنقصه، ويقال للآكلة: القادحة، كما يقال القدح: لتآكل بعض الأسنان، وجمع القادح: القوادح.

وكذلك تأتي بمعنى العيب، ومنه قولهم: قدح في نسبه، إذا طعن فيه،

---

(١) ينظر: نواقض الإيمان القولية والعملية، ص٤٩.

(٢) ينظر على سبيل المثال: زاد المستقنع في اختصار المقنع، ص٣٨٤ ،ومنهاج الطالبين وعمدة المفتين، ص٥٠١.

وقدح في شهادته، إذا ذُكر فيها ما يُوجِب الردّ

والقادح: الصدع في العود، والسواد الذي يظهر في الأسنان [١].

«وقدح فلان في فلان قدحاً، من باب نفع: عابه، وتنقصه، ومنه قدح في نسبه وعدالته إذا عابه، وذكر ما يؤثر في انقطاع النسب، ورد الشهادة»[٢].

فالقادح هو من جهة أصله اللغوي: النقصان، وما يؤثّر في الشيء عيباً، وضَعَةً، وانتقاصاً، وقد استعمله جمهور أهل العلم في كثير من المسائل العلمية، ولا سيما في علم أصول الفقه، في قوادح العلة، وقوادح العلة هي التي تطعن في صحة العلة[٣].

واستعير هذا المعنى فيما يُنقص التوحيد الواجب، إما من جهة كونه وسيلةً إلى الشرك، أو ما ورد في النصوص كونه شركاً، ولا يبلغ حدَّ الشرك الأكبر المخرج من الملّة، أو يقدح في كماله المستحب الذي لا يبقى معه التوحيد الكامل.

فالناقض هو من قبيل الشرك الأكبر، والقادح من قبيل الشرك الأصغر، أو ما يُنقص من كمال التوحيد الواجب، فمثلاً: الشكُّ في وجود الله ﷻ ناقض من نواقض توحيد الربوبية، والتسوية بين الله ﷻ، وبين أحد من خلقه بحرف العطف "الواو" يتجاذبه الناقض والقادح، وذلك نحو قول: ما

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة ٥/ ٥٥، وتاج العروس ٧/ ٤٠، ولسان العرب ٢/ ٤٥٥، والمحيط في اللغة ٢/ ٣٣٩، والمعجم الوسيط، ص٧١٧.

(٢) المصباح المنير، ص٢٥٤.

(٣) ينظر: شرح الكوكب المنير ٤/ ٢٢٩.

شاء الله ﷻ وشئت، فإن كان القائل مسوّياً مشيئة الله ﷻ بمشيئة المخلوق، أو اعتقد أن المخلوق أعظم من الخالق، أو أنه مساوٍ له، كان ناقضاً من نواقض توحيد الربوبية، وإن اعتقد غير ذلك من باب المشاركة اللفظية، كان قادحاً من قبيل الشرك في الألفاظ، وهو شرك أصغر.

وبهذا يظهر الفرق بين الناقض الذي يبطل أصل التوحيد، وبين القادح الذي يُنقص كماله الواجب، فلا يكون صاحبه آتياً بالتوحيد الواجب، أو يُنقص كماله المستحب.

وهذا جارٍ في كل مسائل هذا البحث، من إبراز النواقض، والقوادح في توحيد الربوبية المعاصرة.

المبحث السادس:

العلاقة بين النواقض في أقسام التوحيد.

المبحث السادس: العلاقة بين النواقض في أقسام التوحيد.

العلاقة بين أقسام التوحيد:

أقسام التوحيد الثلاثة بينها علاقة تلازميةٌ تضمّنيّةٌ شموليّةٌ، يجمعها توحيد الله ﷻ بما يختصُّ به من أفعاله، وأسمائه، وصفاته، وما يجب من إخلاص الدين له تعالى.

فتوحيدا الربوبية، والأسماء والصفات، يستلزمان توحيد الألوهية، ولذلك ورد في القرآن الكريم الاحتجاج على مشركي العرب الذين أشركوا في عبادة الله ﷻ، بما أقرّوا به من ربوبية الله ﷻ، لأن من أقرَّ بأنَّ الله ﷻ ربُّ كلِّ شيءٍ، ومليكه، وخالقه، وجب عليه أن يصرف له العبادة، ويخلص له الدين، وإلا كان متناقضاً، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ توحيد الألوهية «مستلزم لتوحيد الربوبية، وهو أن يعبد الحقَّ ربَّ كلِّ شيء، فأما مجرد توحيد الربوبية، وهو شهود ربوبية الحقِّ لكلِّ شيء، فهذا التوحيد كان في المشركين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[يوسف:١٠٦]، وكذلك إن أراد اعترافه بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وشهوده لفقره، وعبوديته، وفقر سائر الكائنات، وأنَّ الله هو ربُّ كلِّ شيء، وعالمٌ بكل شيء، ومليكه، لا يخلق، ولا يرزق إلا هو، ولا يعطى، ولا يمنع إلا هو، لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾[فاطر:٢] ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ

﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ٣٨﴾ [الزمر:٣٨]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ١٥﴾[فاطر: ١٥]»[1].

وكذلك توحيد الألوهية يتضمن توحيدي الربوبية والأسماء والصفات، لأنَّ من عَبَدَ الله ﷻ، وخضع له محبةً، وتعظيماً، فقد تضمّن ذلك إقراره بربوبية الله ﷻ على خلقه، ومن دعا الله ﷻ دعاء مسألة فقد أقرَّ أنَّ الله ﷻ يسمع كلامه، ويرى مقامه، ولا يخفى عليه تعالى شيء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الإلهية، وذلك متضمّنٌ لتوحيد الربوبية، كما قال كلٌّ منهم لقومه: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]،وقال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ٤٥﴾[الزخرف: ٤٥]، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ٢٥﴾[الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٣٦﴾[النحل:

---

(١) الاستقامة ٢/ ٣١.

٣٦]»[1].

وعلى ما تقدم فالعلاقة بين أقسام التوحيد هي علاقة تلازم، وتضمن، وشمول، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فمَنْ أقرَّ بربوبية الله ﷻ في خلقه، وملكه، وتدبيره لزمه أن يُفرد الله ﷻ بالعبودية، إذ كيف يؤمن بربٍّ ويعبد غيره؟ ولهذا جرى أسلوب القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية مقرونةً بآيات تأمر بعبادة الله ﷻ وحده.

وتوحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية فمن عبد الله وحده، أفرده عمن سواه، فلابد أنَّ يكون مقرّاً بأنه هو الربُّ المتفرد بالخلق، والملك، والتدبير.

وتوحيد الأسماء والصفات يشملهما جميعًا إذ أنه يفرد الله ﷻ بما لهُ مِن أسماء وصفات تقتضي الربوبية، وأسماء وصفات تقتضي الألوهية.

ومن ذلك يتبيّن أن أقسام التوحيد الثلاثة تمثّل الركن الأول من أركان الإيمان الستة، وهو الإيمان بالله ﷻ، فلا يكمل التوحيد إلا باجتماع هذه الأقسام الثلاثة من التوحيد، ومن وقع في ناقض منها انتقض عليه توحيده، فلا يصحُّ توحيد الربوبية بدون توحيد الألوهية، وكذلك لا يصحُّ توحيد الألوهية بدون توحيد الربوبية، وكذلك توحيد الله ﷻ في ربوبيته، وألوهيته لا يستقيمان بدون توحيد الله ﷻ في أسمائه وصفاته، فالخلل والانحراف في أيِّ

---

(١) درء التعارض ٥/ ١٥٦.

نوع من أنواع التوحيد، هو في حقيقته خللٌ في التوحيد كلّه[١].

العلاقة بين نواقض أقسام التوحيد:

ومن هذا العرض يظهر أنَّ النواقض في أيِّ قسمٍ من أقسام التوحيد، ناقض له بالكليّة.

فالناقض لتوحيد الألوهية، هو كذلك ناقضٌ لتوحيد الربوبية، والناقض لتوحيد الربوبية، هو أيضاً ناقض لتوحيد الألوهية، ومثال ذلك: من أنكر وجود الله ﷻ، فقد أنكر استحقاق الله ﷻ بالعبادة كليّاً.

وكذلك الناقض لتوحيد الربوبية ناقض لتوحيد الأسماء والصفات، ومثال ذلك: من أنكر خلق العالم، واعتقد أنه أزليّ، فقد أنكر اسم الله ﷻ الخالق، وصفة الخلق له تعالى.

وكذلك الناقض لتوحيد الألوهية ناقض لتوحيد الربوبية، ومثال ذلك: من صرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله ﷻ، كالدعاء، والاستغاثة، والنذر، فقد زعم شيئاً من أفعال الربوبية لغير الله ﷻ، من إجابة الدعاء، والنفع، والضرّ، وهذا ناقض لتوحيد الربوبية من هذه الجهة، كما يتضمن وصف المخلوق بما هو من خصائص صفات الله ﷻ، كالمجيب، والسميع، والقريب، ونحو ذلك، وهذا من الشرك في توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) ينظر: الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ص ٤٢١-٤٢٢، ومعتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، ص ٤٧.

وأيضاً الناقض لتوحيد الأسماء والصفات، ناقض لتوحيد الربوبية، والألوهية، ومثال ذلك: من أنكر شيئاً من صفات الله ﷻ، وأسمائه، فقد أنكر ما يقتضيه ذلك الاسم، أو الصفة، وما يترتّب عليه من الربوبية، والألوهية، وذلك لأنَّ «من عبد الله وحده ولم يشرك به شيئاً في عبادته، ولكنه اعتقد مع ذلك أنِّ لغيره تأثيراً في شيء، أو قدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله، أو أنه يملك ضرَّ العباد، أو نفعهم ونحو ذلك، فهذا لا تصح عبادته، فإن أساسها الإيمان بالله ربّاً له شؤون الربوبية كلها، وكذلك من وحّد الله في ربوبيته، وإلهيته، ولكنه ألحد في أسمائه، فلم يثبت له ما دلّت عليه تلك الأسماء من صفات الكمال، أو أثبت لغيره مثل صفته، لم ينفعه توحيده في الربوبية، والإلهية، فلا يكمل لأحد توحيده إلا باجتماع أنواع التوحيد الثلاثة»[1].

فظهر بما تقدم التلازم بين نواقض التوحيد الثلاثة، فكل ناقض قد يتجاذبه أنواع التوحيد الثلاثة، وإن كان ببعضها ألصق، وأظهر.

ولكن من باب التقسيم العلمي أُفرد لكل نوع من أنواع التوحيد الثلاثة نواقضه المتعلقة به مباشرة، فهناك نواقض توحيد الألوهية، ونواقض توحيد الربوبية، ونواقض توحيد الأسماء والصفات.

---

(١) الكواشف الجلية، ص ٤٢٢.

الباب الأول:
إنكار وجود الله تعالى،
وفيه تمهيد ، وسبعة فصول:

تمهيد.

الفصل الأول: إنكار وجود خالق للكون في العصر الحديث.

الفصل الثاني: القول بوحدة الوجود.

الفصل الثالث: مذهب العبثية، والزعم بأن الوجود عبث.

الفصل الرابع: التعدي على جناب الربوبية بالسخرية والسبّ والاستهزاء.

الفصل الخامس: دعوى أن كل موجود مفتقر إلى وجود آخر.

الفصل السادس: تقديس العقل.

الفصل السابع: دعوى نسبة الموت والعدم للخالق العظيم تعالى وتقدس.

تمهيد ، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: حقيقة إنكار وجود الله تعالى عند القائلين به في الأمم السالفة.

المسألة الثانية: الفرق بين الإلحاد الماضي والإلحاد المعاصر.

المسألة الأولى: حقيقة إنكار وجود الله تعالى عند القائلين به في الأمم السالفة.

إنَّ قضية وجود الله ﷻ عند الإنسان قضيةٌ فطرية ضرورية، تعرفها العقول ببداهتها، فيستدل على وجود الله ﷻ بوجود كل موجود، فالأثر يدل على المؤثر، والمخلوق يدّل على الخالق القدير، ولم يكن إنكار وجود الله ﷻ عبر التاريخ البشري ظاهرةً تستدعي الدراسة، ولم يكن فكراً مدعوماً بدولٍ، ومدارس تتبنّاه، بل عامّة الكفر في البشرية من قبيل اتخاذ آلهة مع الله ﷻ على وجه التشريك، ولذلك كانت الرسالات السماوية مبنيّة على إقرار الناس بخالقهم، واعترافهم بربوبيته تعالى، فتزيدهم الرسالات علماً بالله ﷻ، وبياناً لحقه على خلقه بعبادته دون ما سواه، حيث يستلزم إقرارهم بربوبية الله ﷻ أن يعبدوه وحده لا شريك له.

وكان إنكار وجود الله ﷻ في الأمم السالفة ظاهرةً فرديةً شاذةً، وربما اجتمع عليه فئات من البشر قليلة، لم يجمعهم مذهب، أو يقيّدهم فكر، وإنما نزعة التسلط على الناس، وفرض الهيمنة، والقوة، ظلماً، وعلّواً.

ولقد كان إنكار وجود الله ﷻ عرَضاً طارئاً، ونزغات غير مستقرّة، ولم يُذكر في التاريخ من أنكر وجود الله ﷻ، إلا من أنكره على وجه العناد، وطلب العلّو في الأرض، فكان حقيقة إنكارهم جحود باللسان، مع استيقان القلب بضدّ ما جحد، قال الله ﷻ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٤]، والجحود: هو الإنكار باللسان(١).

---

(١) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ١/ ٣٥١، وكواشف زيوف المذاهب =

ومن هؤلاء الذي حاجّ إبراهيم عليه السلام في ربّه أن آتاه الله سبحانه وتعالى الملك، وحمله الغرور بملكه أن ادّعى لنفسه الربوبية بالإحياء، والإماتة، ولكن لم تلبث دعواه تلك أن انهارت من أوّل وهلة في محاجته إبراهيم عليه السلام، وأتى الله سبحانه وتعالى بنيانه من قواعده، وخرَّ عليه سقف إلحاده، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وكذلك فرعون عندما قال فيما حكاه الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]، وقال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤]، ولكن لمّا ذهبت سكرة الرياسة، وحبّ العلّو، وأيقن بالهلَكَة، وعاين من أمر الله سبحانه وتعالى ما لا مردَّ له، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠]، فتلك الدعوى العريضة التي ادّعاها فرعون لنفسه، تلاشت حين أدركه الغرق، وأعلنها صراحة: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

وهؤلاء الأفراد هم أبرز من أنكر وجود الله سبحانه وتعالى، في الزمن الغابر، ولكن ذلك الإنكار لم يصمد طويلاً أمام الدلائل العظيمة، والآيات الباهرة، فحقيقة

=

الفكرية، ص ٤٣٥، والتحرير والتنوير ١٩/ ٢٣٢، والمذاهب الفكرية المعاصرة، ودورها في المجتمعات وموقف السلم منها ٢/ ١٠٠٥.

أمرهم المكابرة، والمعاندة، والسفسطة في البدهيات، وإنكار المسلّمات.

وممن أنكر وجود الله ﷻ من الطوائف: الدهريون، والفلاسفة الأولون، الذين ينكرون الخالق، وينكرون البعث، وينسبون الموت للدهر، وقالوا: «إنَّ الدهر دائر، لا أول له ولا آخر»[1]، وزعموا أنَّ العالم لم يزل موجوداً بنفسه بلا خالق، وقالوا: بالطبع المحيي، والدهر المفني[2]، وقد بيّن الله ﷻ مذهبهم بقوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤].

وهذا المذهب هو أصل مذاهب الإلحاد القديمة منها والحاضرة، وكذلك كان هذا المذهب أساس الإلحاد في المذاهب الفكرية المعاصرة، التي تدّعي البرهنة على أفكارها بالعلوم الحديثة التجريبية، وها هي تعود في أعظم القضايا –وجود الله ﷻ– إلى تخلّفٍ، ورجعيةٍ متناهية، إلى عصر فلاسفة قدماء دهريين، فأخرجت أفكارهم في قوالب عصرية[3].

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٧.

(٢) ينظر: المنقذ من الضلال، ص ١٨، والملل والنحل ٢/ ٢٣٤، وإغاثة اللهفان ٢/ ٢٥٥، وتاريخ الفلسفة في الإسلام، ص ١٥.

(٣) ينظر: كواشف زيوف المذاهب المعاصرة، ص٤٣٥، والملل والنحل ٢/ ٢٣٤، ومن تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص٢٥.

المسألة الثانية: الفرق بين الإلحاد الماضي والإلحاد المعاصر.

تقدم أنَّ الإلحاد القديم المتمثل في عقيدة إنكار وجود الله ﷻ، لم يكن ظاهرة تستدعي البحث، بيد أنَّ الإلحاد في الزمن المعاصر ظهر ظهوراً لم يعرف في تاريخ البشرية من قبل، من حيث سعة انتشاره، وتأثيره في حياة الناس، وأفكارهم، ومن حيث نتائجه، وثماره من انحلالٍ خلقيٍ، ومسخٍ للفِطَر، في سعارٍ تعاونت على ترويجه وسائل الإعلام الحديث، مع ما صاحب ذلك من إشاعةٍ لمفهوم الحرية الشخصية، والقبول بالتعددية العقدية.

والإلحاد في العصر الحديث بدأت رياحه تهبّ على العالم الإسلامي منذ سقوط الدولة العثمانية، بدأً من تركيا، ثم إلى مصر، ومن ثَمَّ انتشرت الحركات، والمذاهب الإلحادية، وكان لها من كل بلد من يتولّى كبْرها، ويدعو إليها بمختلف الوسائل، والأسباب المتاحة، تحت شعارات الأدب، والفن، والتقدم، ومواكبة الحضارة العالمية(١).

ومن أهم الفروق بين الإلحاد الماضي والإلحاد المعاصر ما يلي:

أولاً: أن الإلحاد بمعنى: إنكار وجود الله ﷻ، لم يكن ظاهرة منتشرة بين الناس في القديم، بل كان عند أفرادٍ تجاوزهم التاريخ، وإنما كان الشائع عندهم الشرك بالله ﷻ، مع اعترافهم بوجود الله ﷻ، وأنه الخالق المدبر، بخلاف ما حدث في الزمن المعاصر، من ظهور فلسفات، ومذاهب فكرية،

---

(١) ينظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ٥.

تكرّس مفهوم الإلحاد تحت أقنعةٍ من التقدم، والعلم، والحضارة، والحرية.

ثانياً: الإلحاد في هذا الزمن، انتشر انتشاراً واسعًا -خاصة- في دول أوروبا بصورة لافتة للنظر، وأصبح له حكومات تحرسه، وقوانين تحميه، فالإلحاد في هذا العصر أصبح ظاهرة عالمية بارزة، فالعالم الغربي في أوربا وأمريكا، وإن كان وارثًا في الظاهر للعقيدة النصرانية التي تؤمن بالبعث والجنة والنار، إلا أنه ترك هذه العقيدة في العموم الأغلب، وأصبح إيمان الناس بالحياة الدنيا فقط، وأصبحت الكنيسة مجرد تراث، وأثراً من آثار الماضي، وأصبح الإلحاد هو الدين الرسمي المنصوص عليه في كل دساتير البلدان الأوروبية، والأمريكية، ويعبر عن ذلك بالعلمانية تارة، واللادينية تارة أخرى[1].

ثالثاً: إن الإلحاد هذا الزمان، قد زعم أهله أنهم وصلوا إليه عن طريق العلم، والبحث المحسوس، وعن طريق التجربة، والدراسة، وزعموا أن الدين لا يُوصِل إلى ذلك، وذلك أن الصفة التي تتصف بها المادية قديماً وحديثًا، هي أن الماديين يتصورون أنَّ المادة حقائق محسوسة، وليست فروضاً وراء الحس، والنظرة العلمية في تصورهم هي ما تخضع للبحث التجريبي، وما لا يخضع للبحث التجريبي لا يسمّى علميًّا -في نظرهم-، ومن ثَمَّ أبعدوا مفاهيم الدِّين، والغيب من مجال البحث التجريبي، حيث لا يقوم عليها دليل -عندهم-، ولا يمكن التدليل عليه من هذه الطريق، ومن ذلك قضية وجود

(١) الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، ص ٦.

الله ﷻ[١]، ووصل الأمر إلى أن أصبح الدين عند كثيرٍ من المثقفين الأوروبيين مثلاً للخرافة، وتابعهم على ذلك ببغاوات ينعقون بما لا يعلمون، وصاروا يدفعون عقيدة الإيمان بالله ﷻ بحجة أن العلم التجريبي يرفضها، وشنّوا حملة ضد الإيمان عامة، وضدّ الإسلام خاصة، بل بلغ الأمر إلى أن أصبحت هذه الآراء والأفكار الملحدة تدرس في بعض حقول التعليم.

وأصحاب الفكر الإلحادي يرون أنَّ إلحادهم ليس محض ادّعاء، بل نتاج بحثٍ، ودراسة، اهتدى إليه الإنسان في ميادين العلم المختلفة، وبالتالي كان الإلحاد في هذا العصر أكثر تقنيناً، وترتيباً، وتنظيراً، ليحلَّ محلَّ الإله والدين.

وهذا من أهمّ الفروق بين الإلحاد القديم، والإلحاد الحديث[٢].

---

(١) قضية وجود الله تعالى لا تدخل تحت بحث العلوم التجريبية التي تتلائم مع بعض العلوم الدنيوية، لأنها تعرف أولاً بالفطر السليمة، مع ما جاء في الوحي والرسالة، من البيان والحجة.

(٢) الإسلام يتحدى، ص٥.

الفصل الأول:
إنكار وجود خالق للكون في العصر الحديث،
وفيه تمهيد وخمسة مباحث:

تمهيد: إنكار وجود خالق للكون في العصر الحديث، أسبابه وآثاره.

المبحث الأول: مذهب الطبائعيين.

المبحث الثاني: إنكار وجود الله ﷻ عند الفرق الباطنية.

المبحث الثالث: إنكار وجود الله ﷻ في المذاهب الفكرية المعاصرة.

المبحث الرابع: وصف الله ﷻ بسلب النقيضين.

المبحث الخامس: الشك أو التشكيك في وجود الله ﷻ.

تمهيد: إنكار وجود خالق للكون في العصر الحديث، أسبابه وآثاره.

الإلحاد في العصر الحديث امتزج بالحضارة الغربية المعاصرة، وصار أمراً طبعياً لا يُحتاج إلى دليل، ولا برهان، بل صار الدين ظاهرة شاذة تحتاج إلى تفسير، والمؤمن بالدين هو المطالب بالدليل، وقد يُوصف بعدم العلمية، والعقلانية، ويُتهم بالانسياق العاطفي وراء الخرافات، والأمور غير المحسوسة من غير دليلي علميّ، ولا برهان تجريبي، ويمّم الملاحدة وجوههم شطر المادّة، والطبيعة، ونصبوا لها عقولهم، وأُشربت قلوبهم حبّها، وكفروا بما وراء ذلك، واتخذوا من العلوم الطبيعية التجريبية إلهاً ظلوا عليه عاكفين [١].

وقد صاحب هذا الإلحاد تطوّرٌ هائل في مجال العلوم الطبيعية، والصناعات الحديثة، وبالتالي رُبط بين التقدم العلمي، وبين الإلحاد، وبرز مفهوم أنَّ هذه الثورة الصناعية ما كانت لتكون لولا نبذ الدين، واطّراحه، واستبداله بالفلسفة المادية الإلحادية التجريبية، ولم يقف هذا الفكر الإلحادي عند هذا الحدّ حتى دخل حياة الناس كلها، وأصبح الدين مسألة شخصية ذاتية للإنسان، محدودة الوجود، لا دخل له في مجالات الحياة[٢].

---

(١) ينظر على سبيل المثال هذا الموقع على الشبكة العالمية العنكبوتية، بتاريخ ٧/ ٨/ ١٤٣٤هـ، حيث يدعي من كتب فيه أن العلم التجريبي أغنى عن وجود إله في الكون، وأن تفسير الأشياء بأسبابها الكونية ينفي وجود الخالق! http://laden.7olm.org/t8-topic.

(٢) ينظر: كتاب الفيزياء ووجود الخالق، ص ١٩.

ومن عادة الملاحدة أن يسمّوا أيّ طريقة مجردة من الدين بالطريقة العلمية، أو العلمانية، تكريساً لقضية إبعاد الدين عن مجالات الحياة[١].

ومنذ قبل مائتي عام لم تكن مشكلة الإلحاد بهذه الحدّة والانتشار، ولكن في القرنين الأخيرين ظهرت عوامل عديدةٌ جعلت من الإلحاد فكراً عامَّاً منتشراً، ومن أبرز أسباب ذلك ما يلي:

أولاً: التناقض الشديد، والخلاف الذي وقع بين دين أهل الكتاب المحرّف، وبين العلم التجريبي، وما زال هذا التناقض قائماً، ويُكتشف منه المزيد، مما أوجد فجوة كبيرة، وهوّة عظيمة، بين الحقائق العلمية التجريبية، وبين الديانة المحرفة، وهذا بدوره أدّى إلى التشكيك في المصادر الدينية عامّة، مما نزع الثقة منها، وحلَّ محلّها العلم التجريبي الحسي، حتى قال بعض مؤرخي الإلحاد في الحضارة الغربية: «كانت الكنيسة جزءاً من المشكلة، جزءاً من المرض الذي كان يصيب كل معرفة بالله، لا جزءاً من العلاج، لقد كانت الكنائس هي الأرض التي أنبتت الإلحاد»[٢].

وهذا التناقض يظهر من جهة كون العلم التجريبي قائماً على الدليل الحسّي، والعقلي، بينما المنهج في ديانة أهل الكتاب أنه يدعو إلى التسليم المطلق بالمتناقضات العقلية [٣].

---

(١) موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ٢/ ٩٥.

(٢) نقلاً من كتاب الفيزياء ووجود الخالق، ص ٢٥.

(٣) ينظر: كتاب: القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث، تأليف: موريس بوكاي، طبيب فرنسي كان نصرانياً فأسلم، وقد =

وعلى أثر ذلك عقد الملاحدة مقارنةً بين الدين، وبين العلم الطبيعي، ووضعوا الدين في مقابل العلم الطبيعي، ثم تكلموا عن المزايا التي يمتاز بها منهجهم التجريبي، وعما اكتشفه الناس من المخترعات، والصناعات، ومن ثّمَّ نُسجت أوهام الإلحاد على هذا الأساس باسم التطور العلمي، وحتمية القوانين الطبيعية، وعدم قابلية المادة للفناء، ونحو ذلك(١).

وذهب بعض فلاسفة الملاحدة في نظرتهم للدين، إلى أن الإنسانية مرّت بثلاثة أدوار:

دور الفلسفة الدينية، التي تعزو وجود الأشياء لقوّة عظمى خارجة عن نطاق البشر -الإيمان بالإله-.

ثم دور الفلسفة التجريدية، التي تنظر للأشياء من خلال أسبابها،

=

ذكر في كتابه نماذج من صور التناقض بين التوراة والإنجيل، وبين العلم الحديث، بينما ذكر أن القرآن الكريم متوافق تماماً مع الحقائق العلمية ولا يمكن أن يوجد في ذلك تناقض كالذي وقع في التوراة والإنجيل.

وأيضاً مما عمّق هذا المفهوم، أنه راج حتى على بعض علماء المسلمين، فجعلوا العلم مقابل الدين، فالعلم شيء، والدين شيء، كما عبّر عن ذلك شيخ الأزهر في عصره، الشيخ: محمد مصطفى المراغي في كلمته لطلاب البعثة إلى أوربا. ينظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين ٢/ ٩٦، بينما الدين الصحيح لا يخالف ما خلقه الله من السنن الكونية، واكتشافها لا يقدح في الدين.

(١) ينظر: الفيزياء ووجود الخالق، ص٢٩ ، والفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، ص١٦.

وخصائصها الطبيعية.

ثم دور الفلسفة الواقعية التي تمثل العلوم التجريبية.

وعلى هذا، يمثل الدور الديني عند الإنسان مرحلته البدائية، فلما شبَّ خلع رداء التدين، ليفسر الأشياء بأسبابها، حتى انتهى إلى العلوم التجريبية التي تغنيه عن كل شيء، بما في ذلك التدين، والإيمان بالإله[١].

ثانياً: كرّس الملاحدة مفهوم التناقض بين الإيمان بوجود الله ﷻ، وبين العلم التجريبي، ولا يمكن الخروج منه إلا من بوابة الإلحاد.

ومن هذه التناقضات التي توهّموها، ما يلي:

الأول: توهمهم أن الإيمان بوجود الخالق مرتبط بتصورات معينة للدنيا كانت شائعة عند الناس في أوربا، فجاء العلم الحديث وأثبت عدم صحتها، مثل كثير من الخرافات الكَنَسية عن الأرض، والكون، والحياة، كقضية دوارن الأرض حول نفسها التي اكتشفها بعض المفكرين في أوربا، وكانت الكنيسة ترى أنّ الأرض مركز الكون الثابت، لأن الأقنوم الثاني –المسيح– تجسّد فيها وقُتل فداءً للبشرية من الخطيئة[٢]، فلما جاء العلم الحديث في عصر النهضة الأوربية، واكتشف العلماء حقائق جديدة على خلاف ما كان سائداً، أحدث تصادماً بين الإيمان بتلك التصورات الكنسية الخاطئة، وبين الكشوفات

---

(١) ينظر: كتاب الدين، للدكتور عبد الله دراز، ص ٨٤، وموقف العقل والعلم والعالم من عبادة رب العالمين وعبادة المرسلين ٢/ ١٠٣.

(٢) ينظر: قصة النزاع بين الدين والفلسفة، ص٢٠٥.

العلمية الحديثة، فأزال بذلك الأساس الذي كان يقوم عليه الإيمان الكنسي، ومن نافلة القول أنه لا علاقة بين الإيمان بوجود الله ﷻ، وبين تلك التصورات الخرافية[١].

الثاني: توهمهم وجود تناقض بين صفة الخلق لله ﷻ، وبين أسباب الخلق الكونية، بمعنى: أن الشيء إذا كان مخلوقاً لله ﷻ، فليس لوجوده أسباب طبيعية يستطيع البشر معرفتها، فإذا اكتشف الناس بعض تلك الأسباب الكونية، كان في تصوّرهم أنه غير مخلوق لله ﷻ، ومن المعلوم بالاضطرار أنه لا تناقض بين خلق الله ﷻ للأشياء، وبين معرفة أسباب خلقها[٢].

ثالثاً: وقوع التشكيك في أصل الكتب المقدسة لدى أهل الكتاب، من جهة السند، إذ لا يمكن إثبات سند متصل للتوراة والإنجيل، إلا الذاكرة البشرية، وكذلك من جهة المتن، إذ هي متعارضة متناقضة، بحيث لا يمكن بأي وجهٍ اتساقُها منطقًا، وقبولها عقلاً، ولذلك أصدرت دائرة المعارف الفرنسية الحكم بتزوير أحد الأناجيل![٣]، فإذا كان الكتاب المقدس عندهم

---

(١) ينظر: الفيزياء ووجود الخالق، ص ٢٥، الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، ص ٨، وعقائد المفكرين في القرن العشرين، ص٣٠..

(٢) ينظر: كتاب الفيزياء ووجود الخالق، ص ٢٥.

(٣) القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث، ص ٢١.

بهذا التشكيك، فإن الإلحاد يجد طريقه إليهم[1].

وكذلك أيضاً ما في التوراة والإنجيل من وصف الله -تعالى عما يقولون علوّاً كبيراً- بأوصاف لا تليق بآحاد الخلق فضلاً عن الخالق، حتى فرَّ بعضهم من هذا التشبيه بالمخلوقات إلى تجريد الله ﷻ من صفاته اللائقة به، ووصفه بالمعدومات.

ومن جراء ذلك تبلورت هذه الفكرة الإلحادية "أن الله ﷻ ليس له وجود خارجي" وأنَّ الإيمان بالله ﷻ في حقيقته، إنما هو إيمان بمجموعة من المُثُل، والمبادئ الخُلُقية، مثل: العدل، والحرية، والكرامة، وهذا أصبح شائعاً بين جملة من المثقفين من أهل الكتاب، ثم انتقل إلى المثقفين والمفكرين المنتسبين للإسلام، وهم في ذلك يعيدون رأي الفلاسفة القدماء في أزلية العالم بعبارات عصرية[2].

ومما سبق يظهر أثر نفي صفات الكمال عن الله ﷻ، وأنّ ذلك ممهد للإلحاد، وإنكار وجود الله ﷻ.

رابعاً: أن بعض القواعد الفكرية الموروثة عن الفلاسفة القدماء، التي دافع عنها فلاسفة مشهورون مؤثرون، كانوا في أنفسهم ليسوا بملاحدة، لكن قواعدهم الفكرية، كانت في حقيقتها بذوراً لنبتة الإلحاد فيما بعد، ومن أولئك

---

(١) ينظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ص ١٥٧.

(٢) ينظر: كتاب الفيزياء ووجود الخالق، ص٢٣.

الفلاسفة: رينيه ديكارت[١] الذي أتى بنظريته للطبيعة، ومن ثم للعلوم الطبيعية، وخلاصة هذه النظرية: أن الطبيعة – بعد أن خلقها الله ﷻ – صارت مستقلة تماماً بقوانينها التي أودعها إياها، ولم يعد الخالق يتدخل في شؤونها، وهذا يعني: أن الحياة تسير بدون تدبيرٍ للخالق، وأنَّ الطبيعة هي التي تدير الكون، والذي آل بدوره إلى تهيئة الطريق لإنكار وجود الله ﷻ[٢].

خامساً: ومن أسباب موجة الإلحاد في العصر الحديث، ظهور بعض المذاهب الفكرية، والاقتصادية، التي استثمرت فقر الشعوب، وجهلها، وتطلّعها لرفع الظلم عنها، كالشيوعية، والليبرالية، التي في ظاهرها دفع الظلم، وإعطاء الحقوق لأهلها، والحرية، وإثارة عواطف الناس بالاهتمام بحاجاتهم، وفي باطنها الدعوة إلى الإلحاد، والتمرّد على الشرائع الربانية، وبسط النفوذ، والتسلّط على رقاب البشر، وممارسة الظلم المزدوج في دينهم ودنياهم.

سادساً: تبنّي المنظمات اليهودية، والماسونية العالمية، للمذاهب الإلحادية المعاصرة، ودعمها بشتّى أنواع الدعم، وإضفاء الشعارات الخادعة عليها، من الإخاء، والمساواة، والحرية، والعدالة، وهي في حقيقتها معولٌ إلحاديٌّ لهدم التدين، وإشاعة الفوضى العَقَدَية، والأخلاقية، ومحاربة الأديان جميعاً،

---

(١) فيلسوف فرنسي ولد عام ١٥٩٦م، وتوفي عام ١٦٥٠، ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ٥٨.

(٢) ينظر: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص١٠٦.

وخاصة الإسلام، ومحاولة الزجِّ بالمسلمين في ركاب الحضارة الغربية المادية، ولذلك فعامّة من يقود هذه المذاهب الإلحادية، هو يهوديٌّ في الأصل، مثل ماركس، وإنجلز مؤسسا الشيوعية، وجون بول سارتر، صاحب مذهب الوجودية، وغيرهم كثير[1].

سابعاً: بعض الأحداث العالمية في العصر الحديث، وذلك على خلفية تداعيات حادثة الحادي عشر من سبتمبر أيلول ٢٠٠١م، المتمثل بتفجير برجي التجارة العالمي بنيويورك، وكان الإلحاد قبله في سياقه التاريخي في الجملة ينتهج خطاباً يميل نسبياً إلى شيءٍ من الحيادية من الدين والتدين، وكانت قضية الإيمان عند الملاحدة قضية شخصية فردية لا تستفزّهم كثيراً، وبعد تلك الحادثة، تغيرت المعادلة، وبات الدين عندهم يشكل تهديداً مباشراً، مما دفعهم إلى محاربة الدين من طريق الإلحاد، ومحاولة استئصال التدين من حياة الناس، وهذا أحد أقطاب الإلحاد في العصر الحديث "سام هارس" يؤلف كتاباً بعنوان: "نهاية الإيمان، الدين، والإرهاب، ومستقبل العقل" بعد تلك الحادثة بيوم واحد فقط! الأمر الذي شجع الملاحدة للدعوة إلى الإلحاد عبر طريق محاربة الإرهاب الذي يمثله -عندهم- التدين[2].

ثامناً: ومن أهم أسباب الإلحاد في العصر الحديث، عدم الإيمان بما وراء

---

(١) ينظر: الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، ص١٢٢، والمشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام، ص٥، وما بعدها، والإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة ١/ ٣٦٦.

(٢) ينظر: ميلشيا الإلحاد، ص٢١.

مدارك العقول، من الغيبيات التي لا تهتدي إليها العقول إلا من طريق الوحي.

تاسعاً: تقصير المسلمين في واجبهم بالدعوة إلى الله ﷻ، وبيان التوحيد -ولا سيما توحيد الربوبية ودلائله- وتعظم الحاجة إلى بيان التوحيد أمام هجمة الفكر الإلحادي، وكثرة دعاته وانتشار أسبابه، على حين انهماك كثير من الناس في تعلّم العلوم الدنيوية مع الزهد في الميراث النبوي، والعلم الشرعي، فقد انتشر العلم، والقلم، وانحسرت الأمية، أو انعدمت، ولكن العلم النبوي قلَّ رواده في زمن يُختلس فيه، ويرفع، مع محاربة العالم الغربي موارد العلم الشرعي، وتجفيف مناهله: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [التوبة: ٣٢].

والباطل لا تكون له صولة وانتشار إلا إذا قصّر أهل الحق في حقهم، وإن كان الباطل في نفسه زاهقاً داحضاً، ولكن الله ﷻ يبتلي أهل الحق في تقصيرهم بصولة أهل الباطل في باطلهم، وهذا الإلحاد الذي ابتلي به المسلمون في عقر دورهم من جراء ذلك، وإلا كيف تؤول حال بعض المجتمعات المسلمة إلى أن تنشأ فيها بؤر الإلحاد! ويخر ج من أصلابها من يجاهر بإنكار وجود الله ﷻ، ويطعن في القرآن العظيم، ويردُّ على النبي ﷺ قوله؟.

آثار الإلحاد المعاصر:

هذه التيارات الإلحادية المعاصرة التي انطلقت من أوربا، وانتشرت شرقاً، وغرباً، وعصفت بمن استشرف لها، قد خلّفت آثاراً من الفساد، والشرّ

شيئاً بالغ الخطورة، ولقد ضجّت حياة الملحدين من إلحادهم، حتى تحدثت عنها آثار الإلحاد التي ما زالت، ولن تزال كابوساً جاثماً عليهم، جثوم الإلحاد على قلوبهم، ومن أبرز هذه الآثار ما يلي:

أولاً: محاربة الإيمان بالله ﷻ، والفطرة السليمة:

إنَّ أعظم آثار الإلحاد محاربةُ التدين الحق، والفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها، وإرادة تغيير صبغة الله ﷻ، ومن أحسن من الله ﷻ صبغة؟ فينتقل الملحد من عبوديته لله ﷻ، إلى عبودية الشيطان، والنفس، والهوى.

وهذه المذاهب الإلحادية قد تنوعت في أساليب محاربتها للتدين والإيمان، وذلك عبر البرامج المتلفزة، والشبكات العنكبوتية العالمية، والندوات الفضائية، والمؤلفات، والمقالات التي يدعون من خلالها إلى الإلحاد بطرق ناعمة، بل وجّهت إلى الأطفال من ذلك ما يناسب عقولهم من الأفلام الكرتونية، والرسومات المتحركة التي تنتزع منهم الفطرة السوية، بل وضعوا كتباً تربوية لتنشئة الأطفال وفق منظور إلحادي![1]، وهذا بدوره قد ترك خواءً روحياً، وفراغاً كبيراً في قلوب الملاحدة، ومن تأثر بهم، يترجمه واقعهم من كثرة الانتحار في مجتمعاتهم.

ثانياً: القلق النفسي، والاضطراب العقلي، والحرمان من طمأنينة القلب، وسكون النفس.

---

(١) من هذه الكتب الإلحادية: كتاب تربية الطفل بعيداً عن الإيمان، وكتاب تنشئة الأحرار فكرياً. ينظر: ميلشيا الإلحاد، ٢٤.

والطمأنينة، والحياة الطيبة لا تكون إلا بالإيمان بالله ﷻ، وتحقيق العبودية له ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، ومن أعرض عن هذه الطريق المنهج، وقع في حمأة المعيشة الضنك، وتعاسة الحياة، ولا عجب حينئذٍ أن يكون الملحد في غاية القلق النفسي، والوحشة القلبية، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤]، كيف وقد أضافوا إلى كبد الحياة معيشةً ضنكاً، فأيُّ حياة تلك؟ وهذا ما يفسّر مدى تهافتهم على الشهوات، والملذات الجسدية، وتفانيهم في استحداث الغريب منها، والشاذ في سعار لم يُعهد من قبل(١).

ثالثاً: مناقضة فطرة التدين في حياة الإنسان:

التدين عند الإنسان فطريٌّ، وغريزة كامنة فيه، ولم يخل مجتمع من المجتمعات الإنسانية من التدين، وما عُرف إذاعة إنكار الأديان عبر منظمات، وأحزاب إلا في هذا العصر، والإلحاد مناقض لهذه الفطرة، ومصادم لها(٢).

رابعاً: إشاعة الأنانية حبّ الذات:

من أشد آثار الإلحاد سوءاً في هذا العصر، الأنانية، وحب الذات، وذلك أنَّ الإلحاد يغرس في قلب صاحبه تقديس الدنيا، إذ ليس له غاية

---

(١) ينظر: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة ٢/ ٢٠٦.

(٢) ينظر: كتاب الدين، عبد الله دراز، ص٨١.

وراءها، فكانت النتيجة الحتمية لذلك القلق النفسي، والخوف من مستقبل الأيام، لأنه لا يؤمن بمن يدبّر القضاء والقدر، فاتجه الإنسان الملحد نحو الفردية، والأنانية التي تخدم مصالحه الخاصة فحسب، وعدم التفكير في غيره، فالدين الذي يحث الإنسان على بذل المعروف للغير، والإحسان للناس، ابتغاء مرضاة الله ﷻ، قد انحسر عن حياة الملحد، وحلَّ مكانه الاهتمام بالنفس فقط، حتى انتقضت عرى الحياة الاجتماعية في المجتمعات التي ينتشر فيها الإلحاد، وقلّت فيها العناية بالفقراء، والمحتاجين، والمطلع على أحوال المجتمع الإلحادي في الغرب والشرق يرى إلى أيِّ حدٍّ أصبح الناس ماديّن تحكمهم المصالح الخاصة، سواء على مستوى الأفراد، أو على مستوى الدول التي نخرها الإلحاد، وأصبحت سياساتهم تنتهج هذه الطريق، وعلى ذلك نشأ الإنسان المادي النفعي المعاصر الذي أصبح علماً، ورمزاً للحضارة الغربية الإلحادية التي تغزو العالم الآن بجميع وسائلها(١).

خامساً: انعدام الوازع، وانتشار الإجرام:

من مبادئ الإلحاد أنه يعلّم أتباعه أنهم وجدوا صدفةً من دون خالق، ولا يجد الإنسان الملحد رادعاً داخلياً من دينٍ، أو ضميرٍ يردعه، لأنه لا يخاف رباً، ولا يرجو حساباً، ولا يبقى أمام الملحد من وازع إلا القانون البشري، أو ظروفه الواقعية، وقد يبقى في بعض الأنفس التي تدين بالإلحاد شيء من نداء الفطرة، ومحاسبة الضمير، ولكن هذا النداء الداخلي، سرعان ما يزول أمام

---

(١) ينظر: الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، ص ٢٠. بتصرف.

مصالح الحياة الخاصة، ومغرياتها الكثيرة، وهذا الأثر من أعظم آثار الإلحاد في حياة الإنسان، فهذا العالم المعاصر هو عالمٌ انتشرت فيه الجريمة، والخوف، على مستويات عدّة، فكل يوم ينشر في وسائل الإعلام والاتصال أخبار الجرائم البشعة [١].

(١) ينظر: الإلحاد، أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، ص ٢٢. بتصرف.

المبحث الأول:

مذهب الطبعيين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الطبعيون في العصر الحديث.

المطلب الثاني: إجراء قوانين الطبيعة على الخالق ﷻ، وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: دعوى: بداية الخالق ﷻ ونهايته.

الفرع الثاني: دعوى: دخول الخالق ﷻ في عامل الزمن المخلوق.

الفرع الثالث: دعوى: حاجة الخالق ﷻ لمخلوقاته.

المطلب الأول: الطبعيون في العصر الحديث.

مفهوم الطبيعة:

الطبعيون نسبة إلى الطبيعة، والطبيعة مأخوذة من مادة "طبع" «وهو مثل على نهاية، ينتهي إليها الشيء»[١]، قال ابن منظور: «طبعه الله على الأمر يطبعه طبعاً فطره، وطبع الله الخلق على الطبائع التي خلقها، فأنشأهم عليها...والطباع ما ركب في الإنسان من جميع الأخلاق، التي لا يكاد يزاولها من الخير والشر، والطبع ابتداء صنعة الشيء»[٢].

فالطبيعة على ما تقدم بمنزلة السجية، والخليقة[٣].

وهي صفة قائمة بالأجسام، عبارة عن القوى والطبائع التي خلقها الله سبحانه وتعالى في الأجسام، وهي الجِبلة، والخليقة[٤]، وهذه القوى، والطبائع هي« التي يصل بها الموجود إلى كماله الطبيعي»[٥].

وفكر الطبائعيين في العصر الحديث، هو امتداد لفكر الفلاسفة اليونانيين الطبائعيين القدماء، وعامة أولئك الفلاسفة يقولون: بقدم العالم، وأنه أزلي، ولم يكونوا يختلفوا في ذلك، وإنما خلافهم في أصوله الأربعة -الماء،

---

(١) مقاييس اللغة ٣/ ٤٣٨.

(٢) لسان العرب ٨/ ٢٣٢.

(٣) ينظر: كتاب العين ٢/ ٢٣.

(٤) ينظر: الصفدية لشيخ الإسلام ١/ ١٥٤.

(٥) التعريفات، ص ١٨٢.

والهواء، والتراب، النار- وعلى أثر ذلك كانت نظرتهم في أصل العالم، والكون، فقالوا: بتأليه الطبيعة، وأنها هي التي أوجدت المخلوقات، ونسبوا إليها أفعال الربوبية، والطبيعة –عندهم- بهذا المعنى فعيلة بمعنى: فاعلة، أي خالقة[١].

والفلاسفة يرون أنَّ «الطّبيعة هي القوّة المدبّرة لكلّ شيء مما هو في العالم الطّبيعي، والعالم الطّبيعي هو كلّ ما تحت فلك القمر إلى مركز الأرض»[٢].

مذهب الطبائعيين في العصر الحديث:

وهذه "العقيدة الطبيعية" «أطلقها الفلاسفة الغربيون، وكثير من الكتاب المحدثين، على مجموعة العناصر، والعوالم الكونية التي يزعمون أنها تؤثر في بعضها تأثيراً مستقلاً عن إرادة الخالق، أو كما يزعم الملاحدة أنها هي وحدها الوجود، وهي وحدها المؤثر فيه، وليس لها خالق مدبر متصرف»[٣].

ومذهب الطبائعيين المعاصرين حقيقته: «القول أن الطبيعة هي الوجود كله، وأنه لا وجود إلا الطبيعة، أي: الحقيقة الواقعية المؤلفة من الظواهر

---

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٢، وص، ١٠٨، وكتاب الطبيعة وما بعد الطبيعة، ص٧.

(٢) الحدود للخوارزمي، ضمن المصطلح الفلسفي، للأعسم، ص٢١٠.

(٣) الموسوعة الميسرة ٢/ ١٠٨٧.

المادية، المرتبطة بعضها ببعض، على النحو الذي نشاهده في عالم الحس والتجربة.

ومعنى ذلك: أن المذهب الطبيعي يفسّر جميع ظواهر الوجود بإرجاعها إلى الطبيعة، ويستبعد كل مؤثر يجاوز حدود الطبيعة، ويفارقها، ويسمى أصحاب هذا المذهب بالطبيعيين، وهم الدهريون الذين ينكرون وجود الصانع المدبر، ويزعمون أن العالم وُجد بنفسه دون حاجة إلى علّة خارجة عنه»[(١)].

والطبائعيون المعاصرون من الفلكيين، والفيزيائيين، والكيميائيين، ورثوا هذه المقالة -قدم العالم- من الفلاسفة، وأضافوا إليها قانوناً فيزيائياً: المادة لا تفنى، ولا تستحدث من العدم[(٢)]، ومن ثَمَّ كان اعتقادهم في وجود الكون أنه نشأ من المادة الأولى بفعل الطبيعة، وزعموا بأنَّ قوى الطبيعة المختلفة ترجع إلى أصل واحد، وهو الحركة، وخلصوا من ذلك إلى أنَّ الحركة أزلية أبديّة، وأنَّ الطبيعة تتحرك وفق قوانين آلية صارمة أزلية، ومن ثمَّ فالعالم مستغنٍ بها عن وجود إله خالق، فيجعلون الحركة لا أول لها، تأصيلاً لقول الفلاسفة بقدم العالم[(٣)].

ومع الكشوفات العلمية الحديثة اختلف الأسلوب، والتسميات التي

---

(١) المعجم الفلسفي، لجميل صليبا ٢/ ١٦.

(٢) ينظر: أصول الفلسفة الماركسية، ص٥١، والفيزياء ووجود الخالق، ص٦٩ .

(٣) ينظر موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ٢/ ٢٨٧، والعلمانية الجزئية، والعلمانية الشاملة ١/ ٢٩٤.

كان عليها الفلاسفة الطبيعيون، وأُطلق على تأليه الطبيعة في العصر الحديث: مصطلح "البيولوجيا" الذي يدرس علم الأحياء[١]، «وساد القول بسيادة الطبيعة على الدين، والعقل، فهي الحاكم المطلق، والإله الذي لا ينازع»[٢].

وأيضاً بعد اكتشاف بعض القوانين الطبيعية، والسنن الكونية، كالجاذبية الأرضية، فُتنوا بها، وبعد تطور هذه الاكتشافات، وجدوا أنَّ القوانين الطبيعية تجعل الكون مترابطاً لا خلل فيه، وقالوا: إن هذا الكون محفوظ بقانون الجاذبية، ومتماسك بسببها، لا بسبب خارجي، فجعلوا بعض صفات الربوبية لهذه القوانين[٣].

وكذلك بعد ما اكتشف أنَّ الكون يسير وفق قانون العلة والمعلول، أو ما يسّمى: بالتفسير الميكانيكي للكون، وهذه النظرية خلاصتها: أن جميع ما يجري في هذا الكون يحدث بسبب علل مادّيّة صِرفة، دون تدخل خارجيٍّ، وأن الحياة برمّتها هي نتاجٌ لفعل القوى الطبيعية، والكيميائية، والحركات الميكانيكية، التي تغني -في زعمهم- عن وجود ربٍّ خالق للكون، وإذا كان الأمر كذلك، فلا ينبغي أن يُنسب وجود العالم إلى أسباب فوق قوانين الطبيعة التي لها القدرة المطلقة [٤].

---

(١) ينظر: العلمانية تحت المجهر، ص٣٠٥، وكتاب الإسلام يتحدى، ص٩.

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ٢/ ١٠٦٦.

(٣) ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، ودورها في المجتمعات، وموقف المسلم منها، ٣/ ١١٦٧.

(٤) ينظر: الإسلام يتحدى، ص١٣، وموقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين =

وبالتالي جعلوا الطبيعة قانوناً طبيعياً للإنسان يكفل له السعادة التامة، والتجانس المنضبط مع الكون، بعيداً عن الدين، والاعتقاد بوجود إله [(١)].

وهذا المذهب "الطبيعي"، غايته نسبة أفعال الربوبية إلى الطبيعة، وقد سرى هذا الفكر إلى كثير من الفلسفات الإلحادية المعاصرة، ومنها على سبيل المثال: الداروينية، في نظرية الانتخاب الطبيعي، إذ ينظرون إلى الطبيعة أنها وهبت الأنواع القوية من المخلوقات عوامل البقاء، والنمو، والتكيّف مع البيئة، لتصارع الكوارث، وتتدرج في سلم الرقي مما يؤدي إلى تحسنٍ نوعيٍّ مستمرٍّ في المخلوقات، وبالتالي ينتج عنه أنواع راقية جديدة، وأنواع أرقى، بينما -يزعمون- أن الطبيعة قد سلبت تلك القدرة من الأنواع الضعيفة، فتعثرت، وسقطت، وزالت، ويرى أصحاب هذه النظرية أن تفسيرها بتدخل الله ﷻ في الخلق، هو بمثابة إدخال عنصر خارق للطبيعة في وضع ميكانيكي بحت[(٢)].

وكذلك في فلسفة "رينيه ديكارت" من وجه أقلّ إلحاداً، ولكن زعم أنَّ للطبيعة خلقاً، وتدبيراً في الكون، صارت به مستقلة تماماً بقوانينها التي أودعها الله ﷻ إياها، وليس لله ﷻ في ذلك أيّ خلق، أو تدبير[(٣)].

وكذلك الحال في الفلسفة الشيوعية في قضية قوانين المادة، في أزليتها،

=

وعبادة المرسلين ١/ ٣٣-١٤٦، ومذاهب فكرية معاصرة، ص ٩٤.

(١) ينظر: العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ص١٥٩.

(٢) ينظر: أصل الأنواع ونشأة الإنسان، لداروين، ص١٣٥.

(٣) ينظر: الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، ص١٠٦.

وأبديتها، وذاتية الحركة، وبعد ملايين من السنين من وجود المادة الأزلية، تهيأت الظروف الملائمة لتطوّر مختلف الكائنات الحية[١].

وما زالت أصداء هذا الفكر تتردد في لغة الصحافة، والإعلام المعاصر، من نسبة وجود النِعم، والخيرات إلى الطبيعة، فيقال: من خيرات الطبيعة، والطبيعة جادت بكذا وكذا.

وكذلك أيضاً في نسبة الكوارث إلى الطبيعة، فكثيراً ما يقال: غضب الطبيعة، ونحو ذلك من الألفاظ، ومثل هذا يندرج تحت شرك الألفاظ، كما سيأتي الكلام عليه -إن شاء الله ﷻ-[٢].

---

(١) ينظر: ديالكتيك الطبيعة، ص٤٣-٧٤، وقضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، ص٢٧٥.

(٢) ينظر صفحة: ٤٠٨.

المطلب الثاني: إجراء قوانين الطبيعة على الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

وفيه ثلاثة فروع:

الفرع الأول: دعوى: بداية الخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ونهايته.

أصل الضلال هذا الباب، هو تشبيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بخلقه، وقياس خصائص الرب جَلَّ جَلَالُهُ على خصائص المربوب، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [النحل: ٧٤]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص: ٤]، فهذه الآيات وغيرها، تقطع طمع العقل في أن يرتقي من العلم الإلهي ما ليس له به علم، ومن تكلّف هذا وقع في مزالق الإلحاد.

وقياس الخالق على المخلوق من أصول الإلحاد، ومن ذلك إجراء قوانين الطبيعة التي جعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سنناً كونيةً، على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ومن السنن الكونية، والقوانين الطبيعية أنَّ لكلِّ شيء بداية ونهاية، فلا يُتصوّر عقلاً وجود مخلوق بلا بداية، ولا نهاية، والخالق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

ومن الشبه الإلحادية في هذا الباب: دعوى وجود بداية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولذلك

يُورد بعض الملاحدة سؤالاً لا يستطيع الجواب عليه، وهذا السؤال هو: من أوجد الله ﷻ؟ وهذا يتكرر في كتب ملاحدة العصر[١]، وهو لم يسأل هذا السؤال إلا بعدما وقع في عقله تشبيه الله ﷻ بخلقه في الوجود، والعدم.

وهذا أمرٌ أخبرنا نبينا محمد ﷺ بوقوعه قدراً، وأرشد إلى المخرج منه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته»[٢]، وهذا الحديث فيه بيان « أنه لا بد أن يلقي الشيطان هذا الإيراد الباطل: إما وسوسة محضة، أو على لسان شياطين الإنس وملاحدتهم، وقد وقع كما أخبر، فإن الأمرين وقعا، لا يزال الشيطان يدفع إلى قلوب من ليست لهم بصيرة هذا السؤال الباطل، ولا يزال أهل الإلحاد يلقون هذه الشبهة التي هي أبطل الشبه، ويتكلمون عن العلل، وعن مواد العلم بكلام سخيف معروف»[٣].

ومن ذلك أيضاً أنه ظهرت في العصر الحديث بعض دراسات الملاحدة على مواقع الشبكة العنكبوتية العالمية من يزعم أنه لم يُعرف وجود لله ﷻ إلا بعدما ظهرت الديانات الثلاث اليهودية، والنصرانية، والإسلام، وقبل ذلك

---

(١) ومنها على سبيل المثال: كتاب نقد الفكر الديني، لجلال صادق العظم، ص٢٧.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، (٣٢٧٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (١٣٤).

(٣) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع عيون الأخبار، ص٢٦.

كانت هناك آلهة أخرى غير الله ﷻ، تعبدها الشعوب البشرية على اختلاف أنواعها من الكنعانيين والبابليين ونحوهم، وأنَّ هذا الاسم "الله" لم يُعرف إلا بعد تلك الديانات الثلاث.

فصاحب تلك الدراسة الإلحادية يقرّر أنه لم يكن وجود لله ﷻ إلا منذ التوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم، وما قبل هذه الكتب المقدسة، فلكل أمّة من البشر آلهة غير الله ﷻ تخصها.

حتى تنتهي تلك الدراسة الإلحادية إلى تقرير نفي وجود الله ﷻ تحت ذريعة أنَّ الأمم قبل الديانات الثلاث وما بعدها، مختلفون فيمن يتخذونه إلهاً، وأنَّ الإنسان يحاول تفسير ما حوله من الظواهر الكونية بوجود "الله" ربّاً لهذا الكون، وهذا التصور لا يعدو أن يكون شعوراً نفسياً لا أساس له من الواقع -زعموا -[(١)].

فتلك الدراسة الإلحادية زعم أصحابها أنَّ وجود الله ﷻ له بداية، وهذا تمهيدٌ منهم للخلوص منها إلى أنَّ الإيمان بوجود الله ﷻ أوهام نفسية، وهروب من الواقع، ومن هذا يظهر أنَّ مثل هذه النظريات الإلحادية التي يُشبّه الله ﷻ

---

(١) هذه الدراسة الإلحادية تحت الرابط التالي وهي مكونة من جزئين، وذلك بتاريخ ١٨/ ١٢/ ١٤٣٤هـ:

الجزء الأول:

KJKM١http://www.youtube.com/watch?v=sYCjcw

والجزء الثاني:

fzT-٢http://www.youtube.com/watch?v=ww
vlSs&feature=youtu.be

فيها بخلقه، إنما يُراد منها في نهاية المطاف، تهيئة النفوس لانتكاسة فِطرها بنفي وجود الله ﷻ بمثل هذه الوسائل الماكرة.

وكذلك بالمقابل نجد من وصف الله ﷻ بالفناء، والعدم بعد الوجود، وهذا مثل سابقه في التلوّن في أساليب الدعوة إلى الإلحاد، إذ ألف بعض الملاحدة في ذلك رواية سمّاها: "أولاد حارتنا"[(١)]، وترجمت إلى بعض اللغات تحت هذا المسمّى:"موت الإله"، وهذه الرواية التي استخدم فيها صاحبها الرموز الإشارية لما يريد التعبير عنه، جسّد فيها هذا المعنى الإلحادي -موت الإله-[(٢)] وهو لا يعدو أن يكون باعثاً لنفايات الفكر الغربي المعاصر، حيث سبقه في ذلك الفليسوف الإلماني "فردريك نيتشه"[(٣)] في فلسفته الإلحادية[(٤)].

---

(١) رواية من تأليف: نجيب محفوظ، رمز للدنيا بالحارة، وأولاد الحارة هم البشر من لدن آدم عليه السلام إلى العصر الحاضر، و"الجبلاوي" المتسلط في الرواية رمز لله ﷻ، و"قاسم"رمز لمحمد ﷺ، وهكذا، ثم جعل "عرفة" رمزًا للعلم الذي يقتل "الجبلاوي"!!نعوذ بالله من الكفر. ينظر: أولاد حارتنا، مكتبة الآداب، بيروت.

(٢) ينظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ص٣٢٠ .

(٣) فيلسوف ألماني ملحد، ولد عام ١٨٤٤م وتوفي عام ١٩٠٠م، كان نصرانيا ثم انسلخ من التدين إلى الإلحاد، وله مؤلفات تدعو إلى نبذ الأديان، وصاحب خرافة: الإنسان الأعلى "السوبرمان" التي تدعو إلى الإلحاد الصريح. ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، للدكتور محمود مزروعة، ص١٩٧ .

(٤) ينظر صفحة: ٢٥٢.

الفرع الثاني: دعوى: دخول الخالق ﷻ في عامل الزمن المخلوق.

وهذا الفرع مفرّع على ما قبله من الفرع الأول، لأنَّ من نسب لله ﷻ، بداية، أو نهاية، فقد تضمّن ذلك، دعوى دخول الخالق في عامل الزمن المخلوق.

وهذا أيضاً فيه إجراء لبعض قوانين الطبيعة -من دخول جميع المخلوقات تحت عامل الزمن- على الخالق العظيم، لأنه ما من مخلوق إلا ويدخل في عامل الزمن، جهة البداية، ومن جهة النهاية.

والله ﷻ هو الخالق للزمان، من تعاقب الليل، والنهار، وجريان الشمس، والقمر، فكيف يحويه مخلوق؟ وهو الأول الذي ليس قبله شيء، والأخر الذي ليس بعده شيء، وهذان الاسمان يدلان على الإحاطة الزمانية، لله تعالى وتقدّس(١).

---

(١) ينظر: طريق الهجرتين، ص٤٧.

الفرع الثالث: دعوى: حاجة الخالق ﷻ لمخلوقاته.

من السنن الكونية التي جعلها الله ﷻ في هذه الحياة أن خلق البشر محتاجاً بعضهم إلى بعض، وفاوت بينهم في الخَلْق، والرزق، فبسط الرزق على أناس، وضيّقه على آخرين، ليكمل أحدهم الأخر، فتقوم مصالحهم جميعاً، كما قال الله ﷻ: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢]، فالمخلوق -مهما كان- محتاج إلى مخلوق مثله، وكلهم يشتركون في الفقر، والحاجة المطلقة إلى الله ﷻ، والله ﷻ هو الغني الحميد: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [العنكبوت: ٦].

ومن الإلحاد والشرك في ربوبية الله ﷻ أن يُنسب إلى الله ﷻ حاجةً إلى بعض مخلوقاته، وقد فتح اليهود باب هذا الإلحاد، واستقوا تعاليمهم من كتبهم المحرفة والمختلقة من التوراة، والتلمود، وهذه الكتب قد نسجت في قلوبهم العداء المستحكم لكل البشر سواهم، وسعوا سعياً حثيثاً في إفساد البشر بكل الوسائل، ومن أشدّ ذلك: محاولة نزع فطرة البشر بالإقرار بوجود الله ﷻ إلى إنكار وجوده تعالى، وذلك نابعٌ من طبيعة وصفهم لله ﷻ في كتبهم، إذ وصفوا الله ﷻ بما يُنبئ باستخفافهم بمقام الربوبية[1].

ومن ذلك أنهم وصفوا الله ﷻ بالحاجة إلى بعض مخلوقاته، والتوراة قد

---

(١) ينظر: مقارنة الأديان، اليهودية، ص٢٦٧.

شحنت بهذا الكفر في مواضع منه متعددة[١]، وهذا كان له الأثر الظاهر في سريان هذا الفكر الإلحادي إلى مجتمعات أخرى غيرهم، وكان له صداه في المذاهب الفكرية المعاصرة، التي رعاها اليهود وكان لهم فيها اليد الطولى في صناعة أفكارها، وترويجها.

وكذلك أيضاً من دعوى: حاجة الخالق ﷻ إلى مخلوقاته في العصر الحديث على سبيل المثال: ما يوجد في عقائد الفرق الباطنية المعاصرة كالقاديانية[٢] من دعوى أنَّ الله -تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً- «يصوم، ويصلي، وينام، ويصحو، ويكتب، ويوقع، ويخطئ، ويجامع»[٣].

وكذلك الأمر عند أصحاب المذهب الحداثي، وهذا أحد عتاتهم -نزار قباني- يقول في قصيدة له مخاطباً عشيقته! -تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً-:

«لأني أحبك
يحدث شيء غير عادي
في تقاليد السماء
يصبح الملائكة أحراراً في ممارسة الحب
ويتزوج الله حبيبته»[٤].

---

(١) ينظر على سبيل المثال: التوراة، سفر التكوين، الإصحاح (٩-٢٣-٣٢).

(٢) ينظر صفحة: ٤٠٤.

(٣) القاديانية إحسان إلهي ظهير، ص٩٧.

(٤) الأعمال الشعرية لنزار قباني ٢/ ٤٤٢.

وأستغفر الله العظيم من حكاية هذا الكفر الشنيع، وتأمل كيف نسب لله ﷻ ما يتعاظم ويتقدس عنه؟ فما أعظم حلم الله ﷻ؟.

ولا ينكر أيضاً ما صنعته كتب الفلسفة، والمنطق من الأثر على عقائد المسلمين في مسائل كثيرة من صفات الله ﷻ، حتى أثّرت في أصحابها الإلحاد في صفات الله ﷻ، وأسمائه، وتوهّموا في إثبات بعض الصفات، حاجة الله ﷻ إلى بعض المخلوقات، ومثال ذلك: صفة استواء الله ﷻ على عرشه، فمن أنكر هذه الصفة كان من شبهاته: أن إثبات صفة الاستواء لله ﷻ على عرشه يقتضي الحاجة إليه كحاجة المحمول إلى حامله، وهذا التوهّم الباطل قادهم إلى نفي صفة الاستواء، وفي ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وإذا كان المسلمون يكفّرون من يقول: إن السموات تقلّه، أو تظلّه، لما في ذلك من احتياجه إلى مخلوقاته، فمن قال: إنه في استوائه على العرش محتاج إلى العرش كاحتياج المحمول إلى حامله فإنه كافر، لأنَّ الله ﷻ غني عن العالمين حيٌّ قيومٌ هو الغنيّ المطلق، وما سواه فقير إليه»[1].

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ١٨٨.

المبحث الثاني:

إنكار وجود الله ﷻ عند الفرق الباطنية.

المبحث الثاني: إنكار وجود الله ﷻ عند الفرق الباطنية.

الفِرَق الباطنية: فرق متعدّدة، تحمل مسميات مختلفة(١)، ولمّا كانت عقائد الباطنية خليطاً من فلسفات وثنية، وديانات إلحادية، لا تؤمن بوجود ربٍّ واحد، كان مؤدّى تلك العقائد هو إنكار وجود الله ﷻ، لأن الفرق الباطنية دأبها في عقائدها التستّر عليها، والتخفّي بها، والإمعان في الانطواء عليها، وعدم إفشائها، ولكن يظهر شيءٌ منها من لحون أقوالهم، ومخبآت مصنفاتهم، ولذلك جاءت عقيدتهم في الله ﷻ مموّهةً بأقوال وألفاظ في عبارات وجمل، غايتها إنكار وجود الله ﷻ تبعاً لأصولهم العقدية، فسبيلهم في هذا الباب العظيم -الإيمان بالله ﷻ- السفسطة في العقليات، والقرمطة في

---

(١) الباطنية تدعي أن للنصوص ظواهر وبواطن، ولها ألقاب كثيرة، وبعض هذه الألقاب مستمدة من عقائدهم، أو من زعماء برزوا فيهم، مثل: القرامطة، والخرمية، أو من فرق انشقت بمعتقدات خاصة، مثل: النصيرية، والدروز، والإسماعيلية، وبعض هذه الألقاب يرجع إلى وصف المذهب والحكم عليه، مثل: الملاحدة، والإباحية، وهذه الفرق بينها تداخل، واشتراك في بعض عقائدهم، وأئمتهم، وهي في حقيقتها تلتقي في مذهب واحد، وهو مذهب الباطنية. ينظر: فضائح الباطنية، ص ١١، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين تارة يسمون "الملاحدة" وتارة يسمون "القرامطة" وتارة يسمون "الباطنية" وتارة يسمون "الإسماعيلية" و تارة يسمون "النصيرية" وتارة يسمون "الخرمية" وتارة يسمون "المحمرة" وهذه الأسماء منها ما يعمهم، ومنها ما يخص بعض أصنافهم»، مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٥٢.

السمعيات[١]، ولا يقرّون بأنَّ للعالم خالقاً[٢]، وهم في حقيقتهم«زنادقة، يتسترون بالرفض، ويبطنون الإلحاد المحض»[٣].

وعقيدتهم في الله ﷻ قائمة -عند غلاتهم- على سلب النقيضين عن الله ﷻ، ويعتمدون النفي المحض في الصفات الإلهية، حتى لم يكن هناك فرق بين ما وصفوا الله ﷻ به، وبين العدم، بل الممتنع[٤]، فزعموا ربّاً يمتنع وجوده، إذ وصفوا الله ﷻ في كتبهم أنه «لا يدخل تحت اسم، ولا صفة، ولا يُومأ إليه بالإشارة مكيفة، ولا يقال عليه: حيّاً، ولا قادراً، ولا عالماً، ولا عاقلاً، ولا كاملاً، ولا تامّاً، ولا فاعلاً»[٥]، وكذلك -عندهم- لا تكون معرفة الله ﷻ بصفاته، إذ قال قائلهم: «إنه تعالى لا ينال بصفة من الصفات»[٦]، بل وزعموا ما هو أفحش من ذلك، حتى نفوا أن يُوصف الله ﷻ بالوجود، ففي بعض رسائلهم: «ليس هو موجود فيوصف، ولا غائب فينعت»[٧].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٥٥٢.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥/ ١٥٢.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ٢/ ٢٦٦.

(٤) ينظر: كتاب كنز الولد ص ١٣، للحامدي، أحد كتب الإسماعيلية، وكتاب تاريخ الدعوة الإسماعيلية، ص ٤١، وكتاب الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص ٢٧٣.

(٥) كتاب كنز الولد ص ١٣.

(٦) راحة العقل، ص١٣٥.

(٧) رسالة الكافية ضمن كتاب ثلاث رسائل إسماعيلية، ص٢٥.

وفي عقيدتهم هذه«قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة»[١]، «فيقولون: لا موجود، ولا معدوم، ولا حي، ولا ميت، ولا عالم، ولا جاهل، لأنهم -بزعمهم- إذا وصفوه بالإثبات شبّهوه بالموجودات، وإذا وصفوه بالنفي شبّهوه بالمعدومات، فسلبوا النقيضين...ووقعوا في شرّ مما فروا منه، فإنهم شبهوه بالممتنعات، إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين، كلاهما من الممتنعات»[٢].

وبالمقابل فقد أثبتوا الصفات التي نفوها عن الله ﷻ من صفات الكمال لأئمتهم المستورين، واتخذوهم أرباباً من دون الله ﷻ، وجعلوا الإمامة قطب رحى دينهم، وواسطة عقد باطنيتهم.

وشيخ الإسلام ابن تيمية لما سبر مذهبهم، وتبيّن غوره، قال: «فإني وقفتُ على مقالة غلاةِ الإسماعيلية، والنصيرية في كتبهم التي يَضنُّون بها إلاّ على خواصّ أكابرهم، فرأيتهم يصرِّحون فيها بنفي الصانع الخالق، وجحوده بالكلية، كالمذهب الذي ذكره الله عن فرعون، وحزبه، وعن الذي حاجَّ إبراهيم في ربّه وهكذا حكى عنهم من وقف على سرّ دعوتهم»[٣].

وبعد هذا البيان لشيء من إلحاد الفرق الباطنية، وإنكارها لوجود الله ﷻ، فإنَّ

---

(١) الملل والنحل ١/ ١٩٢.

(٢) التدمرية، ص ١٦.

(٣) جامع المسائل ٤/ ٤٢٣.

عقائدهم جاءت مبنيّةً على ما تقدم، فزعموا أن الكون أزليٌّ لا خالق له، وزعموا أن الموجودات صادرة عن عقول فاعلة في هذا الكون، وأنها هي المحركة له، سواء العالم العلوي، والعالم السفلي، وأطلقوا عليها: العقول العشرة(١)، وأسبغوا عليها الصفات التي نفوها عن الله ﷻ(٢)، فيعتقدون في تلك العقول أفعال الربوبية، وذلك أنهم يعتقدون في العقل الأول، ويسمى عندهم: السابق، أنه خلق العقل الثاني، ويسمونه: التالي، وهذا التالي أوجد العالم كله!.

والسابق هذا لا يصفونه بصفة ثبوتية، بل «لا يوصف بوجود، ولا عدم، فإن العدم نفي، والوجود سببه، فلا هو موجود، ولا هو معدوم، ولا هو معلوم، ولا هو مجهول، ولا هو موصوف، ولا غير موصوف، وزعموا أن جميع الأسامي منتفية عنه، وكأنهم يتطلعون في الجملة لنفي الصانع، فإنهم لو قالوا: إنه معدوم لم يقبل منهم، بل منعوا الناس من تسميته موجوداً، وهو عين النفي مع تغيير العبارة، لكنهم تحذّقوا فسموا هذا النفي تنزيهاً، وسموا مناقضه تشبيهاً، حتى تميل القلوب إلى قبوله»(٣).

ويزعمون أنَّ السابق قد حلَّ في أئمتهم، فأئمتهم آلهة بحلول الإله فيهم، ووصفوا أئمتهم بما لا يليق وصفه إلا بالله ﷻ(٤).

---

(١) ينظر صفحة: ٢٧٧، وينظر في تفسير العقول العشرة عند الباطنية وتسلسلها، كتاب كنز الولد، ص ٣٢، وأصول الإسماعيلية، ص ٥٠٠.

(٢) ينظر: أصول الإسماعيلة، ص ٤٩٩.

(٣) فضائح الباطنية، ص٣٨.

(٤) ينظر: كنز الولد من كتب الباطنية، ص٢٢٠،

ومن هذه العقيدة -في العقول العشرة- زعموا تأثير الكواكب، والنجوم في الأحوال الأرضية، كما سيأتي إن شاء الله تعالى(١).

وبعدُ، فإن الفرق الباطنية في إلحادها، جاءت عقائدها متوأمة على قدر ضلالها، فبعد تأصيلهم لمذهبهم الباطني الذي يؤول في غايته إلى إنكار وجود الله ﷻ، تباينت أراؤهم فيمن وصفوه بالصفات الربانية الإلهية، ومن ذلك على سبيل المثال:

أنَّ الإسماعيلية جعلوا عقيدتهم في الله ﷻ مبنية على العقول العشرة، ووصفوها بما لا يليق وصفه إلا بالله ﷻ، إذ نسبوا إليها الخلق، والإيجاد، والتدبير، واتخذوا أئمتهم المستورين أرباباً من دون الله ﷻ(٢).

وكذلك القرامطة أخذوا مبادئ الإسماعيلية وطبقوها بحذافيرها، لما كان لهم من القوة، والصولة، والدولة، واعتبروا الدين خرافة، ولا يؤمنون بكتاب ولا نبيّ، وادّعوا ما لله ﷻ من الربوبية والألوهية لغيره من الخلق، إمعاناّ منهم في إنكار وجود الله ﷻ(٣).

والنصيرية أيضاً ألّهوا عليّاً رضي الله عنه وجعلوا له أوصاف الربوبية، وزعموا له الجانب اللاهوتي، والجانب الناسوتي، وأنه إمام في الظاهر، وإله في الباطن، لم

---

(١) ينظر صفحة: ٢٧٤، وتاريخ الإسماعيلية، لمصطفى غالب، ص ٤٠، وكتاب الهفت الشريف كله، ومذاهب فكرية معاصرة، ص٢٨٣.

(٢) ينظر: أصول الإسماعيلية، ص٤٩٩، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص٨٥.

(٣) ينظر: الفرق بين الفرق، ص ٣٠٢.

يلد، ولم يولد، ولم يقتل، ولم يمت، وأنَّ سائر الأئمة كذلك[١].

وإذا كانت لهم صولة في بلد للمسلمين، صرحوا بكفرهم، فكانوا في زمن سلطانهم يُكرهون من عندهم من المسلمين بتأليه عليٍّ رضي الله عنه، ومراغمة المسلمين في كلمة التوحيد "لا إله إلا الله"، فيقولون: لا إله إلا عليّ، «وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين: قل: لا إله إلا علي، واسجد لإلهك المهدي الذي يحيي ويميت حتى يحقن دمك»[٢]، وهم كذلك في هذه الأزمان المتأخرة، لا يبالون حين يجاهرون بدعوى الألوهية، والربوبية فيمن تولّى عليهم من حكامهم النصيريين، ويصرحون به عبر وسائل الإعلام الحديثة، فما أعظم كفرهم بالله سبحانه وتعالى وما أشد شركهم بالربوبية[٣].

وفي العصر الحديث لمّا دخلت قواتهم مدينة حماة، أخذوا يرددون هذا الهتاف: هات سلاح، وخذ سلاح، دين محمد ولّى، وراح، وكتبوا في إحدى صحفهم: الله، والأنبياء، والكتب المقدسة، كلها محنطات ينبغي تحويلها إلى متاحف التاريخ[٤].

---

(١) ينظر: كتاب الهفت الشريف، ص ٩٦، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية، ص٧، وص٦٠، وكتاب طائفة النصيرية تاريخها وعقائده، ص ٤٦، وكتاب الإسلام في مواجهة الباطنية، ص١١٢.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير ١٨/ ١٦٩، وينظر: الملل والنحل ١/ ١٨٨، وكتاب مدخل إلى المذهب العلوي النصيري، ص ١٦.

(٣) ينظر: خطط الشام ٦/ ٢٦٠.

(٤) ينظر: كتاب الإسلام في مواجهة الباطنية، ص ١١٠.

والدروز لهم حظ وافر من الشرك بالربوبية حين ادّعوا الألوهية للمنصور بن العزيز بالله، الملقب بالحاكم بأمر الله، وأنَّ له حقيقة لاهوتية لا تدرك بالحواس، ولا الأوهام، ولا تعرف بالرأي، ولا القياس، ويرونه إلهاً واحداً أحداً لا شريك له ولا ولد، وهم في واقعهم يكفرون بجميع الملل، والديانات، ينشأ على ذلك صغيرهم ويهرم عليه كبيرهم، وإنما استتروا بدين الإسلام تقيّةً، وما زال أتباعهم في بلاد الشام إلى يومنا هذا[1].

ثم جاءت الفرق الباطنية المعاصرة، التي أُسّست من قِبَلِ الاستعمار الروسي، والإنجليزي، واليهودية العالمية، وهي البابية، والبهائية التي نشأت بإيران، وخرجت من رحم الرافضة الجعفرية، لتكمل مسيرة الباطنية الإلحادية في إنكار ربوبية الله ﷻ، وادّعائها فيمن الأنعام أحسن حالاً منهم، فالتوحيد -عندهم- هو معرفة الذوات البشرية التي حلّت فيها حقيقة الإلهية.

وهذا كفرٌ بربوبية الله ﷻ ونسبتها إلى مخلوق، وطريقتهم في ذلك هي طريقة باطنية، ظاهرها الدعوة إلى الإسلام، وباطنها الدعوة إلى الانسلاخ منه إلى الوثنية، وإنكار ربوبية الله ﷻ.

وهذه الدعوة الوثنية عند البابية «بدأت من الشوق إلى رؤية المهدي المنتظر الموعود الغائب الموهوم، بناء على الأساطير البالية القديمة، وانتهت من

---

(١) ينظر: كتاب مذهب الدروز والتوحيد، ص٣٨، والحركات الباطنية الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، ص ٢٢٣، وكتاب الموحدون الدروز في الإسلام، ص٦٧، وفرق معاصرة تنتسب للإسلام وموقف الإسلام منها ٢/ ٦١٢، وكتاب مذاهب فكرية معاصرة، ص٢٨٠.

البابية إلى المهدوية، ومن المهدوية إلى المسيحية، وإلى النبوة المستقلّة، ثم أخيراً إلى الألوهية، والربوبية»[١].

وما تقدم ذكره من تلك النماذج على كفر الباطنية بربوبية الله ﷻ، وإنكارهم لوجوده، تظهر ملاحظة مهمة بهذا الصدد، وهي أن فرق الباطنية على اختلاف مشاربها وتنوّع ضلالها، قامت عقائدها في مسالة الإيمان بالله ﷻ على تجريد الذات الإلهية من مطلق الصفات، لترتسم في الأذهان إلهاً لا فرق بينه، وبين سائر المعدومات، ليؤول الحال من إنكار الصفات إلى جحد الذات، وهذا هو المبدأ الذي كرّسه منظّرو فرق الباطنية لدى أتباعهم عبر وسائل شتّى ترمي إلى ذلك الغرض، وكلهم من حيث الجملة ينفذون إلى ذلك الإلحاد من طريق التشيّع لآل البيت، وأحقيّتهم بالولاية، ثم ألحقوا صفات الربوبية التي نفوها عن الله ﷻ بأيِّ مخلوق اعتقدوا فيه ذلك، حتى كانت الفرق الباطنية بطبيعة حالها شاهدين على أنفسهم أنهم لا يؤمنون بربٍّ في السماء، ولا يرجون له وقاراً، فكان سلوكهم مبنياً على ذلك، فهم من أفجر الخلق وأفسقهم، وأعظمهم تمرّداً على شرائع الله ﷻ.

---

(١) البابية عرض ونقد، ص١٩٣، وينظر: كتاب النحلة اللقيطة البابية والبهائية تاريخ ووثائق، ص٥٩، وينظر موقع البهائية على الشبكة العنكبوتية على الرابط: http://info.bahai.org/arabic/index.html.، ولا سيما كتابهم الأقدس الذي يضارعون به القرآن الكريم، فقد حشوه من الشركيات والكفر بربوبية الله تعالى، وهذا الكتاب يخفونه ولا يظهرونه لما فيه من الركاكة والسخف.

المبحث الثالث:

إنكار وجود الله ﷻ في المذاهب الفكرية المعاصرة، وفيه سبعة مطالب:

المطلب الأول: مذهب الوجوديين.
المطلب الثاني: مذهب الشيوعيين.
المطلب الثالث: مذهب العلمانيين.
المطلب الرابع: مذهب القوميين.
المطلب الخامس: مذهب الحداثيين.
المطلب السادس: مذهب اللبراليين.
المطلب السابع: مذهب العدميين.

توطئة:

المذاهب الفكرية في مفهومها، هي مجموعة الأفكار، والآراء التي أنتجها العقل البشري، والفكر المحض، تجاه قضية معينة، خاصةً في قضايا الوجود والحياة(١)، وتعتمد فيما يتعلّق بالاعتقاد، نبذ الأديان، والإلحاد، وتحقيق مطامح النفس في نزواتها، وشهواتها، «وقد نسبت تلك المذاهب إلى الفكر، لأنها جاءت من ذلك المصدر، وهو الفكر، أي: أنها لم تستند في وجودها على الوحي الإلهي أصلاً»(٢).

وهذه المذاهب تنوّعت في تفسير الحياة، والكون، ومصير الإنسان، وهي في كثير من أفكارها امتداد لفلسفات يونانية قديمة، وكلّ مذهب يُعزى إلى مؤسسه، أو إلى فكرته الرئيسة، بيد أن تلك التيارات الفكرية المعاصرة تتقاطع مع قاسم مشترك بينها، وهو إنكار وجود الله ﷻ، والإيمان بكل ما هو ماديٌّ خارج عن الإيمان بالغيب، وفي المطالب التالية يأتي -بمشيئة الله ﷻ- عرضٌ لانحراف أبرز تلك المذاهب في قضية وجود الله ﷻ، فمعرفة المسلم بانحرافات المذاهب الفكرية الجاهلية المعاصرة، تزيده معرفةً بكمال الدين الإسلامي(٣).

---

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، ص١٥، للدكتور محمود مزروعة، والمذاهب الفكرية المعاصرة، ص٤١.

(٢) المذاهب الفكرية المعاصرة، ص٤٢ .

(٣) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص٣٩، للدكتور جمعة الخولي، ومذاهب فكرية =

المطلب الأول: مذهب الوجوديين.

مذهب الوجودية مذهب فلسفي عُرف منذ الفلسفة اليونانية القديمة، وكان أصحابه لا ينكرون وجود الله ﷻ، حتى جاء في العصر الحديث من أضاف لهذا المذهب إنكار وجود الله ﷻ، وأشهره، وهو جان بول سارتر[(١)]، وذلك بعد الحرب العالمية الثانية، وما خلفته من دمار هائل، ليجد الإنسان الأوربي نفسه في عالم ملتهب، فمن تلك البيئة البائسة –الحرب، والخواء الروحي– التي هيأت للمذاهب الإلحادية أن تجد مكانها من قلوب أولئك، خرج مذهب الوجودية.

وهذا المذهب في مفهومه العام: اتجاه فلسفي يغلو في قيمة الإنسان، ويبالغ في التأكيد على تفرّده، ووجوده، وتتجه هذه الفلسفة إلى تكريس معنى: أن يجد الإنسان نفسه، وأنه صاحب تفكير، وحرية، وإرادة، واختيار، ولا يحتاج إلى موجّه، ومرشد، كما أنَّ أصحاب هذا المذهب لا يؤمنون إلا بما هو موجود محسوس، وما وراء ذلك –عندهم– فهو أوهام لا حقيقة لها.

والسبب في هذا الفكر الوجودي، أن هذه الفلسفة هي فلسفة تشاؤمية انهزامية تكرّس مفهوم كون الإنسان مقذوفاً به في هذا الكون من غير اختياره،

=

معاصرة، ص٢، لمحمد قطب.

(١) فيلسوف يهودي صهيوني فرنسي، ولد عام ١٩٠٥م، وتوفي عام ١٩٧٩م، له مؤلفات في الفلسفة، ومن أشد الناس في تقرير مبدأ إنكار وجود الله ﷻ . ينظر: المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات ٢/ ٨٦٣.

ويعيش فيه في ألم، وضجر، وقلق، وهم، ونصب، ولا معنى لبقائه في هذه الحياة، فالحياة عبث لا سبب لها.

فهذه النظرة اليائسة للحياة التي ركزت على الجانب الأسوء من حياة الإنسان، أفرزت أفكاراً مصادمة للفطرة، فجعلوا من الإنسان عبد نفسه، وأصّلوا لنفيِّ وجود الله ﷻ من قضية وجود الإنسان، وجعلوا من الوجود الإنساني منطلقاً لكل أفكارهم، فهم يعتقدون أن وجود الإنسان سابق لكل وجود، فوجوده سابق لماهيته، وما قبله عدم، ومعنى ذلك -عندهم- أن الوجود الإنساني هو وجود الأفراد لا النوع، فيوجد فلان، وفلان من الناس، أما النوع الإنساني فلا وجود له في الخارج.

وهذه الفلسفة ترمي إلى معنى: أن يحقق الإنسان وجوده بنفسه باتباع كل شهوة تميل إليها نفسه، ولا عليه بعد ذلك من قضية النوع الإنساني، إذ لا وجود له، والوجودية بهذا الفكر، تنتهج منهج الإباحية المطلقة(١).

وهذا الانحلال الخلقي المفرط، مبنيٌّ على إنكار وجود الله ﷻ، لأن الإيمان بالله ﷻ -في زعمهم- يحدُّ من حرية الإنسان، ومن استمتاعه بنفسه(٢).

---

(١) ينظر: الوجودية مذهب إنساني، ص١٢.

(٢) ينظر: الوجودية، لجون ماكوري، ص٣٩، والوجود والجدل في فلسفة سارتر، ص٣٣، والاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص٧٧، والموسوعة الميسرة ٢/ ٨١٨، والموسوعة العربية الميسرة ٧/ ٣٥٨٢، وبحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، ص٢٥١، والمذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها ٢/ ٨٥٧، والموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص١١٦، والمعجم الفلسفي =

ويقول سارتر متحدثاً عن مذهبه في الإلحاد: «أما نحن فإننا قوضناه - أي: الله تعالى عما يقولون علوا كبيرا- لكننا قلنا باستمرار وجود تلك القيم، بالرغم من اعتقادنا بعدم وجود الله»(١).

وهذا المذهب من أعظم المذاهب الإلحادية التي تنكر وجود الله ﷻ، وتدعو إلى مسخ الفطرة السوية، وتدعو إلى الفوضى الأخلاقية بدافع الاستمتاع بوجود الإنسان، خروجاً من القلق، والضيق الذي يعاني العيش فيه، وهذا المذهب له انتشار ذريع في كثير من بلدان العالم، وهذا ما يفسّر الهوس، والولع بكل أشكال إثارة الغرائز، واستخدام جسد المرأة في تحقيق المتعة، لأن من معتقداتهم أن الإيمان بوجود الله ﷻ يقيّد الحريات، ويحدُّ من الشهوات، بل ذهبوا إلى أن الأديان إنما يلجأ الإنسان إليها هروباً من الواقع الذي هو فيه، والإنسان المتدين -عندهم- جبان، لأنه يفرّ من الواقع إلى سراب وخداع(٢).

=

٢/ ٥٦٠، وكواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص٣٦٢.

(١) الوجودية مذهب إنساني، ص٢٣.

(٢) ينظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف السلم منها، ص٧٩.

المطلب الثاني: مذهب الشيوعيين.

الشيوعية الحديثة مذهب إلحادي أسسه كارل ماركس اليهودي الألماني[(١)]، وهو مذهب في ظاهره اقتصادي، يدّعي إنصاف الفقراء من الأغنياء، وينادي بتوزيع الثروة على الجميع، وإلغاء الملكية الفردية، والناس شركاء على حدٍّ سواء في المال، والنساء، وسائر الثروات، وهذه الشيوعية لم تكن وليدة العصر الحديث، بل لها امتداد في تاريخ البشر، فقد عُرفت الشيوعية لدى الفلسفة اليونانية، فقد دعا إليها أفلاطون في كتابه الجمهورية[(٢)]، ودعا إليها مزدك في بلاد فارس، وعُرف ما يسمّى بالمزدكية الفارسية[(٣)].

وهذا المذهب مذهب إلحاديٌّ، ينظر إلى الكون، والحياة من منظورٍ ماديٍّ، فأساس هذا المذهب إنكار وجود الله ﷻ، وكل المغيبات، ويصرحون بالكفر بثلاثة أشياء: الله ﷻ، والدين، والملكية الخاصة.

وفلسفة هذا المذهب في إنكار وجود الله ﷻ يتمثل في تفسير قوانين المادة، على النحو التالي:

يرون أن المادة هي الجوهر الأساسي الذي تنبثق من جميع الموجودات،

---

(١) كارل ماركس، ١٨١٨م – ١٨٨٣، رائد الشيوعية المعاصرة، ومؤسسها،ولد من أبوين يهوديين، ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٤٠١.

(٢) ينظر: نقد أصول الشيوعية، ص١٨.

(٣) ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني ١/ ٢٤٩.

وهذه المادة لها صفات، وقوانين تحكمها، وهي: أن المادة أزلية، لم يسبق وجودها وجود آخر، وكذلك تتميز بالأبدية، فهي غير قابلة للفناء، وتنبعث في دورات أبدية لا تنتهي(١)، وهذه المادة الأزلية الأبدية تقوم على مبدأ الحركة المختلفة الدائمة، وهذه الحركة هي نتيجة تلقائية للتفاعلات الكثيرة بين العناصر، ومنها خرجت الكائنات الحية، وتطورت، وتنوّعت.

وبالتالي فالكون وُجد بالمصادفة من غير خالق، ويظهر مما تقدم أنهم يقررون هذا الإلحاد بأسلوب علمي تجريبي في الظاهر(٢).

---

(١) وهي التي يسمونها: المادية الجدلية، وهي أن الكون يتوالد باستمرار، ويحمل في أحشائه قدرته الخاصة في الحركة والتحول، وهو بذلك ليس في حاجة إلى محرك، ولكنهم عجزوا عن بيان خالق الذرة الأولى التي نشأ منها الكون وبنُي عليها أول صراع، والشيوعية الماركسية قامت على أساس هذا التفسير الذي يسمى بالاشتراكية العلمية. ينظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية، ص١٠١.

(٢) ينظر: قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، ص٢٧٥، والمذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، ص٣٢٢، والمعجم الفلسفي ١/ ٧١٥، والتاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية، ص١٤، والشيوعية والإسلام، ص٢٧، والشيوعية وموقف الإسلام منها، ص٣٥.

المطلب الثالث: مذهب العلمانيين.

العلمانية مصطلح حديث عُرف منذ تاريخ الثورة الفرنسية في القرن السابع عشر ميلادي، ومصطلح "العلمانية" مصطلح لا صلة له بالعلم، ومعناه: اللادينية، أو الدنيوية، وهي تدعو إلى إقامة الحياة على مقتضى العلم الوضعي، والعقل بعيداً عن الدين، وهي باختصار: تدعو إلى إقامة الحياة على غير دين، وجاء تفسير العلمانية في دائرة المعارف البريطانية: أنها«حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس، وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بهذه الدنيا وحدها...ثم تطورت باستمرار كحركة مضادة للتدين، والدين المسيحي على وجه الخصوص»[(١)].

ومن هذا المفهوم للعلمانية انبثق منه ما يسمّى بالنظرة الإنسانية، التي اتخذت الإنسان محوراً لهذا الكون، وجعلت منه إلهاً تُيمّم شطره، فله الحرية المطلقة في كل شيء.

وهي تؤمن بالعقائد الغيبية، وقد جعلت من النظرة المادية البحتة في حياة الإنسان، وما يجري في العالم، وقوانينه منهجاً للتفسير ذلك، كما اعتمدت العلوم التجريبية، والمنهج التجريبي مبني على الشك في كل شيء، وعدم اعتماد مصداقينه إلا بعد إجراء التجارب عليه، ومن ثَمَّ الخلوص إلى النتائج، وهذا

---

(١) نقلاً عن العلمانية، للدكتور سفر الحوالي، ص٢٢، وينظر: تهافت العلمانية، ص٥٢، وموقف الإسلام من العلمانية، ص٩، والعلمانية الجزئية، والعلمانية الشاملة ١/ ٢١٩.

المنهج اتخذوه عامّاً في كل شيء، ولذلك وقف أصحاب هذا المسلك من قضايا الإيمان بالغيب موقف الرفض، والإنكار[١].

ولأجل ذلك، فقضية الإيمان بوجود الله ﷻ، في مذهب العلمانية يتفرّع إلى جانبين، هما:

الأول: من العلمانيين من ينكر وجود الله ﷻ، ولا يؤمن بديانةٍ إطلاقاً، وأصحاب هذا الاتجاه يطلق عليهم: مذهب العلمانية الملحدة، وهم يتسترون على إلحادهم بمسميات متعددة، فتارة يختفون خلف الشيوعية، وتارة أخرى خلف القومية، أو الوطنية، وهؤلاء هم المقصودون من هذا المطلب.

الثاني: ومنهم من يؤمن بوجود الله ﷻ إيماناً نظرياً، ولا يعتقد بوجود أيّة علاقة بين الله ﷻ، وبين الإنسان، كما أنه أيضاً لا علاقة للدين بالدنيا، وأصحاب هذا الاتجاه يطلق عليهم: العلمانية غير الملحدة، وخطرهم أشدُّ من سابقهم، لأجل مزجهم الباطل بشيء من الحق[٢].

---

(١) ينظر: العلمانية جذورها وأصولها، ص٣٣.

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة، ٢/ ٦٨٢، والعلمانية وثمارها الخبيثة، ص١٥.

المطلب الرابع: مذهب القوميين.

مذهب القومية خرج على الوجود، واستوى على سوقه في أوربا منذ أوائل القرن التاسع عشر ميلادي، وظهرت القومية بديلاً عن الرابط الديني، الذي انحسر نفوذه، وقُطع من السياسة قطعاً كلياً، وذلك بعد سيادة المذهب العلماني.

فكان الناس أشتاتاً لا تربط بينهم رابطة، فلابدَّ للناس من روابط تجمع وشائجهم، فكان البديل عن الرابط الديني هو الرابط القومي، فشاعت القومية في أوربا، وتشكلّت فيها القوميات، فجمعت أشتاتاً، وفرّقت مجتمعين، وتغيرت بها الخرائط السياسة[1].

«والقومية بهذا المعنى تدعو أصحابها إلى العمل على تعزيز ثقافتهم الموحّدة، وتدعيم تراثهم المشترك، وتنمية مصالحهم الخاصة، مع حصر جهودهم في هذا النطاق وحده»[2].

والمقصود بالقومية -هنا- هي التي فرّغها دعاتها من كل معنى ديني، وأطلقوها قومية علمانية، شعارها يخالف مضمونها، إذ هي لون من ألوان محاربة الأديان كافّة، ومن أخصّ ذلك الإيمان بوجود الله ﷻ، فالقومية أعادت صياغة العلمانية من وجه أخر أكثر تنظيماً وترسيخاً لمفهومها، وهي في حقيقتها تطبيق لفكر العلمانية، في إقصاء الدين عن الحياة، وبنائها على أساس ماديٍّ يجمع الناس على غير الدين.

---

(١) ينظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، ص٢٦٠.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، ص١٩٥

ومذهب القومية وجد له رواجاً في العالم الإسلامي، وتفرّع عنه بعض الأحزاب، كحزب البعث العربي الاشتراكي[١]،وقد اتخذ من هذا الشعار تبريراً لمحاربة كل ما يمتُّ إلى الإسلام بصلة.

وقد جمعت هذه النعرة القومية تحت شعارها الملاحدة، ومن لا دين له، لينفث سمومه باسم القومية وهو آمن، ومن هذه الحيثية كان فيمن انتسب إلى فكرة القومية من ينكر وجود الله ﷻ، وإن لم يتبنَ هذا المذهبُ الإلحادَ صراحة، ولكنه تضمّنه من واقع بعض من انتسب إليه، وشاهد ذلك من قول بعضهم:

آمنت بالبعث رباً لا شريك له ** وبالعروبة ديناً ما له ثاني[٢].

فهذا جعل حزب البعث رباً لا شريك له، وجعل القومية العربية ديناً لا يبتغي سواه، فأيُّ شرك في الربوبية، وإنكار للرب تعالى، فوق هذا؟.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في نقد القومية العربية، وبيان محاذيرها، أنها:«سلّم إلى موالاة كفار العرب، وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين، واتخاذهم بطانة، والاستنصار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم، ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير، والمخالفة لنصوص القرآن والسنة»[٣] .

---

(١) حزب عربي قومي علماني، أسسه النصراني السوري: مشيل عفلق، وشعار الحزب: أمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة، ويدعو إلى الوحدة العربية، والحرية، والاشتراكية. ينظر: الموسوعة الميسرة ١/ ٤٧٠، وحزب البعث، تاريخه، وعقائده، ص ١٣.

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٤٨٤،

(٣) نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، ص ٣٥.

المطلب الخامس: مذهب الحداثيين.

مذهب الحداثة يتلخص في الثورة على كل ما هو قديم، وثابت، والبعد عن كل ما هو سائد من مسائل العقيدة، والفكر، والقيم، واللغة، والمبادئ السياسية، والأدبية، والفنية.

والحداثة تعني التطور التاريخي، والتبدل الفكري الثائر على ما سبقه من العقائد، والثقافات، ويتبنّى هذا المذهب موقفاً معارضاً لجميع الحضارات السابقة، وما فيها من ثوابت.

فالحداثة بهذا المفهوم، هي خلاصة ما توصل إليه البشر من أفكار وقوانين، مصدرها العقول، والأمزجة، ثم صِيغت بأساليب فنية، وأدبية[1].

والأمر الأخطر في هذا المذهب الحداثي أنه صدىً للدعوات الإلحادية التي تنكر وجود الله ﷻ، وتصوغ هذا الإلحاد في قوالب الفنية، من قصص، وروايات، وأشعار في غاية الخبث والمكر، والجرأة على مقام الربوبية بكلامٍ عظيم، ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴾ [مريم: ٩٠].

ومن أمثلة ذلك، أنه جاء في كتابات بعض الحداثيين إنكارهم لقضية أن الكون ينقسم إلى خالق ومخلوق، وكون المخلوق يستمدُّ التعاليم والتوجيهات

---

(١) الحداثة في العالم العربي ١/ ١٢٣، والحداثة في ميزان الإسلام، ص١٧، والموسوعة الميسرة ٢/ ٨٧٨.

لسير حياته من الخالق، وفي ذلك يقول حسن حنفي[١] في إحدى ندواته: «إن العالم مقسوم إلى قسمين: الله والعالم، فينعكس ذلك حتماً في المجتمع، على السلطان الحاكم والمحكوم، وسينعكس في الأسرة على الرجل والمرأة، والسؤال الموجه لك هو: أن هناك ثلاث اختيارات، اختيار حركة تحرر المرأة، في البداية لتحرير المرأة من الرجل، وهناك المثقف العلماني الذي يبدأ بتغيير النظام السياسي، وهناك الذي يحاول تثوير الدين، ما لم نقض على هذا التصور الثنائي للعالم، ورؤية العالم بين حاكم، ومحكوم، وعلى المستوى الديني بين خالق، ومخلوق! فلن تستطيع حركات تحرر المرأة أن تفعل شيئاً، ولن يستطيع المثقف العلماني أن يؤدي دوره، ما لم نقض على هذا التصور، هذا السؤال الأول في آليات التغيير»[٢].

فهذه دعوة صريحة إلى إنكار وجود الله ﷻ، بمسمّى الرقي، والتغيير إلى الأفضل كما زعم.

ويصرّح أحد الحداثيين في مقال له بأنَّ عقيدة الإيمان بالله ﷻ مجرد فكرة بشرية! وليست ديناً يُتعبّد به رب العالمين، وأنها مجرد خدعة أخذها السذج من الناس، وقبلوها بسبب التخويف بالمواعظ.

يقول -عامله الله ﷻ بما يستحق-: «أحكي قصة قرية ريفية تعيش تحت

---

(١) حسن حنفي ولد في القاهرة عام ١٣٥٤هـ، تخرج من جامعة السوربون، وعمل أستاذاً للفلسفة في جامعة القاهرة، وله مؤلفات في الدعوة إلى نبذ أحكام الإسلام وتعاليمه. ينظر: الانحراف العقدي في أدب الحداثة ١/ ١٣٢.

(٢) نقلا من كتاب الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ١/ ١٣٢.

طغيان "فكرة الله" وصورته تصطبغ في ذهننا من خلال الوعظ، والتخويف بالقوة، والعشوائية، والقرية تستحب هذه الفكرة، وتستطيبها بعض النظر عن واقع حياتها المرير»[1].

(١) من مقالة الحداثي صلاح عبد الصبور، نقلاً من كتاب الحداثة في العالم العربي ٣/ ١٣٧٢، وانظر على سبيل المثال في انحرافاتهم وإلحادهم، الحداثة في العالم العربي ٤/ ١٣٥٥، والانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ١/ ١٣١، والحداثة في ميزان الإسلام، ص٦٧.

المطلب السادس: مذهب اللبراليين

الليبرالية لفظة أجنبية مأخوذة من الانجليزية (Liberalism) ومعناها: التحررية، وهو مذهب يكرّس معنى الحرية الشخصية، واستقلالية الفرد[١].

والسلطة، والحكومة معنية بحماية حرية المواطنين في أيّ مجال، كحرية الفكر، وحرية التعبير، «ومذهب الحرية...يقرر أن وحدة الدين ليست ضرورية للتنظيم الاجتماعي الصالح، وأن القانون يجب أن يكفل حرية الرأي والاعتقاد»[٢].

والليبرالية هي الوجه الآخر للعلمانية، التي تعظّم من قيمة الإنسان، وترى أنه مستقل في إدراك حاجاته، ومستغنٍ بنفسه عمن سواه، والليبرالية تنتهج إزاء النصوص الدينية الطريق العقلاني، كما أنَّ الإنسان عند الليبراليين إلهُ نفسه، وعابد هواه، غير محكوم بشريعة، وكل شيء في المذهب الليبرالي متغيّر، وقابل للجدل، والأخذ، والرد، جاء في الموسوعة الأمريكية: «إن النظام الليبرالي الجديد الذي ارتسم في فكر عصر التنوير بدأ يضع الإنسان بدلاً من الإله في وسط الأشياء، فالناس بعقولهم المفكرة يمكنهم أن يفهموا كل شيء، ويمكنهم أن يطوروا أنفسهم، ومجتمعاتهم عبر فعل نظامي وعقلاني»[٣].

---

(١) ينظر: حقيقة الليبرالية، وموقف الإسلام منها، ص١٠٩.

(٢) المعجم الفلسفي ١/ ٤٦٥.

(٣) نقلاً من كتاب حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، للدكتور السلمي، =

والذي أريد أن أسلط عليه الضوء من هذا المذهب، هو انتهاج الليبرالية لمنهج الحرية المطلقة في كل شيء، شريطة ألا يخالف القانون البشري، ومن تلك الحرية حرية الاعتقاد التي تترجم في حقيقتها حرية الإلحاد[1]، لأن من سمات الإلحاد المعاصر تقنين الحرية في العقيدة، والليبرالية تعتمد في فكرها الحرية المطلقة، التي يصفونها بأنها هي «المبدأ، والمنتهى، والباعث، والهدف، والأصل، والنتيجة في حياة الإنسان»[2].

فالليبرالية من هذا المنطلق «أشبه بمنظومة فكرية شاملة تعطي تصوراً يكاد يكون ديناً وضعياً مادياً، يضاهي الأديان السماوية في تصوراتها عن الإنسان، وغاية وجوده، وأسباب سعادته، وإذا كانت الليبرالية ديناً، فإنها الدين الذي يشرعه كل إنسان لنفسه...وقد وصف المفكر "مارنيت" وظيفة الليبرالية، والأساس الذي تقوم عليه بأنه: تثبيت الحق الطبيعي في مواجهة الدين الإلهي.

فالليبرالية إذاً من خلال ما سبق هي مجموعة من الأفكار الإلحادية التي تعكس رؤيةً ذات أبعاد اعتقادية في تفسير الوجود، ووظيفة الحياة، ودور الإنسان فيها، فهي شريعة أهواء متقلبة، وليست كما يتصورها بعضهم مجموعة من القيم الإنسانية التي تدور حول تقديس حرية الفرد، وحقوق الإنسان

=

ص١٠٢.

(١) ينظر: موسوعة السياسة ٥/ ٥٦٦.

(٢) مفهوم الحرية، ص٣٩.

فقط»[١].

وأساطين الليبرالية من الغربيين يرون أن قضية الإيمان بوجود الله ﷻ، وصفاته، مجرد أفكار بشرية لا علاقة لها بالسماء، والدين كذلك مجرد ظاهرة إنسانية، وخلاصة تجارب شخصية، وهذا الفكر يجعل الأديان مجردة عن الثوابت، وبالتالي فلا يقين فيها، ومن أخصّ ذلك قضية وجود الله ﷻ، قد جعلوها من الأشياء النسبية[٢].

---

(١) معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، ص٣٦-٣٧.

(٢) ينظر: معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، ص١٠٣، والتعددية الدينية في فلسفة جون هيك، ص٤٥.

المطلب السابع: مذهب العدميين.

العدمية: مذهب أدبي، وفلسفي خرج في أوربا في القرن التاسع عشر ميلادي، وانتشر في انجلترا وفرنسا بشكل خاص، وهذا المذهب اهتم بالعدم الذي هو نهاية الوجود.

والعدمية في منهجها الإلحادي تجعل وجود الإله وعدمه سواء، وإذا كان مصير الإنسان العدم، فعليه أن يستغلَّ وجوده لإشباع رغباته دون قيود ولا حدود.

وقد لخص فيلسوف العدمية «فردريك نيتشه» مذهب العدمية فيما يدعيه بـ "موت الإله"، ثم اتخذ من فكرة الإنسان الأعلى "السوبرمان"(١) إلهه ومعبوده، وكرّس فلسفته للتبشير بهذه الخرافة، التي تزعم الوصول بالإنسان إلى "السوبرمان" عن طريق الصراع، والتطور الذاتي، وتطبيق قانون: البقاء للأقوى، فلا بد من رفض الإنسان لكل الأشياء التي ورثها، بما فيها الدين، لكي تنطلق نفسه لتحقيق ذاته من غير معوّق إلى كل ما يريد، فهذا الكون لا بقاء فيه للضعفاء، والدين، والقيم، والأخلاق معوقات للإنسان عن الوصول إلى أهدافه، وغاياته.

---

(١) و هذه الخرافة الإلحادية تنشر في عقر بيوتات المسلمين عن طريق الأفلام الكرتونية التلفزيونية التي يراها أطفال المسلمين، ولا تُعرف أصولها الإلحادية، ولذا وجب التنبيه على هذه الأفكار الإلحادية التي تترجم عن طريق الأفلام ونحوها، ينظر: كتاب الغزو الفكري في أفلام الكرتون، ص١٨.

ويرى هذا الفيلسوف الملحد سقوط القيم العليا، فكل القيم، والأخلاق، والأديان لا اعتبار لها، وغير قابلة للتطبيق، فالدين -عنده- أكبر خرافة توارثتها الإنسانية جيلاً بعد جيلاً، وأن الدين، والأخلاق من مظاهر الضعف، والانحطاط الإنساني [١].

وجرى خلف هذه الفلسفة الإلحادية في العصر الحديث جملة من نصارى العرب، والباطنيين، والحداثيين، ومن هؤلاء الملاحدة جبران خليل جبران في كتابه المسمّى: "المجنون"! يرى أن الأخلاق، والقيم الدينية قد تهدمت في العصر الحديث، وأنَّ الإلهة ليس لها وجود[٢]، وأشاد به الشاعر النصيري الملقب: أدونيس، في كتابه الثابت والمتحول، ويقول: «العدمية هي التي تميز المرحلة العربية الراهنة»[٣]، ويقول أيضاً «الأخلاق التي يدعو إليها جبران هي التي تعيش موت الله»[٤].

وهذا المذهب لون من ألوان الإلحاد المعاصر، وطريقة حديثة في إنكار وجود الله ﷻ، باعتبار وجود الإله، أو عدمه سواء، إذ لا إيمان به - عندهم- إطلاقاً.

---

(١) ينظر: كتاب هكذا تكلم زرادشت، لفردريك نيتشه، ص٣ وما بعدها، وكتاب ما بعد الحداثة، الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، ص٢٣، مذاهب فكرية معاصرة، للدكتور محمود مزروعة، ص١٩٩.

(٢) ينظر كتاب المجنون، ص٥، وما بعدها.

(٣) الثابت والمتحول، صدمة الحداثة، ٤/ ١٦١.

(٤) الثابت والمتحول، صدمة الحداثة، ٤/ ١٦٠.

المبحث الرابع:

وصف اللّه ﷻ بسلب النقيضين.

المبحث الرابع: وصف الله ﷻ بسلب النقيضين.

النقيضان هما: اللذان لا يجتمعان، ولا يرتفعان، بمعنى أنه لا يمكن أن يرتفع أحدهما إلا بوجود الآخر، ولا يمكن أن يرتفعا جميعاً، فإذا قلت: أزيد داخل البيت، أم خارجه؟ فبالضرورة العقلية أن يكون داخله، أو خارجه، وليس هناك غير هذه النسبة الثنائية(١).

وسلب النقيضين نفيهما جميعاً، مثل وصف الشيء أنه لا موجود، ولا معدوم، وهذا وصف بالممتنع، أو بالمستحيل.

ومن صور إنكار وجود الله ﷻ، وصفه بنفي النقيضين، فيقال: لا موجود، ولا معدوم، ولا يوصف بالحياة، ولا الموت، ونحو ذلك.

وبعد ذلك يظهر أثر سلب النقضين عن الذات الإلهية في الاعتقاد بوجود الله ﷻ، وتقدم معنا شطرٌ من هذا المبحث في عقيدة الباطنية في الله ﷻ(٢)، وأنها قائمة على سلب النقيضين عن الله ﷻ، فلا يقال هو موجود ولا معدوم، ولا ميت، ولا حيّ، ولا داخل العالم، ولا خارجه، ولا يُوصف بأيّ صفة، فجردوا الذات عن الصفات، فكان ذلك من جملة الممتنعات فضلاً عن المعدومات، فأثبتوا إلهاً يمتنع وجوده.

وهذه العقيدة بدورها أتاحت سبباً رئيساً لإنكار وجود الله ﷻ، ولذلك

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١/ ٤٨، والحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، ص٧٣، والكليات، ص٧٣.

(٢) ينظر صفحة: ١١٣.

عُرف في هذا الزمن المعاصر مفهوم: "الإله الباطني" أنَّ الإيمان بالله ﷻ، إيمانٌ ليس له وجود خارجي، وإنما هو في حقيقته إيمان بمجموعة من المُثُل والمبادئ الخُلُقية [١].

وهذا هو التعطيل المحض لوجود الخالق ﷻ، والذي أصبح شائعاً بين المثقفين من أهل الكتاب اليهود، والنصارى في هذا الزمن المعاصر، فالمسافة ليست بعيدة بين الإلحاد، وبين إثبات ذات مجردة من الصفات، وليس لها وجود إلا ذهني لا يمكن تصوره في الخارج.

ولما دخلت الباطنية الغلاة على عقائد المسلمين، بهذه العقيدة الإلحادية -سلب النقيضين عن الله ﷻ- تصدى لها جهابذة علماء أهل السنة والجماعة، وأدركوا خطورة هذه العقيدة الإلحادية، فبيّنوا زيفها، وألفوا الكتب للردّ على أصحابها، ولولا أن الله ﷻ قيّضهم للذب عن دينه، لوجد الإلحاد طريقه إلى المسلمين.

---

(١) ينظر: الفيزياء ووجود الخالق، ص٢٣.

المبحث الخامس:

الشك أو التشكيك في وجود الله ﷻ.

المبحث الخامس: الشك أو التشكيك في وجود الله ﷻ.

الشك في اللغة، اشتقاقه، إما من الخرق في الشيء، والدخول فيه، يقال: شككته بالسلاح، أي: دخل السلاح في جسده، وخرقه، أو من اللصوق في الشيء.

فالشك ضد اليقين، فكأن الشك خرقٌ في الشيء، بحيث لا يجد الرأي مستقراً فيه، أو من اللصوق، بحيث يتلاصق الأمران، بحيث لا مدخل للرأي، ولا للفهم فيه، ومن ذلك جاء معنى الشك المنافي لليقين، كما قال الخليل بن أحمد: «الشك نقيض اليقين»[(١)].

والشك في الاصطلاح: «هو الاسترابة في معتقدين فصاعداً، من غير ترجيح أحدهما على الثاني»[(٢)].

وكذلك أيضاً «الشك: ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشيئين لا يميل القلب إلى أحدهما، فإذا ترجح أحدهما، ولم يطرح الآخر فهو ظن، فإذا طرحه فهو غالب الظن، وهو بمنزلة اليقين»[(٣)].

والشك في ذاته متفاوت، ودرجات بعضها دون بعض، فيطلق الشك و«يراد به تارة ما ليس بيقين، وإن كان هناك دلائل، وشواهد عليه»[(٤)]، ويطلق

---

(١) كتاب العين ٥/ ٢٧٠، وينظر: لسان العرب ١٠/ ٤٥١، والمفردات في غريب القرآن، ومقاييس اللغة ٣/ ١٣٣ .

(٢) الإرشاد، للجويني، ص١٤.

(٣) التعريفات، ص: ١٦٨.

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٣/ ١١.

أيضاً على مطلق التردد[١]، ويطلق أيضاً على ما دون طمأنينة القلب [٢]، كما يطلق على الخواطر، والخطرات القلبية، والوساوس النفسية[٣].

وكذلك هناك فرق دقيق بين الشك، والريب، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «والريب يكون في علم القلب، وفي عمل القلب، بخلاف الشك فإنه لا يكون إلا في العلم، ولهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه علماً، وعملاً»[٤].

ومن المعلوم من الدين بالضرورة، أنَّ الإيمان بالله ﷻ، لابد فيه من اليقين التام، والإيمان الجازم الذي لا يتطرق إليه شك ألبته، قال الله ﷻ: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[إبراهيم: ١٠].

والشك في وجود الله ﷻ أحد نواقض الإيمان الاعتقادية المخرجة من الملة، لأن الشك منافٍ لليقين، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾[الحجرات: ١٥].

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون ١/ ٧٨٠.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١١/ ٢٣.

(٣) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر ٦/ ٤١٣.

(٤) مجموع الفتاوى٧/ ٢٨١.

والشك بهذا الصدد معناه: أن الإنسان لا يترجّح عنده: هل الله ﷻ موجود، أم غير موجود؟ فيكون حائراً بين هذين الأمرين، لا يدري ماذا يعتقد، بخلاف من أنكر وجود الله ﷻ ابتداءً.

الفرق بين الشك، والوسوسة:

هذا، وثمَّت فرقٌ بين الشك، وبين الوسوسة العارضة، ذلك أن الوسوسة «هي مما يهجم على القلب بغير اختيار الإنسان، فإذا كرهه العبد ونفاه، كانت كراهته صريح الإيمان»(١)، وهذا ما أفتى به النبي ﷺ من سأله عن الوساوس العارضة، فعن أبي هريرة ﷺ، قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: «وقد وجدتموه؟» قالوا: نعم، قال: «ذاك صريح الإيمان»(٢)، وأما الشك في وجود الله ﷻ، فإنه مبطل لأصل الإيمان، لمنافاته اليقين، الذي هو أحد شروط كلمة التوحيد: لا إله إلا الله(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى ١٤/ ١٠٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان، وما يقوله من وجدها، رقم الحديث (١٣٢).

(٣) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص١١٢.

المنهج الشكي في وجود الله ﷻ:

منهج الشك في الذات الإلهية بصفة عامة، اتجاه قديم عُرف عند الفلاسفة اليونانيين، وكان مذهباً لطائفة منهم، إلى أن خرج في العصر الحديث وهو مذهب "اللاأدرية"(١)، وتطور مع مرور الزمن، إلى نشوء القول باستحالة المعرفة، وإنكار الحقائق المطلقة، ففلسفتهم تدور على هذا المحور، إذ ليس في مقدماتها ما يفيد اليقين القطعي، فأصول العلوم عندهم من الشك خرجت، وإليه تعود، لأنَّ الوسائل التي يدركون بها العلوم حسيّة، وما خرج عنها فلا اعتبار له(٢).

فحاصل أمرهم ينتهي إلى أمرين: الشك في أي معلومة، ودعوى نسبية الحقيقة، وأنها ليست مطلقة.

---

(١) المتجاهلة اللأدرية مذهب فلسفي، مشتق من كلمة: لا أدري، ويقوم على الإنكار الكلي، أو الجزئي لإمكان معرفة حقائق الأشياء، وخاصة ما وراء الطبيعة، كوجود الله ﷻ، ويقولون: باستحالة التأكد من وجود الله ﷻ، أو عدم وجوده، ويمثل هذا الفكر الإنجليزي توماس هكسلي ١٢٤٠هـ-١٣١٢هـ، باعتباره أول من صاغ مصطلحات هذا الفكر في العصر الحديث. ينظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ص٣٨٧، والموسوعة الفلسفية، لعبد المنعم الحنفي، ص٣٩٠.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ٥٧، وأثر السفسطائية على بعض شكاك أوربا، ص٥٣.

ومن هذا المنهج الشكي في العلوم الغيبية، وما يسمونه: ما وراء الطبيعة -الميتافيزيقيا- قائم على هذا الأصل -الشك-، فليس في فلسفاتهم ما يدعو في هذه القضية إلى اليقين، بل يعدون الغيب، وكل ما يتصل به نوعاً من الخرافة.

وما تقدم كان له أثره على الفلسفات الفكرية الحديثة، ومذهب الشك هو الذي يستند عليه الفكر الغربي المعاصر، منذ أن جدد أنصابه في العصر الحديث الفيلسوف "رينيه ديكارت"، إذ دعا إلى الشك في كل شيء، ومن أفكاره: أنه لا شيء يقيني في العالم، فكل ما في العالم فهو محلُّ الشك أوّلاً، حتى يصل إلى اليقين، كما يرى ديكارت أن معظم ما يعرفه الناس، ليس يقيناً، وإنما أخذوه على علاّته دون نقد، ولذلك فإنه من الضروري أن تبنى المعلومات أيّاً كانت على الشك، ودون أي موروث سابق، لكي تُؤسس على اليقين![(١)].

وهذا المذهب سرى في الغيبيات، وما لا يدرك إلا بالوحي الإلهي، ولذلك فقد اشتدَّ هجوم أصحاب هذه المذاهب الفكرية المعاصرة عليه، إنكاراً وتشكيكاً فيه، لأنَّ مدركاتهم المعرفية قائمة على المنهج التجريبي الحسي، وما لا يخضع لهذا القانون، فمصيره الرفض، أو الشك، ومن أجل ذلك زعم الفيلسوف الاسكتلندي الملحد دافيد هيوم[(٢)] أنَّ وجود الله ﷻ لا يمكن التدليل عليه بالعقل، فإذا كان لا يستطيع التدليل على وجود الله ﷻ بالعقل،

---

(١) ينظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي ١/ ٤٩١.

(٢) فيلسوف بريطاني، ١٧١١م -١٧٧٦م، ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص١٧٢.

ولا يؤمن بوحي، فمآل ذلك إلى الشك المفضي إلى الإنكار، وإن لم يدعُ إلى الإلحاد صراحة(١).

وكذلك هذا المنهج انتقل إلى المسلمين، وتلقفه عن فلاسفة الغرب من تأثر بهم، وذلك على مستوى الفرق الكلامية، وكان هذا المذهب عندهم يقوم على الشك في كل شيء، حتى ذهب بعضهم إلى القول بالشك في وجود الخالق، زعماً أن هذا الطريق يوصل إلى اليقين التام (٢).

وقد تأثر أيضاً بهذا الفكر في العصر الحديث، من عبَّ من ثقافة الحضارة الغربية، حتى أثار التشكيك حول أعظم مصدر من مصادر الإسلام، وهو القرآن الكريم، ليثير الشكوك في كل أركان الإيمان الستة، وهذا طه حسين الذي يقول: «أريد أن اصطنع في الأدب العربي هذا المنهج الفلسفي الذي استحدثه "ديكارت" للبحث عن حقائق الأشياء في أول هذا العصر الحديث، والناس جميعاً يعلمون أن القاعدة الأساسية لهذا المنهج، هي أن يتجرد الباحث من كل شيء كان يعلمه من قبل، وأن يستقبل موضوع بحثه خالي الذهن مما قيل فيه خلواً تاماً»(٣)، وهذا المذهب قد يكون صحيحاً في

(١) ينظر: تاريخ الفكر الأوربي الحديث، ص٢٢٤، وتاريخ المعرفة في الإسلام، ص٤٩١، وقضايا الأدب والثقافة، لأنور الجندي ص٢٠١، والفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية، ص٥٥، وكتاب موقف من الميتافيزيقا، ص٧٨.

(٢) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام ١/ ٤٨.

(٣) في الشعر الجاهلي، ص٨.

بعض العلوم الدنيوية، ولكن ما جاء عن طريق الوحي، فلا يجوز فيه إلا الإيمان التام.

وما ذكره طه حسين كان مقدمةً بين يدي أفكاره الشكيّة، فقد جعل القرآن الكريم كتاباً أدبياً، لابد أن يخضع للنقد، ولا بد أن يُمرّر كل ما فيه على قاعدة "الشك الديكارتي"، فشككّ فيه من جهة مصدره، ومن جهة مضمونه، ومن أخصِّ ذلك: قضية وجود الله ﷻ.

وهذا بدوره قد هيأ طريقاً للشك في وجود الله ﷻ، حتى تناولها من تأثر بهذا المنهج بتلك القاعدة الأساسية! التي تجرده من الإيمان، وبسبب ذلك شكّك في وجود الله ﷻ عبر رواية إلحادية سماها: أولاد حارتنا، وتقدم الكلام عليها[1].

وتأمل في هذه الفلسفة كيف تجعل ما هو من قبيل المسلمات الغيبية، ومن أخصها الإيمان بوجود الله ﷻ، عُرضة لعواصف الشك، بدلاً من اليقين التام، وهذا جاء من الخلط بين العلوم الدنيوية التجريبية، وبين العلوم الإلهية التي مستندها الوحي المعصوم، فجُعل مذهب النقد الشكي جارياً على الكلّ.

---

(١) ينظر صفحة: ١٠٧.

الفصل الثاني:

القول بوحدة الوجود ،
وفيه تمهيد ، وثلاثة مباحث:

تمهيد: أصل القول بوحدة الوجود عند النحل والملل قبل الإسلام.

المبحث الأول: وحدة الوجود عند الطوائف المنتسبة للإسلام.

المبحث الثاني: وحدة الوجود عند المدرسة العقلية الحديثة.

المبحث الثالث: وحدة الوجود عند المذاهب الفكرية المعاصرة.

تمهيد: أصل القول بوحدة الوجود عند النحل والملل قبل الإسلام.

وحدة الوجود مذهب فلسفي، يقول بأن الله ﷻ، والطبيعة حقيقة واحدة، وأن وجود الله ﷻ هو الوجود الحق، وما عداه من الموجودات فمظاهر لوجوده، دون أن يكون لها وجود قائم بذاته.

وعُرف هذا المذهب منذ القدم في الديانة الهندوسية، ونصوص كتبهم المقدسة فيها ذكر لهذه العقيدة، على أنها من ركائز هذه الديانة، ويزعمون أنهم يؤمنون بإله هو رب الكون، وهو أصل كل ما هو موجود، وهو الروح المحيطة بالعالم، والبشر يعيشون بداخله، وغاية الغايات –عندهم– هو أن يستحضر الإنسان وحدة الوجود، ويفنى في الآلهة[1].

وهذا يفسر كثرة معبودات الهندوس، لأنهم يرون كل ما في الطبيعة مظاهر للإله.

كما عُرفتْ هذه العقيدة أيضاً عند الفلاسفة اليونان، ولعل ذلك من تأثرهم بحضارة الهند، وكما أنَّ هذا المذهب أيضاً له ارتباط بمفهومهم عن أصل هذا العالم، ومنشئه، فقد اتفقوا على ماديّته المتركبة من الماء، والهواء، والطين، والنار، وأن عناصره مترابطة بعضها ببعض، كما اتفقوا أيضاً على أزليته، وتحدّث بعض الفلاسفة اليونان عن الله ﷻ بوصفه الطبيعة، وعن الطبيعة بوصفها الله ﷻ، ولمّا كان الإله، والطبيعة شيئاً واحداً، فالوجود –

(١) ينظر: التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، لأورانج رحمات، ترجمة: رؤوف شلبي ص١٧٨، نقلاً من كتاب وحدة الوجود الخفية، ص٦٨.

عندهم- شيء واحد.

ووحدة الوجود قد عُرفت كذلك في الفلسفات الإغريقية، والفارسية، كما تأثر بها أهل الكتاب من اليهود، والنصارى(١).

وهذه الفلسفات، والديانات ألقت بأثرها على عقيدة المسلمين، ودخلت عليهم فلسفة وحدة الوجود، وقالت بها بعض طوائف أهل القبلة، ومن ينتسب إلى الإسلام ظاهراً، وذلك كما يلي في المباحث التالية:

(١) ينظر: فلسفة وحدة الوجود، ص١٥، وكتاب الهندوسية وتأثر بعض الفرق الإسلامية بها، ص٥٠٦، والمعجم الفلسفي، لجميل صليبا ٢/ ٥٦٩ ، وعقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، ص٦٧، والتصوف المنشأ والمصادر، ص١١٤، والموسوعة العربية الميسرة ٧/ ٣٥٨٣، وفلسفة وحدة الوجود، ص ١٧، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/ ١٤٠.

المبحث الأول:

وحدة الوجود عند الطوائف المنتسبة للإسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: وحدة الوجود عند الجهمية.
المطلب الثاني: وحدة الوجود عند الصوفية.
المطلب الثالث: وحدة الوجود عند الفرق الباطنية.

المطلب الأول: وحدة الوجود عند الجهمية.

الجهمية[١]هم الذين أنكروا جميع الأسماء، والصفات، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: «أنّ التجهّم المحض، وهو نفي الأسماء، والصفات، كما يُحكى عن جهم، والغالية من الملاحدة، ونحوهم ممّن نفى أسماء الله الحسنى»[٢].

ومن عقيدتهم في الله ﷻ إنكار علوّ الله ﷻ على خلقه، واستوائه على عرشه، وهؤلاء في ذلك على قولين مختلفين:

فغاليتهم يقولون: «لا هو داخل العالم، ولا خارجه، ولا مباين له، ولا محايث له، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما»[٣].

ومن غلب عليه التعبّد، والتأله منهم، وهم حلولية الجهمية، فإنه يقول: «إنه بذاته في كل مكان...وهؤلاء القائلون بالحلول، والاتحاد، من جنس هؤلاء فإن الحلول أغلب على عباد الجهمية، وصوفيتهم، وعامتهم، والنفي، والتعطيل أغلب على نظّارهم، ومتكلميهم، كما قيل: متكلمة الجهمية لا

---

(١) الجهمية: هم أتباع الجهم بن صفوان الترمذي، ومن عقائدهم: إنكار الصفات، والقول بأن الجنة والنار تبيدان، وأن الإيمان هو المعرفة فقط. ينظر: مقالات الإسلاميين، ص٢٧٩، والفرق بين الفرق ص ١٥٨.

(٢) النبوات ١/ ٥٧٨.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٩٨.

يعبدون شيئاً، ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء»(١).

والذي يظهر من قوله هذا، أنَّ من غلب عليه من الجهمية الفلسفة، وعلم الكلام جعل وجود الله ﷻ وجوداً ذهنياً خالياً من كل وصف، وهذا لا يعدو أن يكون وصفاً بالعدم(٢).

ومن غلب عليه التصوف، والتزهد، جعل وجود الله ﷻ عين وجود المخلوقات، كما قال في موضع أخر: «والجهمية نفاة الصفات، تارة يقولون: بما يستلزم الحلول والاتحاد، أو يصرحون بذلك، وتارة: بما يستلزم الجحود والتعطيل»(٣).

ومن عقائدهم الفلسفية في مسألة وجود الله ﷻ، «أنَّ الله ﷻ هو الوجود المطلق، الثابت لكل موجود»(٤)، وفرّعوا على هذا الأصل الذي أصّلوه، قولهم: كان الله ﷻ، ولا مكان، ولا زمان، وهو الآن على ما عليه كان(٥).

ومقصودهم من هذه العبارة، أنه «كما كان في الأزل، ولا شيء معه، قالوا: إذ الكائنات ليست غيره، ولا سواه، فليس إلا هو، فليس معه شيء آخر، لا أزلاً، ولا أبداً، بل هو عين الموجودات، ونفس الكائنات، وجعلوا

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٩٨.

(٢) ينظر صفحة: ١٤١.

(٣) مجموع الفتاوى ٦/ ٣٨.

(٤) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٢٩.

(٥) ينظر: بيان تلبيس الجهمية ١/ ٥٦٤.

المخلوقات المصنوعات، هي نفس الخالق البارئ المصوّر، وهم دائماً يهذون بهذه الكلمة: وهو الآن على ما عليه كان، وهي أجل عندهم من: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَـدٌ﴾ [الإخلاص:١]، ومن آية الكرسي، لما فيها من الدلالة على الاتحاد الذي هو إلحادهم»[١].

وهذا المذهب الإلحادي الذي يؤول إلى إنكار وجود الله ﷻ، وإلى إلغاء الأديان، وإحداث الفوضى العارمة في السلوك، والأخلاق، قد مهّد لحلولية الصوفية أن يأتوا من الكفر بما لا يُعرف عند أحد قبلهم، والصوفية وليدة الجهمية، وربيبتها في هذا الإلحاد[٢].

وعندما أذكر قول الجهمية الغلاة في مسألة وحدة الوجود، لا يعني أنَّ ذلك القول قد انقرض، بل ما زال لهذا القول من الكتّاب المعاصرين من يحييه، ويدعو إليه[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى ٢/ ٢٧٤.

(٢) ينظر:مجموع الرسائل، لابن تيمية ٤/ ٤٢، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ١/ ٣٥٢.

(٣) ينظر صفحة: ٣٩٩.

المطلب الثاني: وحدة الوجود عند الصوفية.

المقصود بالصوفية في هذا المطلب، هي التي تأثرت بالفلسفات والديانات القديمة، واخترعت أنواعاً من العبادات، والطقوس، والأفكار المناقضة لدين الإسلام، بل والمناقضة لجميع ما جاءت به الرسل والأنبياء، وظهر فيهم الاعتقاد بوحدة الوجود، على النحو الذي آلت إليه الصوفية في العصور المتأخرة، والتي انتقلت من البدع العملية إلى البدع العلمية، التي لا يبقى معها من دين الإسلام شيء(١).

وهذه العقيدة الإلحادية -وحدة الوجود- هي أهم عقائدهم، ومن وصل إليها فقد وصل إلى غاية الغايات، ومنتهى الطلبات، ولذلك التصوف -عندهم- غايته، وقطب رحاه، يدور على أمرين هما: وحدة الوجود، والإنسان الكامل(٢).

والصوفية قد افترقت طرائق قِدداً، مختلفة في الطقوس، والأذكار، والعبادات، ولكنها على اختلافها اتفقت على غاية واحدة، وهي وصول المريد إلى وحدة الوجود، وقد جعلوا الوسيلة إليها عن طريق الرياضات النفسية التي يقوم بها السالك، والمريد، حتى يصل إلى مرحلة يتصوّر فيها اندماج الكون، والمخلوقات في الوجود الرباني، حتى يشعر أنه هو، والكون، والله ﷻ

---

(١) ينظر: عوارف المعارف، للسهروردي، ص ٥٤.

(٢) ينظر: غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، للنفزي ١/ ٢٨٤، وعقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية. ص٨٧ ، وص٢٣١.

شيء واحد، لكي يفنى عن وجوده البشري الموهوم -في زعمهم- بالوجود الرباني الذي هو عين كل شيء[(١)].

وهذه العقيدة من أعظم الشرك بربوبية الله ﷻ، وقد تكلموا عن هذا الإلحاد، والشرك بكلامٍ يشبه كلام أهل العلم، والإيمان، و«كسوا الإلحاد حلية الإسلام، ومزجوه بشيء من الحق، حتى راج أمرهم على خفافيش البصائر»[(٢)]، وهم بذلك يضاهئون قول الذين كفروا من قبل، وقد شابهوهم من وجوه ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «والقائلون بوحدة الوجود، حقيقة قولهم هو قول ملاحدة الدهرية الطبيعية، الذين يقولون ما ثَمَّ موجود إلا هذا العالم المشهود، وهو واجب بنفسه، وهو القول الذي أظهره فرعون، لكن هؤلاء ينازعون أولئك في الاسم، فأولئك يسمون هذا الموجود بأسماء الله، وهؤلاء لا يسمونه بأسماء الله، وأولئك يحسبون أن الإله الذي أخبرت عنه الرسل هو هذا الموجود، وأولئك لا يقولون هذا، وأولئك لهم توجه إلى الوجود المطلق، وأولئك ليس لهم توجه إليه»[(٣)].

وهذه العقيدة تؤول إلى عقيدة الفلاسفة في قدم العالم، والقول بأزليته، ولذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية مآل عقيدتهم بقوله: «فإن القائلين

---

(١) ينظر: حقيقة العبادة عند ابن عربي، ص٤٤، وتاريخ التصوف الإسلامي، ص١٩، وعقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية. ص٨٧.

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، ص ٢٦.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٦٣.

بوحدة الوجود يقولون: بقدم العالم تصريحاً، أو لزوماً»[1].

ومن نظر إلى عقيدة وحدة الوجود، وما تنتهي إليه من القول بأزلية العالم، وقدمه، وأنَّ الوجود كله عبارة عن مظهر الإله، عَلِم أنَّ العقيدة وثنية شركية، وضعت في قوالب من زخرف القول، والتمويه، أُلبست لباس الحق زوراً، والخطر الأعظم أن يجعل الباطل البيّن البطلان، في ثياب أهل الحق والإيمان.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٣/ ١٦٥.

المطلب الثالث: وحدة الوجود عند الفرق الباطنية.

الفرق الباطنية لم تختلف عما تقدم من عقيدة الصوفية في وحدة الوجود، فكلاها يجمعهما وصف الباطنية، غير أن الباطنية التي انتهجت منهج التشيع لآل البيت في الظاهر[(١)]، لها ما تتميّز به عن عموم المذهب الباطني، بناءً على عقيدتهم في العقول العشرة، والكواكب والنجوم[(٢)].

ويرون هذا العالم مجموعة من المظاهر المتعاقبة، وتلك العقول العشرة تشرق على هذه المظاهر، كما أن العقول تستمد إشراقها من الواحد، وحينئذٍ تختفي الحجب المادية الحسية عن تلك المظاهر، لأنَّ الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، ومن هذه الفلسفة الباطنية تفرعت إلى وحدة الوجود عند الصوفية، وعند الباطنية إلى اتحاد الأئمة بالإله، لأن الإمامة عندهم أزلية أبدية، وأنَّ الأرض لا تخلو من إمام، كما عند الصوفية من مصطلح الإنسان الكامل، ووحدة الوجود، وكلام الباطنية في هذه القضية كلام فلسفي صرف، مموّه بألفاظ مقتبسة من القرآن الكريم، يكتنفه الغموض، والتعمية، والإيهام، غير أنهم لم يخطئوا طريق الفلاسفة، ولم يزيدوا على خرافاتهم إلا تغيير الألفاظ[(٣)].

والباطنية المتشيّعة من أصول عقيدتهم ألوهية، وربوبية أئمَّتهم، فكل رأس دعوة منهم يدَّعي أولاً في ابتداء أمره: المشيخة، ثم بعد ذلك يدّعي

---

(١) ينظر في تعريف الباطنية صفحة: ١١٣.

(٢) ينظر صفحة: ٢٧٣.

(٣) ينظر: أصول الفلسفة الإشراقية، ص٨٣.

الإمامة، حتى ينتهي إلى دعوى النبوَّة، ثم يرتقي بعدها إلى الافتراء العظيم بدعوى الألوهية، والربوبية، وهذا من أسرار تأليههم لأئمتهم، ودعوى الربوبية فيهم[(١)].

وهذا منهم يوضّح أنه بمقدرة الإنسان أن يرتقي بالتأمل الروحي من درجةٍ لأعلى، حتى يحاكي الأنبياء، وقد يعلوهم حتى يتوحَّد مع الذات الإلهية، وهو ما يُعرَف في الديانة الهندوسية بـ"النيرفانا" التي بدورها أثّرت على غيرها من الديانات، والملل الأخرى[(٢)].

ويُعرف أيضاً في المذهب الباطني بالاتحاد، أي: الاتحاد بين روح العارف، والذات الإلهية، وهي عملية عكسية لمذهب الحلول القائلة بحلول الذات الإلهية في أجسام البشر من المعظّمين، كما قالت السبئية بحلول الذات الإلهية في الأنبياء -عليهم السلام- ثم في علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(٣)].

فيكون من أظهر عقيدة وحدة الوجود عند الباطنية حلول الربّ في الإمام.

---

(١) ينظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص٤٢٦، وتقدم أيضاً في صفحة:١١٣، طرف من هذا.

(٢) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ص٦٣٢.

(٣) ينظر: الملل والنحل ١/ ١٧٣.

المبحث الثاني:

وحدة الوجود عند المدرسة العقلية الحديثة.

المبحث الثاني: وحدة الوجود عند المدرسة العقلية الحديثة.

المدرسة العقلية الحديثة، تبلورت فكرتها في العصر الحديث من رحم الإعجاب، والانبهار بحضارة الغرب، وتقدّمه العلمي، وسبقه في ميادين الحياة المادية كافة، الأمر الذي سبب بروز مجموعة من المثقفين، والمفكرين تدعو إلى تجديد الأفكار، وتجديد القضايا الإسلامية على ما يتوافق مع مجريات الحياة المعاصرة، ومواكبة العولمة الحديثة، واللحاق بركب الحضارة الغربية، تطويعاً للدين عليها.

وقد جعلوا العقل البشري، والحضارة الغربية أخوين صنوين، ليكون الدين الإسلامي متوافقاً معهما، فما خالفهما منه نبذوه، أو فرّغوه من محتواه، وذلك كله بدعوى التطوّر، والتقدم، والتنوير، والتماهي مع حضارة العالم المتقدمة، وقد ألبسوا صنيعهم هذا لباس العقلانية، والعصرانية، والانفتاح على الآخر، ونحو ذلك من العبارات.

وقد حوت المدرسة العقلية الحديثة -بهذا المفهوم- مجموعات من أتباع الفرق المعاصرة المختلفة، من قوميين، واشتراكيين، وحداثيين، وشيوعيين، ونفعيين، وغيرهم ممن سلك سبيلهم، كما دخل في عباءة هذه المدرسة من تأثر بهم من مفكرين، ودعاة، وأساتذة، يجمعهم الوصف العام لتلك المدرسة.

والمقصود بكونها حديثةً، أي في القرنين الأخيرين اللذين هيمن فيهما الغرب النصراني على العالم الإسلامي، إبّان الانفجار العلمي التجريبي الهائل، على حين أنَّ الدولة العثمانية كانت تصارع بجسدها المثقل الذي قطّعت أطرافه، الدول الكبرى التي كانت تنظر إليها، متى يتكامل سقوطها؟ لكي

تنقَّض عليها، وقد كان، والله المستعان[١].

وهذه المدرسة لديها انحرافات عقدية كبيرة، وأفرادها في ذلك ما بين مستقّل، ومستكثر، فمنهم من غرق في الضلال إلى كعبيه، ومنهم إلى ترقوته، ومنهم إلى أذنيه، ومنهم من يلجمه الضلال إلجاماً، ومن ذلك الضلال ما ورثه بعض أفرادها من الصوفية[٢] التي كان لها انتشار كبير في العالم الإسلامي، يقول مصطفى محمود[٣]: «حب الوطن، وحب الفن، وحب الجمال، وحب الحقيقة، كل هذه أقنعه، وأسماء لحب الله، فالطفل يحب في أمّه أوصاف المعطي، والوهاب، والرزاق، والحافظ، والمغيث، والفنان يجسد ما تجسد صنعته من أسماء الخالق البارئ المصور، والمفكر، والفيلسوف يحب الأسماء الحق، والعليم، واللطيف، والخبير، والمحيط، وما نحب في النهاية كامن فينا، وبين أضلعنا، وأقرب إلينا من حبل الوريد، دون أن ندري»[٤].

وهذه المقولة فيها شرح لمعنى وحدة الوجود بطريقة عصرية كما بيّنه

---

(١) ينظر:الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص١٨، والتجديد في الفكر الإسلامي، ص٣٦٤، ومنهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ص٦٧.

(٢) أي: في وحدة الوجود.

(٣) مصطفى كمال محمود حسين، ولد عام ١٩٢١م، طبيب مصري، اهتم بالفلسفة والفكر، وله مؤلفات كثيرة، وفي آخر أمره رجع إلى التصوف، ومن مؤلفاته فيه: السر الأعظم، ورأيت الله، والوجود والعدم. نقلاً من ترجمته لنفسه عبر الشبكة العالمية بتاريخ ٢٦/ ١/ ١٤٣٦هـ: http://www.hrdiscussion.com/hr٧٢٤٩.html.

(٤) السر الأعظم، للدكتور مصطفى محمود، ص٨٥.

بوضوح في قوله: «فكل ما في الدنيا تجلياته، وتنزلات أسمائه الحسنى، وصفاته»[(١)]، بل يصل إلى أن يقول: «كلما عرفت الكون أكثر، علمت أنه لا شيء إلا الله»[(٢)].

وكذلك جاء في عبارات بعضهم: أنَّ الوحدانية لله ﷻ تشمل الوحدة في الوجود[(٣)].

وشيخ الأزهر في زمانه: الأستاذ محمد عبده رائد المدرسة العقلية الحديثة، يقول بهذا الفكر المنحرف في إحدى رسائله، وهو في واقعه متأثر بأقوال المتصوفة[(٤)].

ووحدة الوجود عند من تأثر بها من أصحاب المدرسة العقلانية الحديثة، هي في حقيقتها ترجمة لما عند الصوفية من القول بوحدة الوجود، ولكن بأسلوب متلائم مع ثقافة العصر الحديث، وسلسة هذه الضلالة متصلة بالصوفية، الذين أخذوه عن الجهمية، كما أخذته الجهمية عن الفلاسفة، وكذلك لها سند آخر من جهة الغرب النصراني الذي أخذه عن الفلسفات القديمة.

والعجب أن هؤلاء الذين يدّعون تحكيم العقل، والوزن بميزانه حتى

---

(١) السر الأعظم، للدكتور مصطفى محمود، ص١٧.

(٢) السر الأعظم، للدكتور مصطفى محمود، ص١٩.

(٣) ينظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص١٥١، ووحدة الوجود العقلية، ص١٢٢ .

(٤) ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام ٢/ ٥٩٩، والإسلام والحضارة الغربية، ص٦٩، والإسلام يتصدى للغرب الملحد، ص ٧٩.

في الوحي، والغيبيات، أجد أنهم مقلدون تقليداً صِرفاً لما يتنافى مع العقل الذي ردّوا به حقائق الكتاب، والسنة، وهذا من التناقض البيّن.

ومما يثير العجب أنه في هذا العصر الذي تشدّق فيه بعضهم بحكم العقل، والغوص بالبحث، والتجارب الحسية لتحصيل المعارف، رضوا لأنفسهم أن يكونوا أبواقاً يردّدون شركيات قوم آخرين، ومن ذلك القول بوحدة الوجود الذي يناقض توحيد الربوبية، بل وينسلخ صاحبه من الشريعة، وهذا مما بيّن أهمية بيان التوحيد، وخطر ما يضادّه من الشرك، حتى وقع شيء من ذلك عند ممن يدّعي العقلانية، والعلم، والمعرفة، والخبرة بطرائق البحث.

المبحث الثالث:

وحدة الوجود عند المذاهب الفكرية المعاصرة.

المبحث الثالث: وحدة الوجود عند المذاهب الفكرية المعاصرة.

المذاهب الفكرية المعاصرة قد ورثت هذا الفكر -وحدة الوجود- من الفلسفات اليونانية القديمة، وذلك أنَّ مجمل أفكارها امتداد لها.

فجاء أصحاب ومفكرو المذاهب الفكرية المعاصرة، وصاغوا هذا الفكر بأسلوبهم الخاص إبّان بداية النهضة الأوربية، وظهور أوائل مفكريها، فقد أشهر القول بوحدة الوجود بورنو الإيطالي[1] في القرن السابع عشر ميلادي، حتى حكمت عليه الكنيسة بالموت حرقاً، فكان ذلك نواة للقول بهذا الفكر في أوربا.

وخلفه في هذا الفكر المفكر اليهودي سبينوزا[2] في القرن السابع عشري ميلادي، كما تأثر أيضاً بأقوال الصوفية، إذ له أقوال تبيّن مذهبه في وحدة الوجود، ومن ذلك قوله: «ما في الوجود إلا الله، فالله هو الوجود الحق، ولا

---

(١) جيور وانو برونو ١٥٤٨-١٦١١م مفكر إيطالي، درس الفلسفة واللاهوت في أحد الأديرة الدينية، إلا أنه خرج على تعاليم الكنيسة، فرمي بالزندقة، وفرّ من إيطاليا، وتنقل طريداً في البلدان الأوروبية وبعد عودته إلى إيطاليا وشي به إلى محاكم التفتيش فحكم عليه بالموت حرقاً. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/ ٧٨٦).

(٢) باروخ سبينوزا ١٦٣٢ - ١٦٧٧م وهو فيلسوف هولندي يهودي، هاجر أبواه من البرتغال في فترة الاضطهاد الديني لليهود من قبل النصارى، ودرس الديانة اليهودية والفلسفة كما هي عند ابن ميمون الفيلسوف اليهودي الذي عاش في الأندلس وعند ابن جبريل وهو أيضاً فيلسوف يهودي عاش في الأندلس كذلك. (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/ ٧٨٦).

وجود معه يماثله، لأنه لا يصح أن يكون ثمَّ وجودان مختلفان متماثلان»[١].

وقوله: «إن قوانين الطبيعة، وأوامر الله الخالدة شيء واحد بعينه، وإن كل الأشياء تنشأ من طبيعة الله الخالدة»[٢].

وقوله: «الله هو القانون الذي تسير وفقه ظواهر الوجود جميعاً بغير استثناء أو شذوذ»[٣].

وقوله: «إن للطبيعة عالماً واحداً هو الطبيعة، والله في آن واحد، وليس في هذا العالم مكان لما فوق الطبيعة»[٤].

وفي القرن التاسع عشر الميلادي نجد أن هذه المقالة وحدة الوجود قد انتشرت أيضاً على ألسنة بعض المفكرين الغربيين، إذ يزعمون أنَّ الإله ليس جوهراً مستقلاً، وإنما هو حالٌّ في الطبيعة [٥].

ومن أثر هذا الفكر -وحدة الوجود- من ذهب إلى نظرية التقريب بين الأديان، وحوار الحضارات الذي يتضّمن صهر أحكام الإسلام في الديانات الأخرى من أجل التعايش بسلام -كما زعموا-، وهذه الدعوة لا تعدو أن تكون ترجمة لفكر وحدة الوجود[٦].

---

(١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب ٢/ ٧٨٦

(٢) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب ٢/ ٧٨٦

(٣) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب ٢/ ٧٨٦

(٤) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب ٢/ ٧٨٦.

(٥) ينظر: التصوف المنشأ والمصادر، ص١١٤، والعلمانية الجزئية، والعلمانية الشاملة ١/ ٢٩٤.

(٦) ينظر على سبيل المثال: كتاب نحو حرب دينية، جدل العصر، لروجيه جارودي، ص٢٧-٣٠.

الفصل الثالث:
مذهب العبثية، والزعم بأن الوجود عبث،
وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مذهب الدهريين في القديم والحديث.
المبحث الثاني: مذهب العبثية الوجودية في العصر الحديث.

المبحث الأول:

مذهب الدهريين في القديم والحديث.

المبحث الأول: مذهب الدهريين في القديم، والحديث.

مذهب العبثية، مذهب يتبنّى النظرة الإلحادية تجاه الوجود، وأنَّ الوجود بما فيه لا يعدو أن يكون عبثاً، وأنَّ الحياة ليس وراءها طائل، فما ثَمَّ إلا حياة، وموت.

وهذا المذهب له جذور ضاربة في القِدَم، ولعلّه أقدم مذاهب الإلحاد، وإنكار الخالق، والاعتقاد في الكون، والمادة، وهذا مذهب قد امتدّت جذوره إلى وقتنا المعاصر، وتمثّل في قوالب شتّى، يجمعها إنكار الخالق، والبعث، وأنَّ هذه الحياة لهو، ولعب، ليس وراءها غاية.

مذهب الدهريين في القديم:

قد تقدم شيء من مذهب الدهرية في القديم[١]، وهذا مزيد إيضاح لمذهبهم بيّنه أبو حامد الغزالي[٢]بقوله: « وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصانع المدبر، العالم القادر، وزعموا: أن العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه، وبلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة، والنطفة من الحيوان، كذلك كان، وكذلك يكون أبداً»[٣].

---

(١) ينظر صفحة: ٧٩.

(٢) محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، أبو حامد _ ولد عام ٤٥٠هـ وتوفي عام ٥٠٥هـ _ أشعري متصوف، له من الكتب: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة. ينظر: (وفيات الأعيان ٤/ ٢١٦، وسير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢).

(٣) المنقذ من الضلال، ص: ١٨.

وعقيدتهم هذه فيها نفيٌ لوجود الله ﷻ، وتدبيره لخلقه، وزعموا أن الإحياء، والإماتة من تدبير الليالي، والأيام، وبناءً على ذلك فهم يقولون: بقدم العالم، وقولهم هذا متضمن إنكارَ خالقٍ للكون، وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ من قال بقدم العالم، فهو في حقيقته ينكر وجود الله ﷻ: «فلهذا لا يوجد في عامة كتب الكلام المتقدمة القول بقدم العالم، إلا عمن ينكر الصانع»(١).

ومن الدهريين من لا ينكر وجود خالق للكون، ولكن ينكر البعث والحساب، وقد بين الله ﷻ مذهبهم، قال الله ﷻ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [سورة الجاثية آية:٢٤]، ومعنى قولهم: أنه ليس «ثَمَّ إلا هذه الدار، يموت قوم ويعيش آخرون، وما ثم معاد ولا قيامة»(٢)، وكما قال قائلهم:

يخبرنا الرسول بأن سنحيا ** وكيف حياة أصداء وهام(٣).

وهذا منهم إنكار لبعض خصائص الربوبية، ومنها القدرة على إحياء الموتى، وبعثهم بعد تفرقهم في الأرض، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة السجدة آية:١٠]، وقال قائلهم: ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [سورة يس آية: ٧٨].

---

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٥٤٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١٢/ ٣٦٣.

(٣) القائل هو شداد بن الأسود الليثي. ينظر: الروض الأنف ٣/ ٢٠٣.

مذهب الدهريين في العصر الحديث:

مع أنَّ المذاهب الفكرية المعاصرة على اختلاف مفاهيمها، قد تبنّت الإلحاد، ودعت إليه، وتفننت في عرضه، وترويجه، وهي في حقيقتها تسعى لإحياء مذهب الدهريين الملاحدة، وكذلك نستطيع أن نلحق بها تيارات العلمانية، والشيوعية، والماركسية، فهي في الواقع ترفع شعارات خادعة، تستتر بها تجنبًا للإثارة ضدها، وضد أفكارها في المجتمع الإسلامي الذي يرفض هذا الفكر الإلحادي رفضاً مطلقاً، ولذلك فهم يرفعون شعارات من قبيل الديمقراطية، والعقلانية، والعلمانية، والحداثة، وغيرها من الأفكار المنتهية إلى التشكيك في وجود الله ﷻ، ورفع شعار "رفض المطلق" الذي يريدون منه هدم ثوابت العقيدة الإسلامية، وأنها ليس فيها شيء يُقبل مطلقاً، فكل شيء عندهم خاضع للبحث، والدراسة، والإنكار أيضاً.

فالعقلانية التي يطرحها الملاحدة اليوم، ليست من قبيل إعمال الفكر والعقل في حدود المنهج الإلهي، بل هي الخروج على هذا المنهج، وإيجاد منهج خاص مقابل، يقوم على أسس المعطيات المادية، وإنكار عالم الغيب، واتخاذ أساليب إثارة الشبهات، وإطلاق الشعارات الخدَّاعة، حتى تتمكن من التأثير على إيمان البسطاء من الناس، وتصوير الدين بأنَّه عقبة، وقيد أمام الانطلاق، والتحرّر، والتقدّم.

وتقديم العلمانية على أساس أنَّها منظومة فكرية، وممارسات علمية عقلانية تساهم في منع الصراعات الاجتماعية، والقضاء على الطبقية، والطائفية السياسية، والاجتماعية، وإخراج المجتمع من دائرة التخلّف، وفصل

الدين عن السياسة، وعن سلطة التشريع، وبذلك يكون التحرّر مما يسمّونه: المطلق، والغيب(١).

ومما تقدم ذكره فهذه المذاهب الفكرية المعاصرة تعود إلى حقيقتها الإلحادية الدهرية، فلا وجود للديني فيها، ولا للعناية الربانية.

ومن هذا ندرك عظيم الكيد، والمكر الكبار، لإحياء إلحاد الدهريين القدماء، ورفض الدين الإسلامي، وتنحيته عن حياة الناس، لإحلال الإلحاد، والفوضى الدينية، والأخلاقية محلّه.

---

(١) ينظر على سبيل المثال: أصول الفلسفة الماركسية، ص٢٢، والعلمانية نشأتها وتطورها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ٢١٦.

المبحث الثاني:

مذهب العبثية الوجودية في العصر الحديث.

المبحث الثاني: مذهب العبثية الوجودية في العصر الحديث.

مذهب العبثية الوجودية المعاصرة مذهب إلحاديٌّ دهريٌّ، تشكل في قالب الفنّ، والأدب.

وهذا المذهب امتداد لمذهب الدهرية القديمة من جهة الغاية، وهو إنكار البعث، والجزاء، المبني على إنكار وجود الله ﷻ على ما سبق ذكره[1]، غير أن مذهب العبثية يختلف عن الدهرية القديمة من جهة الوسائل التي يقرّرون بها مذهبهم، من خلال الروايات، والقصص الأدبية، التي تناسب ثقافة العصر، وتستجلب كثيراً من القراء، بالإضافة إلى ذلك أنها تأثرت بحركة المذاهب الفكرية المعاصرة، فاكتسبت مزيداً من التنقيح الثقافي لهذه الفكرة الإلحادية.

ويرى أصحاب هذا المذهب أنَّ الحياة، والوجود عبث، ويقولون بعبثية الخلق، وأنَّ الإنسان مادام سيموت، فلا هدف من حياته، ولا قيمة لأي عمل يعمله، ويدّعون أنَّ الإنسان ضائع ليس لسلوكه معنى.

وتتركز فكرة العبثية حول ضياع الإنسان في هذا الكون، وحول عدم وجود هدف له، وهذا الفكر وغيره يظهر به معنى قول الله ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ١٢٤][2].

(١) ينظر صفحة: ١٧٣.

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/ ٨٩٥.

ومذهب العبثية الوجودية، كان من أسباب ظهوره: المعاناة الشديدة التي يعانيها الغربيون بحثاً عن الهدوء النفسي، والاطمئنان الروحي المفقود، وعن السعادة التي هي بالنسبة لهم كسراب بقيعة، حتى باتت حياتهم جحيماً لا يطاق، ومن جراء ذلك، ظهرت عندهم حركة فكرية ما زادتهم إلا خبالاً، وتعاسةً، وهذا المذهب جاء رفضاً للحياة المادية المقيتة التي يحياها الإنسان الأوربي، وأخذ اتجاهاً أدبياً أكثر منه فكرياً، سمّي بالعبثية(١).

وهذا المذهب قد انتشر في أوربا أول ما ظهر، في الأدب الأوروبي، وانتقل بدوره بمبدأ التقليد، والتبعية لكل ما هو أوروبي إلى الآداب العالمية المعاصرة، ومنها انتشر عبر من تأثر بهذا المذهب إلى البلدان الأخرى، فيساق هذا المفهوم الإلحادي عبر الروايات، والمسرحيات، والقصص، والشعر، لترويجه بطريقة ماكرة، ولا سيما في البلدان العربية(٢).

وهذا الفكر العبثي قد تبلور في العصر الحديث على يد كاتب فرنسي ملحد يدعى: ألبير كامو، توفي عام ١٩٦٠م، ونشر هذا الفكر من خلال كتابه "أسطورة سيزيف" وهي الأسطورة التي يتجلى فيها عبث ما تسمى عندهم بالآلهة في الأساطير الإغريقية الذي غضب عليه كبير آلهتهم"زيوس"، وأمره بعمل لا طائل من ورائه بأن يحمل صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه، فإذا وصل القمة تدحرجت إلى الوادي، فيعاود الصعود بها إلى القمة مرات،

---

(١) ينظر: الوحي والإنسان، قراءة معرفة، ص٢٢٤.

(٢) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/ ٨٩٤.

ومرات دون هدف، فرمز بها إلى العبثية[١].

كما يحاول أيضاً إدراك سبب الانتحار، من مبدأ أن الحياة لا تستحق أن تعاش، وفي كتابه يكرّس مفهوم أن الحياة لا جدوى منها، ولا طائل من ورائها[٢].

وهذا الفكر العبثي لم يلبث أن دخل العالم الإسلامي، وأثّر بدوره على بعض المستغربين في بلدان المسلمين، وَوُجد ممن ينتمي إلى الإسلام من يردّد مثل هذه الأفكار، متخذاً من أساليب الأدب، والقصص، والروايات ستاراً يحتمي بها تارة، وتارة أخرى يصرّح بهذا الفكر الإلحادي دون مواربة، ومن هؤلاء: نجيب محفوظ الذي يعترف في كثير من أعماله الروائية، والقصصية بأنَّ الحياة عبث، ولا معنى لها، بل نشر من خلالها الإلحاد، والتهجم على العقيدة الإسلامية وذلك منه تأثر بمن سبقه من العبثيين والملاحدة، ومن أبرزهم ألبير كامو[٣]، ولهؤلاء وأمثالهم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥ – ١١٦].

وأثر مثل هذه المذاهب الإلحادية على عقيدة المسلمين، هو التفنن في

---

(١) أسطورة سيزيف، ترجمة أنس زكي حسن، ص١٣٨.

(٢) أسطورة سيزيف، ص١٧.

(٣) ينظر على سبيل المثال روايته: "دنيا الله"، وكتاب أعلام وأقزام في ميزان الإسلام ١/ ٣١١.

الدعوة إلى الإلحاد، وإحياء المفاهيم الجاهلية، وتجديد معالم الشرك في توحيد الربوبية، بإنكار الحكمة، والتدبير الإلهي، وكلما أُميتت هذه المفاهيم الإلحادية بالوحي الإلهي، انبرى من شياطين الإنس من يجدد أنصابها، ويُعيدها جذعة، الأمر الذي يحتّم تعاهد مسائل التوحيد، وتذكير عموم الناس بها.

الفصل الرابع:
التعدي على جناب الربوبية بالسخرية والسبّ، والاستهزاء
وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعدي بالسخرية والاستهزاء لجناب الربوبية.

المبحث الثاني: التعدي بالسبِّ والشتم لجناب الربوبية.

توطئة:

الإيمان بالله ﷻ يستلزم التعظيم، والمحبة، والخضوع، والتسليم المطلق، والإخبات، والرغبة، والرهبة، وكمال الذّل، والعبودية لله ﷻ، وعلى قدر الإيمان يكون التعظيم لله ﷻ، وإذا عُدم الإيمان ظهر نقيض التعظيم، وهو الاستخفاف، والسبّ، والشتم، قال ابن القيم: «وهذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حق عظمته، ولا عرفه حق معرفته، ولا وصفه حق صفته، وأقوالهم تدور على هذا، فقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، قال ابن عباس ومجاهد: لا ترجون لله عظمة»[(١)]، ولذلك كان السلف يعظّمون الله ﷻ تعظيماً نابعاً من إيمانهم به ﷻ، كما قال عون بن عبد الله[(٢)]: «ليعظّم أحدكم ربه أن يذكر اسمه على شيء، حتى يقول: أخزى الله الكلب، وفعل به كذا»[(٣)]، وكانوا من تعظيمهم لله ﷻ لا يذكرون اسمه ﷻ إلا فيما يتصل بطاعة، أو قربة، فإذا أراد أحدهم أن يقول: جزاك الله

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ٢/ ٤٦٣.

(٢) عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي، إمام زاهد عابد، وثقه الإمام أحمد، توفي في حدود مائة وبضعة عشر هجري. ينظر: (سير أعلام النبلاء ٥/ ١١٣).

(٣) شأن الدعاء، ص١٨.

خيراً، يقول: جُزيت خيراً، إعظاماً لاسم الله ﷻ[١].

وعدم الإيمان بالله ﷻ، أو إنكار وجوده، له علامات، ودلالات، ومن أعظم ذلك السخرية، والاستهزاء، والشتم، والسب لجناب الربوبية، وهذا ينافي الإيمان جملةً، وتفصيلاً، بل هو من أعظم الكفر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ذلك أن الإيمان قول وعمل، فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله ﷻ، والرسالة لعبده، ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال، والإكرام الذي هو حالٌّ في القلب، يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف، والتسفيه، والازدراء بالقول، أو بالفعل، كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجباً لفساد ذلك الاعتقاد، ومزيلاً لما فيه من المنفعة، والصلاح، إذ الاعتقادات الإيمانية تزكي النفوس وتصلحها، فمتى لم توجب زكاة النفس، ولا صلاحها، فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب، ولم تصر صفة، ونعتاً للنفس، ولا صلاحاً...والغرض بهذا التنبيه على أن الاستهزاء بالقلب، والانتقاص ينافي الإيمان الذي في القلب منافاة الضد ضده، والاستهزاء باللسان ينافي الإيمان الظاهر باللسان كذلك، والغرض بهذا التنبيه على أن السب الصادر عن القلب يوجب الكفر ظاهراً، وباطناً، هذا مذهب الفقهاء، وغيرهم من أهل السنة والجماعة»[٢].

---

(١) ينظر: شأن الدعاء، ص١٨.

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٣٧٠.

وإنَّ من أشنع ألوان الإلحاد، وإنكار وجود الله ﷻ، ما ظهر في هذا الزمن المعاصر من التعدي على جناب الربوبية بالسخرية، والاستهزاء تارة، وتارة أخرى بالسب، والشتم، وإن من وصل إلى هذه المرحلة من الكفر والإلحاد، فقد أعلن عن نفسه أنه لا يؤمن بوجود الله ﷻ ابتداءً، ولذلك اتخذ هذه الوسيلة للتعبير عن عظيم جحوده لله ﷻ، وإنكاره له، وهذا من أعظم صور الإلحاد المعاصر.

وإذا كان قد ورد في الحديث عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله: يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني، وما ينبغي له، أما شتمه، فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه، فقوله: ليس يعيدني كما بدأني»(١)، إذا كان هذا جاء في ادّعاء الولد لله -تعالى عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً- فكيف بمن قال ما هو أشنع من ذلك؟ ونسب لله تعالى وتقدس، ما يأنف منه ذوو المروءة، وتكلمّ في حقّ الله ﷻ بكلام لم يُعرف له مثيل في قول الذين كفروا من قبل، وهذا قد ظهر عند أصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة من الحداثيين وغيرهم، كما سيأتي عنهم -إن شاء الله ﷻ- : ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٣].

وفيما يلي أعرض لمسألتين في مبحثين: مسألة الاستهزاء، والسخرية، ومسألة السبّ، والشتم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ (٣١٩٣).

المبحث الأول:

التعدي بالسخرية والاستهزاء لجناب الربوبية.

المبحث الأول: التعدي بالسخرية والاستهزاء لجناب الربوبية.

معنى السخرية والاستهزاء:

الاستهزاء، والسخرية لفظان مترادفان من حيث المعنى في الجملة، فمادة الاستهزاء من: هَزَأَ، و«الهاء، والزاء، والهمزة كلمة واحدة، يقال: هزئ واستهزأ، إذا سخر»[(١)]، وقال ابن منظور: «الهُزْءُ، والهُزُؤُ: السخرية»[(٢)].

وقد جاء في القرآن الكريم ما يدل على أن الاستهزاء، والسخرية بمعنى واحد، وذلك في قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾[الأنعام: ١٠]، وذكر الطاهر ابن عاشور في هذه الآية الكريمة أن الاستهزاء «مرادف للسخرية في كلام أئمة اللغة، فذكر "استهزئ" أولاً، لأنه أشهر، ولما أعيد عبر بـ "سخروا" ولما أعيد ثالث مرة رجع إلى فعل "يستهزؤن" لأنه أخف من "يسخرون" وهذا من بديع فصاحة القرآن المعجزة»[(٣)] .

«والاستهزاء: السخرية، يقال: هزأ به واستهزأ به، فالسين، والتاء للتأكيد، مثل استجاب، أي: عامله فعلاً، أو قولاً يحصل به احتقاره»[(٤)].

والسخرية من مادة: «سخر، السين، والخاء، والراء، أصل مطرد

---

(١) مقاييس اللغة ٦/ ٣٨.

(٢) لسان العرب (١/ ١٨٣)

(٣) التحرير والتنوير ٧/ ١٤٧.

(٤) التحرير والتنوير ١/ ٢٩٢.

مستقيم، يدل على احتقار، واستذلال»[١].

وقال أبو حامد الغزالي في معنى السخرية: «الاستهانة، والتحقير، والتنبيه على العيوب، والنقائص، على وجه يضحك منه، وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل، والقول، وقد يكون بالإشارة، والإيماء»[٢].

وقد يُفرّق بين السخرية، والاستهزاء من وجه دقيق، فيقال: بأن في السخرية معنى طلب الذلة، وأما في الاستهزاء فيقتضي طلب صغر القدر بما يظهر في القول، وهذا على القول بمنع الترادف في اللغة، وأن كل لفظتين، وإن كان بينهما اشتراك في المعنى، فلابد من فرق بينهما دقيق[٣].

حكم الاستهزاء، والسخرية بجناب الربوبية:

الاستهزاء، والسخرية مما جاء في الشرع من نواقض الإسلام المخرجة من الملة، فكيف بالاستهزاء، والسخرية بجناب الربوبية؟، فهذه أشد كفراً، وأعظم إلحاداً، والله ﷻ يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ – ٦٦].

والاستهزاء يدخل فيه إظهار كل عقيدة، أو قول، أو فعل، يدل على

(١) مقاييس اللغة ٣/ ١١١، وينظر: لسان العرب ٤/ ٣٥٢.

(٢) إحياء علوم الدين٣/ ١٣١

(٣) ينظر: الفروق اللغوية، ص٢٧٥.

الطعن، والانتقاص، والاستخفاف بجناب الربوبية(١).

ولقد استطار هذا الإلحاد في هذا الزمن المعاصر عبر منافذ شتى، منها ما يسمّى بأدب الحداثة، وهو في الحقيقة عفن الإلحاد ونتنه، ويتعمّد كتّاب، وشعراء الحداثة، هذا اللون من الإلحاد، لإظهار تحررهم من الدين، وتمردهم على الشريعة، ويحاولون إنزال قداسة الرب العظيم، بتشبيهات ساخرة فاجرة، ويساوون الخالق الجليل بالمخلوق الحقير، بل إنَّ بعضهم جعل الإيمان بربوبية الله ﷻ تخلّفاً ورجعية!(٢).

ولهم في ذلك قصائد، ومقالات، حوت كفراً عظيماً، وإلحاداً يدل على شدّة معاداتهم للدين الحق، وهذه أمثلة يسيرة من أقوالهم تبيّن إلحادهم وكفرهم بالله ﷻ.

يقول أحدهم فيما سمّاه: "أغنية إلى الله":

«الله يا وحدتي المغلقة الأبواب... الله لو منحتني الصفاء... الله لو جلستُ في ظلالك الوارفة اللقاء، أجدل حبل الخوف، والسأم... يا ربنا العظيم يا معذبي، يا ناسج الأحلام في العيون... يا زارع اليقين والظنون... يا مرسل الآلام والأفراح والشجون... اخترت لي، لشدَّ ما أوجعتني... ألم أخلص بعد... أم ترى نسيتني؟ الويل لي نسيتني نسيتني نسيتني»(٣).

---

(١) ينظر: كتب الاستهزاء بالدين، ص٧٩.

(٢) ينظر: الانحراف العقدي في أدب الحداثة ١/ ٢٥٥.

(٣) ديوان صلاح عبد الصبور، ص٢٠٨.

فما أعظم الكفر في هذا الهراء الذي يسميه صاحبه شعراً، فقد نسب إلى الله ﷻ النسيان، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤﴾[مريم: ٦٤]، إلا أن يكون من قبيل قول الله ﷻ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ۝٦٧﴾ [التوبة: ٦٧].

ويزيد كفره بقوله: «والشيطان خالقنا، ليجرح قدرة الله العظيم»[(١)]، سبحان الله عما يصفون، وتعالى الله عما يقول الملحدون علوّاً كبيراً.

وله أيضاً قصيده سمّاها: "الإله الصغير"[(٢)]، فأيُّ كفر بربوبية الله ﷻ أشنع من هذا؟.

ويقول الحداثي اليمني عبد العزيز المقالح في إحدى قصائده التي يجاهر فيها باستخفافه بجناب الربوبية على طريقة هزلية ساخرة:

«يبيعنا القواد والصعلوك
من المحيط إلى الخليج
يبيع ما في أرضنا من القديم والجديد
يبيع حتى الله والزمن
والشمس والكعبة والحجيج
ويقبض الثمن»[(٣)].

---

(١) ديوان صلاح عبد الصبور، ص ٣٨.

(٢) ديوان صلاح عبد الصبور، ص ٤٧.

(٣) ديوان عبد العزيز المقالح، ص١٢٨.

ومن ذلك أيضاً ما تفوّه به أحد طواغيتهم عند ما قال: «لماذا خلقني؟ وهل كنت أوقظه بسبابتي ليخلقني»[١].

وهناك كتب قد ألفّها أصحابها بمداد الزندقة على صفحات الإلحاد، وضمنوها من السخرية، والاستخفاف شيئاً لم أظنَّ أنَّ أحداً من البشر وصل إلى هذه المرحلة![٢]، وليس المقصود هنا حصر أقوالهم الكفرية التي بالغوا فيها بالاستهزاء بجناب الربوبية، بل المراد الوقوف على شيء من هذا الكفر العظيم، ليحذر المسلمون هذا البلاء، و إنَّ من الفتن التي يرقق بعضها بعضاً، أن يسمع الناس هذا الكفر الغليظ، ويعتادوا على سماعه، لكي لا يكون في قلوبهم نكير تجاهه.

---

(١) قاله الزنديق السوري محمد الماغوط في الآثار الكاملة ، ص٢١٨ .

(٢) من ذلك ما كتبه الملحد عبد الله القصيمي في كتابٍ تزيد صفحاته على أربعمائة صفحة، وسماه: الإنسان يعصي، لذا يصنع الحضارات، وحشاه من هذيانات الإلحاد والكفر العظيم، أظن أنه لم يجر على لسان من سبقه.

المبحث الثاني:

التعدي بالسبِّ، والشتم لجناب الربوبية.

المبحث الثاني: التعدي بالسبِّ، والشتم لجناب الربوبية.

مفهوم السبّ، والشتم:

مفهوم السبّ، والشتم لا بدَّ أن يحدّد، ويميّز مفهومه، لأنَّ ملاحدة العصر يرمزون للسبّ، والشتم لجناب الربوبية برموز لا يعرفها إلا من سبر غور طريقتهم، وهذا ظاهر من مقالاتهم، وقصائدهم الحداثية، ومنهم من بلغ في الإلحاد مرتبة يصرّح بذلك دون أدنى تقية، وعلى هذا لابد من معرفة الضابط في مفهوم السبّ، والشتم، وما الذي يدخل فيه، ويخرج منه؟.

والسبُّ، والشتم مردّه إلى أعراف الناس، فما تعارف عليه الناس أنه سبّ، وشتم، فهو كذلك، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والاسم إذا لم يكن له حد في اللغة...ولا في الشرع...فإنه يرجع في حده إلى العرف...فيجب أن يرجع في الأذى والشتم إلى العرف فما عدّه أهل العرف سبّاً، أو انتقاصاً، أو عيباً، أو طعناً، ونحو ذلك فهو من السب»[(١)].

السبّ في اللغة مأخوذ من معنى: القطع، ثم اشتق منه الشتم، ولا قطيعة أقطع من الشتم[(٢)].

وفي الاصطلاح معناه: «الشتم الوجيع، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[الأنعام، آية١٠٨]، وسبهم لله ليس على أنهم يسبونه صريحاً، ولكنهم يخوضون في ذكره، فيذكرونه

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٥٣١.

(٢) ينظر: لسان العرب ١/ ٤٥٥، ومقاييس اللغة ٣/ ٤٥.

بما لا يليق، ويتمادون في ذلك بالمجادلة، فيزدادون في ذكره بما تنزه تعالى عنه»(١).

«والشتم هو: الوصف بما يقتضي النقص»(٢)، وهو« كلام يدل على تحقير أحد، أو نسبته إلى نقيصة، أو معرة بالباطل، أو بالحق، وهو مرادف الشتم»(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً في معنى السبّ: «الكلام الذي يقصد به الانتقاص، والاستخفاف، وهو ما يفهم منه السب في عقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن، والتقبيح، ونحوه، وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام، آية ١٠٨]»(٤).

أقسام السب لجناب الربوبية، وحكمه:

وقد قسّم شيخ الإسلام ابن تيمية السبَّ لجناب الربوبية إلى قسمين: «أحدهما: أن يسبّه بما لا يتدين به مما هو استهانة به عند المتكلم وغيره، مثل اللعن والتقبيح ونحوه، فهذا هو السبُّ الذي لا ريب فيه.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، ص٢٣٠.

(٢) فتح الباري ٦/ ٢٩١.

(٣) التحرير والتنوير ٦/ ٢٦١.

(٤) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٥٦١.

والثاني: أن يكون مما يتدين به، ويعتقده تعظيماً، ولا يراه سبّاً، ولا انتقاصاً، مثل قول النصراني: إن له ولداً، وصاحبة، ونحوه»[(١)].

والنوع الثاني: وإن كان داخلاً في مفهوم السبّ، والشتم كما جاء في الحديث المتقدم: «يقول الله: يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني وما ينبغي له، أما شتمه، فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه، فقوله: ليس يعيدني كما بدأني»[(٢)]، وهؤلاء لهم شبهٌ دعتهم إلى ذلك، إلا أن النوع الأول أعظم، وأخبث، وأشدُّ كفراً، والكفر يتفاوت في الشدّة، والغِلَظ، فالسبّ الصريح لجناب الربوبية من أعظم المكفرات القولية، وأشنعها، وهو كفر ظاهر، وباطن[(٣)]، «وسواء كان السابُّ يعتقد أن ذلك محرّم، أو كان مستحلاً له، أو كان ذاهلاً عن اعتقاده، هذا مذهب الفقهاء، وسائر أهل السنة القائلين: بأن الإيمان قول وعمل»[(٤)].

وذلك لأنَّ السبَّ الصريح فيه «إهانة، واستخفاف، والانقياد للأمر إكرام، وإعزاز، ومحال أن يهين القلب من قد انقاد له، وخضع، واستسلم، أو يستخف به، فإذا حصل في القلب استخفاف، واستهانة، امتنع أن يكون فيه انقياد، أو استسلام، فلا يكون فيه إيمان، وهذا هو بعينه كفر إبليس»[(٥)].

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٥٥٥.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ينظر: نواقض الإيمان القولية والفعلية، ص١٠٨.

(٤) الصارم المسلول، ص٥١٢.

(٥) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٥١٩.

وأيضاً السابّ الشاتم لجناب الربوبية «مظهر للتنقص، والاستخفاف، والاستهانة بالله، منتهك لحرمته انتهاكاً يعلم من نفسه أنه منتهك مستخف مستهزئ، ويعلم من نفسه أنه قد قال: عظيماً، وأن السماوات والأرض تكاد تنفطر من مقالته، وتخرُّ الجبال، وأن ذلك أعظم من كل كفر، وهو يعلم أن ذلك كذلك، ولو قال بلسانه: إني كنت لا أعتقد وجود الصانع، ولا عظمته، والآن فقد رجعت عن ذلك، علمنا أنه كاذب، فإن فطرة الخلائق كلها مجبولة على الاعتراف بوجود الصانع، وتعظيمه، فلا شبهة تدعوه إلى هذا السب، ولا شهوة له في ذلك، بل هو مجرد سخرية، واستهزاء، واستهانة، وتمرّد على رب العالمين، تنبعث عن نفس شيطانية ممتلئة من الغضب، أو من سفيه لا وقار لله عنده»[(١)].

وكذلك السبُّ فيه أذية لله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وفي هذه الآية الكريمة بيّن الله سبحانه وتعالى «أنه لعنهم في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً مهيناً، واللعن: الإبعاد عن الرحمة، ومن طرده عن رحمته في الدنيا والآخرة لا يكون إلا كافراً»[(٢)]، فدلّت الآية الكريمة على كفر سبّ الله سبحانه وتعالى.

والسبُّ، والشتم لله سبحانه وتعالى كفر مبيح للدم ناقل عن الملّة، بإجماع أهل العلم، فقد نقل الإجماع القاضي عياض حيث قال: «لا خلاف أن ساب الله

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٥٥١.

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص٤١.

تعالى من المسلمين كافر حلال الدم»[١]، وقال ابن حزم: «وأما سب الله تعالى فما على ظهر الأرض مسلم يخالف في أنه كفر مجرد»[٢].

أمثلة معاصرة على الشتائم، والسباب لجناب الربوبية:

إنَّ الملاحدة في هذا العصر، قد تجرؤا على الله العظيم الحليم ﷻ بكلام من السباب، والتنقّص، والاستخفاف، ما يظلم له القلب عند قراءته، والاطلاع عليه، وحقيق أن يظلم، والله ﷻ يقول: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾[الشورى: ٥]، ويقول ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٦٧﴾ [الزمر: ٦٧].

وأستغفر الله ﷻ من حكاية أقوالهم الكفرية الإلحادية- قال نزار قباني في فجوره، وزندقته:

«لأنني أحبكِ
يحصل شيء غير عادي
تقاليد السماء
يصبح الملائكة أحراراً في ممارسة الحب

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٢/ ٢٧٠.

(٢) المحلّى ١٢/ ٤٣٥.

ويتزوج الله حبيبته» [1].

ويقول في موضع أخر في فجوره:

«آمرة ... ناهية... كالرب في السماء..»[2].

وكذلك يقول توفيق صايغ:

«الإله الصبي

كيف يشيخنا

يقلبنا زبانية»[3].

ويقول معين بسيسو حداثي فلسطيني في كفر متناهي، واستخفاف عظيم بالخالق الجليل:

«وطرقت جميع الأبواب

أخفتني عاهرة

كان الله معي

لكن هناك الله يدلي بشهادته

في مركز بوليس

فتح المحضر

ما اسمك...؟

---

(١) الأعمال السياسية الكاملة ٢/ ٤٤٢.

(٢) الأعمال الشعرية ١/ ٥٢٣.

(٣) الأعمال الكاملة، ص٣١١.

ما عمرك...؟

ما عنوانك...؟

مهنتك......وكانت مهنته الله

صبغوا بالحبر أصابعه

أخذوا بصمات الله

والتقطوا صورته

كان الله معي»[١].

سبحان الله العظيم، هل يجرؤ من في قلبه مثقال ذرّة من بقايا فطرة سوية على مثل هذا الإلحاد والكفر؟

والأمثلة من هذا العفن الإلحادي كثيرة منتشرة في كتب هؤلاء، وكلَّ حين يخرج منهم من يتلوّن في إلحاده، ويزوّق كلامه، مجاهراً بالسبّ لجناب الربوبية، والخطر العظيم أنَّ هذا الإلحاد يُساق مساق الروايات القصصية، والآداب الفنية، والمسرحيات الفكاهيّة، ليكون مقبولاً سائغاً عند من لا خلاق له من علم، ومن في قلبه مرض، فهم يدعون إلى إلحادهم بمثل هذه الأساليب، والطرائق، وتتسابق دور النشر التي على هذا الطريق إلى طباعة هذا الإلحاد، والكفر، ولقد رأيت تهافت بعض الناس على تلك الدور التي عُرفت بنشر هذه الكتب الإلحادية، ومع الأسف أنها بدأت تغزو بلاد المسلمين باسم الحرية الفكرية، والقبول بالتعددية المذهبية، واحترام رأي الأخر، ونحو ذلك

---

(١) الأعمال الشعرية، لمعين بسيسو، ص٤٤٠.

مما يسوّغون معه نشر الكفر والإلحاد، وذلك في الواقع إنما هو حرية كفرية إلحادية.

والأدهى أن يُجرى لقاءٌ عبر الشاشات الفضائية مع بعض هؤلاء، ليبثَّ إلحاده، واستخفافه بالله ﷻ على الهواء مباشرة، ويُقدّم على أنه مفكر، وفيلسوف، وروائي قصصي، وكاتب قدير، وهو لا يعدو أن يكون ملحداً.

ولقد رأيت كتاباً هالني عنوانه، وعَظُم عليَّ ما سُطّر فيه من الكفر العظيم، ومعرفة عنوانه تكفي في تصوّر ما فيه، وما كنت أظن أن يخرج من أصلاب المسلمين في بلدانهم من يأتي بمثل هذا الإلحاد، والكفر الغليظ، ودونك عنوانه:

"الإله يقدم استقالته في اجتماع القمة"[١].

وفيه من السبِّ، والاستخفاف بالله ﷻ، وبرسله عليهم السلام، ما لا يخطر على ذي فطرة سويّة، وما كنت أظنُّ أنَّ إبليس قد وصل ببعض البشر إلى هذا الدَرَك من الكفر، وإنكار وجود الله ﷻ، وربوبيته على خلقه، ولكنها الفتن التي يرقق بعضها بعضاً، والله ﷻ المستعان على ما يصفون[٢].

وكذلك طائفة النصيرية في بلاد الشام، التي عُرف عن أفرادها السب

---

(١) مسرحية ألفتها د. نوال السعداوي، جسّدت فيها مقام الربوبية، ورسله الكرام، وهي طبيبة مصرية، تعادي الإسلام بضراوة، وتحاربه بحقد، ولها في ذلك كتابات تدعو فيها إلى الإباحية، والإلحاد.

(٢) ومن أراد المزيد من النماذج فليرجع إلى الكتب التالية: الحداثة في العالم العربي، والانحراف العقدي في أدب الحداثة، ونواقض الإيمان القولية والفعلية.

والشتم العظيم لجناب الربوبية، والتفوّه بالكلام الشنيع الذي تكاد له السموات يتفطرن من فوقهن، وتنشق له الأرض، وتخر الجبال هدّا، وهذا معروف منهم في بلاد الشام الذي انتشرت فيه النصيرية في هذا الزمن، وقد تابعهم على ذلك بعض جهلة المسلمين، وغوغائهم، حتى إن الشخص إذا غضب عبّر عن غضبه بالسبّ، والشتم، واللعن لجناب الربوبية، وهذا منهم قد شاع واستفاض، وحتى عبر وسائل الإعلام المرئية: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨٣].

سبُّ الدهر:

وكذلك يدخل في عموم السبِّ لله ﷻ، وإن كان غير مباشر، كالذي سبق، وهو سبُّ الدهر، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار»(١).

والدهر كما قال ابن الأثير: اسم للزمان الطويل، ومدة الحياة الدنيا(٢).

---

(١) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب [وما يهلكنا إلا الدهر]، رقم: (٤٨٢٦)، ومسلم في كتاب الآداب والألفاظ وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، رقم: (٢٢٤٦)

(٢) النهاية في غريب الأثر ٢/ ٣٥٥.

ومعنى سبّ الدهر في هذا الحديث، أنَّه «كان من شأن العرب أن تذمَّ الدهر، وتسبَّه عند النوازل، والحوادث، ويقولون أبادهم الدهر، وأصابتهم قوارع الدهر وحوادثه، ويكثرون ذكره بذلك في أشعارهم، وذكر الله عنهم في كتابه العزيز فقال: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]...فنهاهم النبي ﷺ عن ذم الدهر، وسبّه، أي: لا تسبوا فاعل هذه الأشياء فإنكم إذا سببتموه وقع السب على الله تعالى، لأنَّه الفعال لما يريد لا الدهر»(١).

وقد كثر هذا النوع من السبِّ، ولا سيما في أشعار المتقدّمين والمتأخرين وكثر في كلام أهل الأدب الذين أساءوا الأدب مع الله ﷻ، وكأنَّ ذلك سنّة يتبع فيها السابق اللاحق، فضلاً عما يكتب في المقالات، والصحف، والكتب، وغيرها، من التشكي من الدهر، والزمان، وذمّه، ووصفه بما لا يليق، وذمّ الأيام، والسنين، والساعات، ولعنها، ونسبة الخيانة، والغدر، ونسبة الحوادث، والكوارث، ونحو ذلك إلى الزمن، فكل أولئك من السبِّ العائد إلى الله ﷻ.

سبب سبّ الدهر:

سبُّ الدهر «ناشئ من ضعف الدين، ومن الحمق والجهل العظيم، فإن الدهر ليس عنده من الأمر شيء، فإنه مدبر مُصرّف، والتصاريف الواقعة

---

(١) النهاية في غريب الأثر ٢/ ٣٥٥.

فيه تدبير العزيز الحكيم، ففي الحقيقة يقع العيب والسب على مدبره»[١].

حكم سب الدهر:

والسبُّ للدهر في حقيقته كما ذكر ابن القيم: أنه «دائر بين أمرين لا بدَّ له من أحدهما، إما سبّه لله، أو الشرك به، فإنه إذا اعتقد أن الدهر فاعل مع الله ﷻ، فهو مشرك، وإن اعتقد أن الله ﷻ وحده هو الذي فعل ذلك، وهو يسبُّ من فعله، فقد سبَّ الله ﷻ»[٢]، وهذا السبُّ من هذا الوجه «محرم، ولا يصل إلى درجة الشرك، وهو من السفه في العقل، والضلال في الدين، لأن حقيقة سبه تعود إلى الله – سبحانه –، لأن الله تعالى هو الذي يصرف الدهر، ويُكَوِّن فيه ما أراد من خير، أو شر، فليس الدهر فاعلاً، وليس هذا السب يُكَفِّر، لأنه لم يسب الله تعالى مباشرة»[٣]، وبهذا النوع يكون سب الدهر من باب إلحاق السبِّ لجناب الربوبية من طريق غير مباشر، فيكون محرماً من هذه الحيثية، لأنه لم يقصد سبَّ الله ﷻ بقدر ما قصد من الاعتراض على القدر، والتبرّم منه، وأما الذي تقدم من السبِّ الصريح، والاستخفاف لجناب الربوبية فلا ريب أنه من الكفر العظيم، وصاحبه خارج من الملّة حلال الدم، بإجماع أهل العلم.

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد، ص١٦٦، وينظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري ١/ ٩٥.

(٢) زاد المعاد ٢/ ٣٢٣.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ٢٤٠.

وتتميماً لهذه المسألة فقد بيّن الشيخ محمد بن صالح العثيمين هذين القسمين، وزاد عليهما قسماً ثالثاً، فقال: « الأول: أن يقصد الخبر المحض دون اللوم، فهذا جائز، مثل أن يقول: تعبنا من شدة حر هذا اليوم، أو برده، وما أشبه ذلك، لأن الأعمال بالنيات، ومثل هذا اللفظ صالح لمجرد الخبر، ومنه قول لوط عليه الصلاة والسلام: ﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾ [هود: الآية٧٧]»[١].

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ٢٤٠.

الفصل الخامس:
دعوى أن كل موجود مفتقر إلى وجود آخر
وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التسلسل في الموجودات، وأثره في الإلحاد المعاصر.

المبحث الثاني: الفرق بين وجود الخالق ﷻ، ووجود المخلوق.

المبحث الأول:

التسلسل في الموجودات، وأثره في الإلحاد المعاصر.

المبحث الأول: التسلسل في الموجودات، وأثره في الإلحاد المعاصر.

التسلسل في اللغة مأخوذ من مادّة: سلَّ، وهذه المادة لها أصل واحد، وهو مدُّ الشيء في رفق وخفاء، ومن ذلك أخذ معنى السلسل، والسلسال، والسلاسل، وهو الماء العذب السهل في الحلق، يتسلسل في الحلق في صبب، وحدور، وكذلك التسلسل، تسلسل الماء إذا جرى.

وعلى ذلك فالتسلسل في اللغة يحمل معنى التتابع، والامتداد، والاتصال[1].

وكذلك في معناه الاصطلاحي: هو ترتيب أمور غير متناهية[2].

والتسلسل بهذا الاعتبار له ثلاثة أقسام، واجب، وممتنع، وممكن.

فأما التسلسل الواجب، فهو «ما دل عليه العقل، والشرع، من دوام أفعال الربِّ تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيماً آخر لا نفاد له، وكذلك التسلسل في أفعاله سبحانه من طرف الأزل، وأن كل فعل مسبوق بفعل آخر، فهذا واجب في كلامه، فإنه لم يزل متكلماً إذا شاء، ولم تحدث له صفة الكلام في وقت، وهكذا أفعاله التي هي من لوازم حياته»[3].

والتسلسل الممتنع: هو التسلسل في الفاعلين، بأن يكون للفاعل فاعل،

---

(١) ينظر: لسان العرب ١١/ ٣٤٣، ومقاييس اللغة ٣/ ٥٩، وكتاب العين ٧/ ١٩٣، وشمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم ٥/ ٢٩٣٥، وتكملة المعاجم العربية ٦/ ١٣١.

(٢) التعريفات، ص٥٧، وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ١/ ٤٢٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي ١/ ١٠٧.

وللفاعل فاعل إلى ما لا نهاية له، وهذا متفق على امتناعه، بصريح العقل، وصحيح النقل[1]، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا يزال الناس يسألونكم عن العلم، حتى يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟»، قال: وهو آخذ بيد رجل، فقال: صدق الله، ورسوله، قد سألني اثنان، وهذا الثالث، أو قال: سألني واحد، وهذا الثاني[2].

والتسلسل الممكن: هو التسلسل في المخلوقات، و«التسلسل في الآثار، بأن يكون الحادث الثاني موقوفاً على حادث قبله، وذلك الحادث موقوف على حادث قبل ذلك، وهلم جرّا»[3].

ومعنى هذا التسلسل في الآثار، والمخلوقات، هو أن يكون حادث إثر حادث، لأنها آثار من آثار الله ﷻ، والله ﷻ لم يزل خالقاً أزلاً، وأبداً، فهو يخلق شيئاً، ثم يخلق بعده شيئاً، ثم يخلق بعده شيئاً إلى ما لا نهاية، فلا يمتنع ذلك إذا قيل: إن صفة الله ﷻ أزلية لا بداية لها، فإن آثارها، ولوازمها التي تستلزمها أيضاً لا بداية لها، ولا يعني هذا أن يكون مخلوقاً أزليّاً لا بداية له، فالمخلوقات لا أوّل لها من حيث النوع، والجنس، لكن الأفراد حادثة، فكل مخلوق بذاته

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٢١.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، أخرجه البخاري عن أنس ﷺ بلفظ (لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله) في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من السؤال، ومن تكلف ما لا يعنيه، (٧٢٩٦)، ومسلم، واللفظ له في كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، (١٣٥).

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٨٨.

هو حادث، وذلك لأنَّ الله ﷻ هو خالق أزلاً، وكونه خالقاً، لأنه قد خلق أشياء، وهذه الأشياء ليست أزلية بذاتها، لكن لما كان لا أول لصفة من صفاته، ومنها صفة الخلق، فإن آثارها، ولوازمها لا أول له كذلك[١].

وهذا النوع من التسلسل فيه خلاف على ثلاثة أقوال، وهي كالتالي:

أ- منعه في الماضي، والمستقبل.

ب- منعه في الماضي، وتجويزه في المستقبل.

ت- جوازه فيهما، وهو قول أهل السنة والحديث[٢].

ولمّا كان التسلسل في الموجودات، والمخلوقات ممكناً، واشتبه على الملاحدة التسلسل الممكن بالتسلسل الممتنع، جعلوا وجود الخالق كوجود المخلوق من حيث التسلسل، وذلك أنهم اعتقدوا أنَّ كل موجود مفتقر في وجوده إلى آخر، حتى وجود الله ﷻ، ولم يفرقوا بين وجود الله ﷻ، ووجود البشر، وذلك لأنهم بنوا هذه القضية على محض العقل.

والمنكرون لوجود الله ﷻ يعتمدون في إلحادهم على قضية تسلسل العلل، والمعلولات، «فهم يقولون: إن العالم عبارة عن مجموعة سلسلة العلل، والمعلولات اللامتناهية، فكل علة في السلسلة معلولة لعلة تقدمتها، وكلُّ معلولٍ علّةٌ لمعلول لأخرَ يعقبه، فلا تنتهي سلسلة العلل المتصاعدة إلى علة تكون هي العلة الأولى، وينقطع بها التسلسل، لعدم وجود علة تقدمتها، كما لا تتنازل المعلولات إلى معلول أخير لا معلول بعده، فسلسلة الكائنات -

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، للدكتور سفر الحوالي، ص٣١٠، بتصرف.

(٢) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة ٣/ ٩٩٨.

وكم فيها من سلاسل- كالحلقة المفرغة من حيث أنها لا أول لها ولا أخر»[١].

ولأجل ذلك فقد زعم بعض الملاحدة أنَّ وجود الله ﷻ، يساوي تماماً من حيث النظرية العلمية -زعموا- وقوف الملحدين عند المادة الأولى للكون، وهي التي يسمونها: السديم، وأن كلا القولين يستويان بعد ذلك في جواب واحد، على سؤالٍ عن علّة المصدر الأول؟ والجواب هو: الجهل عن علّة المصدر الأول، لتقود هذه النتيجة في النهاية إلى إنكار وجود الله ﷻ، بدعوى عدم معرفة علة وجوده، على حين أنهم يقولون: إن السديم هو أصل الكون، ومنه نشأ، مع كونهم لا يعلمون أصل وجوده، الأمر الذي أنكروا بسببه وجود الخالق[٢].

وهذه الشبهة مضمونها: ما دام الموجود الأزلي غير معلول الوجود، فلم

---

(١) موقف العقل من رب العالمين ١/ ١٩١.

(٢) وهذا ما قاله صادق الجلال العظم، في كتابه: نقد الفكر الديني، ص٢٨، قال: في الواقع علينا أن نعترف بكل تواضع حول جهلنا بكل ما يتعلق بمشكلة المصدر الأول للكون، عندما تقول لي أن الله هو علة وجود المادة الأولى التي يتألف منها الكون، وأسألك بدوري ما علة وجود الله؟ أقصى ما تستطيع الإجابة به، لا أعرف، إلا أن وجود الله غير معلول، ومن جهة أخرى عندما تسألني، وما علة وجود المادة الأولى، فإن أقصى ما أستطيع الإجابة به، لا أعرف إلا أنها غير معلولة الوجود، وفي نهاية الأمر اعترف كل منا بجهله حيال المصدر الأول للأشياء، ولكنك اعترفت بذلك بعدي بخطوة واحدة، وأدخلت عناصر غيبية لا لزوم لها لحل المشكلة، والخلاصة وإذا قلنا: إن المادة الأولى قديمة وغير محدثة، أو أن الله قديم وغير محدث، نكون قد اعترفنا بأننا لا نعرف ولن نعرف كيف يكون الجواب على مشكلة المصدر الأول للأشياء، أهـ.

لا يكون الموجود الحادث غير معلول الوجود؟.

وكل من وهبه الله ﷻ عقلاً فطريّاً يعلم يقيناً أنه لا يمكن أن يقاس المخلوق الحادث، بالأول الذي ليس قبله شيء، مع أنَّ المخلوق يحمل صفات حدوثه قبل ألم يكن شيئاً مذكوراً، وهنا تكمن مغالطة الملحد بتسويته بين الأول الذي ليس قبله شيء، وبين المخلوق الحادث، وذلك ليتخلص من الضرورة العقلية التي تحتّم الإيمان بوجود خالق للكون، إذ إنَّ الزعم بأنَّ الحدوث المطلق دون سبب سابق عليه مستحيل عقلاً(١)، كما قال الله : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: ٣٥].

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً فلسفة دافيد هيوم، التي ينكر فيها أثر الأسباب على مسبباتها، وأنه في حال يبحث عن علل للكون، فلا بدَّ من البحث عن علّة لوجود الله ﷻ، حتى خلص في فلسفته إلى إنكار وجود الله ﷻ، لتعارض الاعتراف بوجود الله ﷻ مع حيثيات المذهب التجريبي، وهذا من أثر الاعتقاد في أنَّ تسلسل الموجودات يؤدي إلى البحث في العلة لوجود الله ﷻ، حتى خرج من هذا التضارب الفكري إلى هذا الإلحاد(٢).

---

(١) صراع مع الملاحدة إلى العظم، ص٩٥، بتصرف.

(٢) ينظر: الفلسفة الحديثة، من ديكارت إلى هيوم، ص٣٥٠، وكواشف زيوف المذاهب المعاصرة، ص٤٥٥.

المبحث الثاني:

الفرق بين وجود الخالق ﷻ، ووجود المخلوق.

المبحث الثاني: الفرق بين وجود الخالق ﷻ، ووجود المخلوق.

الحديث عن الفرق بين وجود الخالق، ووجود المخلوق كالحديث تماماً عن الفرق بين الخالق، والمخلوق، لأنَّ الحديث عن الصفات كالحديث عن الذات، ولا يمكن عقد مقارنة بين الرب، والمربوب، وكيف يقارن بين الكامل من جميع الوجوه بالناقص من جميع الوجوه؟.

ولكن لمّا وقعت الشبهة الإلحادية بالتسلسل في الموجودات، وكان لها أثرها في الإلحاد، كان لزاماً توضيح هذا المبحث.

ولأجل ما تقدم فإنه يقال في أبرز الفروق، بين وجود الخالق، ووجود المخلوق:

أولاً: أنه ما من موجودين إلا وبينهما قدر مشترك، وقدر مُمَيِّز، وصفة الوجود لله ﷻ، والوجود للمخلوق، لها معنى مشترك، يصدق على وجود الله ﷻ، ووجود المخلوق، وهو الاتفاق في مسمّى الوجود، والقيام بالذات والنفس، ولكلٍّ من الخالق، والمخلوق، قدر مُمَيِّز يختصُّ به، فوجود الخالق ليس كوجود المخلوق، وإثبات القدر المشترك لا يعني المماثلة في القدر المُميِّز[1]، ومن القدر المميز ما يلي:

ثانياً: أنَّ وجود الخالق أوليٌّ لا بداية له، قال الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾[الحديد: ٣]، ومن أسماء الله ﷻ

---

(١) ينظر: التدمرية، ص ١٨٢، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ٦٩، وبيان تلبيس الجهمية ١/ ٩٦.

الأول، وهو الذي ليس قبله شيء[١]، فوجود الله ﷻ لا بداية له، وأما وجود المخلوق فقد سبقه عدم، والمخلوق حادث، ولا بد لكل حادث من محدث، قال الله ﷻ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان: ١] ، فقد أتى على الإنسان زمان لا وجود له[٢].

ثالثاً: أنَّ وجود الله ﷻ وجود ليس له نهاية، قال الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾[الحديد: ٣]، فهو الآخر الذي ليس بعده شيء[٣]، بخلاف المخلوق الذي ينتهي إلى الفناء، قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[آل عمران: ١٨٥].

رابعاً: أنَّ الله ﷻ في وجوده غنيٌّ عما سواه، فالله ﷻ له الملك كله، وليس له شريك فيه، ولا ليس له معاون، ولا وزير، ولا ظهير، ولا يستطيع أحد أن يتقدم بين يدي الله ﷻ بالشفاعة، إلا ما بعد الله ﷻ أن يأذن لمن يشاء، ويرضى، قال الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ

---

(١) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم الحديث:(٢٧١٣)، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء».

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٨/ ٢٨٥.

(٣) كما في الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم الحديث:(٢٧١٣)، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «وأنت الآخر فليس بعدك شيء».

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ – ٢٣][1].

وأما المخلوق، فهو في غاية الحاجة والاضطرار إلى الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر: ١٥]، ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

وكذلك الخلق فيما بينهم محتاج بعضهم إلى بعض، قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢][2].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد ٢/ ٦٠٣.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٧/ ٢٢٦.

الفصل السادس:
تقديس العقل،
وفيه تمهيد ، وثلاثة مباحث:

تمهيد:

النزعة العقلانية عند الفلاسفة الأوائل، وأثرها على من بعدهم.

تمهيد: النزعة العقلانية عند الفلاسفة الأوائل، وأثرها على من بعدهم.

مفهوم العقلانية:

العقلانية منسوبة إلى العقل، ومعنى العقل في اللغة، والاصطلاح، كما يلي:

العقل في اللغة له إطلاقات متعددة، فيطلق على المنع، والحبس، يقال: اعتقل الرجل إذا حبس، ويقال: عقلت البعير، إذا منعته من الحركة بالحبل الذي يعقل به، وكذلك العقل يحبس صاحبه، ويمنعه عما لا يليق به.

وكذلك أيضاً يطلق على الفهم، والعلم، والتمييز، يُقال: عَقَلَ الشيء يعقله عقلاً، إذا فهمه وتَبيَّنَهُ، وعَقَلَ الشيء، إذا علمه، أو علم صفاته، ويسمى العقل أيضاً: الحِجْرُ والنُّهَى، وهو ضدُّ الحمق [(١)].

قال الله تعالى: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ [الفجر: ٥]، «أي: لذي عقل، ولبٍّ وحجا، ودين، وإنما سمي العقل حجْراً، لأنه يمنع الإنسان من تعاطي ما لا يليق به من الأفعال، والأقوال» [(٢)].

وفي الاصطلاح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن مفهوم العقل: «والعقل في كتاب الله، وسنة رسوله، وكلام الصحابة، والتابعين، وسائر أئمة المسلمين، هو أمر يقوم بالعاقل سواء سُمّي عرضاً، أو صفةً ليس هو عيناً

---

(١) ينظر: لسان العرب ١١/ ٤٥٨، والمخصص، لابن سيده ١/ ٢٥٠، ومقاييس اللغة ٤/ ٥٦.

(٢) تفسير ابن كثير ٨/ ٣٩٤.

قائمة بنفسها»[١]، ويقول أيضاً في موضع آخر: «اسم العقل عند المسلمين، وجمهور العقلاء، إنما هو صفة، وهو الذي يُسمّى عرضاً قائماً بالعاقل، وعلى هذا دلَّ القرآن في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]، وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]، وقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾ [الحديد: ١٧]، ونحو ذلك مما يدل على أن العقل مصدر عَقَلَ يعقل عقلاً.

وإذا كان كذلك فالعقل لا يسمى به مجرد العلم الذي لم يعمل به صاحبه، ولا العمل بلا علم، بل إنما يسمى به العلم الذي يعمل به، والعمل بالعلم، ولهذا قال أهل النار: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠﴾ [الملك: ١٠]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ [الحج: ٤٦]»[٢].

وشيخ الإسلام ابن تيمية يبين أن العقل من منظور النصوص الشرعية، صفة تقوم بالإنسان، تتمثل في أثر العلم على العمل، ولكن ثمّتَ مفاهيم اصطلاحية للعقل مأخوذة من المعنى اللغوي، وهي كما يلي:

«الأول: يرجع إلى وقار الإنسان، وهيبته، ويكون حدّه أنه هيئة محمودة للإنسان في كلامه، واختياره، وحركاته، وسكناته.

الثاني: يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية،

---

(١) مجموع الفتاوى ٩/ ٢٧١.

(٢) مجموع الفتاوى ٩/ ٢٨٦.

فيكون حدّه أنه معان مجتمعة في الذهن تكون مقدمات تستنبط بها الأغراض، والمصالح.

الثالث: يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان، فيكون حده أنه قوة تدرك صفات الأشياء من حسنها، وقبحها، وكمالها، ونقصها»(١).

كما أن العقل أيضاً يطلق على الغريزة التي يتهيأ بها الإنسان لإدراك العلوم، ويطلق أيضاً على العلوم المستفادة من التجارب، وكذلك من حنّكته التجارب، ويطلق على من له وقار، وهيبة(٢).

وفي اصطلاح الفلاسفة يطلقون العقل على معنى مغاير لما هو معروف في لغة العرب، إذ له معنيان رئيسان:

الأول: عقل بمعنى قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني، وتأليف القضايا، والأقيسة، والمعرفة العلمية.

الثاني: عقل ليس بماديٍّ، له جوهر خاص قائم بنفسه، وهو ما يسمونه: العقل الفعال، الذي تفيض منه المعاني على عالم الكون، ليتلقاها العقل المنفعل الذي تنطبع فيه تلك المعاني، وكلما اتصل العقل الإنساني بالعقل الفعال، عرف كل شيء، ولذلك يسمونه: بالعقل القدسي (٣).

ومن معرفة مفهوم العقل عند الفلاسفة يظهر بجلاء اعتدادهم بالعقل،

---

(١) المعجم الفلسفي جميل صليبا ٢/ ٨٤.

(٢) ينظر: المستصفى من علم الأصول ١/ ٢٢.

(٣) ينظر المعجم الفلسفي جميل صليبا ٢/ ٨٤-٨٥-٨٦.

إذ يجعلونه الطريق الوحيد إلى المعرفة، حتى بلغوا مرحلة تأليه العقل وتقديسه.

مفهوم مصطلح العقلانية:

والعقلانية هي التفسير «العقلاني لكل شيء في الوجود، أو تمرير كل شيء في الوجود من قناة العقل، لإثباته، أو نفيه، أو تحديد خصائصه»[١].

والعقلانية بهذا المفهوم «مذهب قديم في البشرية، يبرز أشد ما يبرز في الفلسفة الإغريقية القديمة، ويمثله أشد ما يمثله سقراط، وأرسطو.

ولقد ظلت الاتجاهات الفلسفية الإغريقية التي تمثل العقلانية قسماً بارزاً منها تسيطر على الفكر الأوربي»[٢] الذي انبثقت منه المذاهب الفكرية المعاصرة.

فالعقلانية على ضوء ما تقدم هي «القول بأولية العقل في الحكم على الأشياء، وتقديمه على غيره»[٣].

ومن هذا المنهج العقلي أيضاً جاء مفهوم الفلسفة التي تعتني بدراسة الموجودات، وحقائقها، والبحث عن طبائع الأشياء، وتطلق على العلم النظري بمعناه الواسع، كما أنَّها أيضاً تبحث بالأخص في العلم الإلهي، وما

---

(١) مذاهب فكرية معاصرة، لمحمد قطب، ص٥٠٠.

(٢) مذاهب فكرية معاصرة، لمحمد قطب، ص٥٠٠.

(٣) الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص١٦.

بعد الطبيعة، المسمّى "بالميتافيزقيا" وهذا هو المقصود بالفلسفة، «لأن أهم مباحثها هو المحرك الأول، باعتباره الموجود الأول، والعلة الأولى للوجود»[(١)]، بل إنَّ أرسطو[(٢)] يرى أن العلم الإلهي، «غاية فلسفتهم، ونهاية حكمتهم»[(٣)]، وعلى هذا فالفلسفة اليونانية تبحث في الغيبيات بمقتضى القواعد العقلية التي تواضعوا عليها، بعيداً عن أي مصدر آخر، وهذا مكن الخطأ عندهم، وهو الاعتماد الصرف على العقل في كل شيء، حتى فيما لا مجال للعقل فيه.

وعلى ضوء ما سبق فإنَّ النزعة العقلية لدى الفلاسفة الأوائل تُعتبر هي جوهر فكرهم، وخلاصة أداة فلسفتهم، فالعقل له السلطان المطلق على كل شيء، وهذه النزعة العقلية الفلسفية كان لها امتدادها، وأثرها على من بعدهم ممن تأثر بهم.

ومفهوم الفلسفة عند الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام، لا يختلف عمّا وضعه أرسطو، فأوّل فيلسوف في المسلمين تأثر بفلسفة اليونان، هو يعقوب بن إسحاق الكندي[(٤)]، تبع أرسطو في تعريف الفلسفة، حيث عرّفها بأنها:

---

(١) الفلسفة الإسلامية، دراسة ونقد، ص ٢٨.

(٢) أرسطوطاليس بن ينغو ماخوش، الفيثاغوري، وهو تلميذ أفلاطون الحكيم، انتهت إليه فلسفة اليونانيين، وهو خاتمة حكمائهم، وسيد علمائهم، حتى لقب بصاحب المنطق،ينظر: (بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ٣/ ١٣٤١).

(٣) نقض المنطق، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص ١٦٧.

(٤) يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي الأشعثي _ توفي عام ٢٦٠هـ _ =

«هي علم الأشياء بحقائقها، بقدر طاقة الإنسان»[١]، وعلى هذا المفهوم للفلسفة، جرى عليه من يتعاطاها، وقد ذكر الفارابي[٢]: أن الفلسفة هي العلم بالموجودات بما هي موجودة[٣].

وقد عرفها الجرجاني بقوله: «التشبه بالإله بحسب الطاقة البشرية، لتحصيل السعادة الأبدية»[٤]، والتشبه بالإله يكون بتطلّب العلم به، عن طريق النظر في صفحة هذا الكون، وتتبع الموجودات بالفكر ليدرك ماهيتها، وينظر في عللها، «حتى يصل إلى الغاية القصوى، التي هي العلّة الأولى، والتي كان كل شيء بها، ومن أجلها، ثم يرتدُّ على أعقابه محلّلاً العناصر، والطبائع،

=

فيلسوف العرب، كان رأسا في حكمة الأوائل ومنطق اليونان والهيئة والتنجيم والطب وغير ذلك، له مصنفات كثيرة منها: رسالة في التنجيم، واختيارات الأيام. ينظر: (سير أعلام النبلاء ١٢/ ٣٣٧، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، ص ٢٨٤).

(١) الفلسفة الإسلامية، دراسة ونقد، ص ٢٩.

(٢) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي، أبو نصر الفارابي المنطقي _ ولد عام ٢٦٠هـ، وتوفي عام ٣٣٩هـ _ فيلسوف من حذاق الفلاسفة، ويعرف بالمعلم الثاني، وهو أكبر فلاسفة المسلمين، من مؤلفاته آراء أهل المدينة الفاضلة، الجمع بين رأيي الحكيمين. ينظر: (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤١٧، والبداية والنهاية ١٥/ ٢٠٧).

(٣) ينظر: كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين، للفارابي، ص ٨٠.

(٤) التعريفات، ص ١٢٠.

كاشفاً عن حقيقة الجواهر، والأعراض، مقسّماً، ومرتباً، حتى تكون له صورة واضحة عن الكون»[١].

فقصارى أمر الفلسفة، وغايتها، أن تبحث عن الله ﷻ بقدر الطاقة البشرية، وهذا يعنى أن وسيلة البحث في ذلك الأمر العظيم، هي العقل! ومن ثَمَّ كان العقل عندهم هو الدليل القطعي وما سواه ظنيٌّ كائناً ما كان، وقد وصف ابن خلدون[٢] اعتمادهم على العقل بقوله: «أن قوماً من عقلاء النوع الإنساني، زعموا أن الوجـــود كلَّه الحسيَّ منه، وما وراء الحسيِّ، تدرك أدواتـــه، وأحواله بأسبابها، وعللها بالأنظار الفكرية، والأقيسة العقلية، وأن تصحيح العقــائد الإيمانية من قبل النظر، لا من جهة السمع، فإنها بعض من مدارك العقل، وهؤلاء يُسمّـــون فلاسفة، جمع فيلسوف...فبحثوا عن ذلك، وشمّروا له، وحوّموا على إصابة الغرض منه، ووضعوا قانوناً يهتدي به العقل في نظره إلى التمييز بين الحق، والباطل، وسموه بالمنطق...ثم يزعمون أن السعادة في إدراك الموجودات كلها ما في الحس، وما وراء الحس، بهذا النظر وتلك البراهين.

(١) تاريخ الفلسفة العربية، ص٧.

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن خلدون الأشبيلي _ ولد عام ٧٣٢هـ، وتوفي عام ٨٠٨هـ _ الفيلسوف المؤرخ، العالم الاجتماعي البحاثة، اشتهر بكتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، وله المقدمة الشهيرة باسمه. ينظر: (الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي ٤/ ١٤٥، والبدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع ١/ ٣٧٦).

وحاصل مداركهم في الوجود على الجملة، وما آلت إليه، وهو الذي فرّعوا عليه قضايا أنظارهم، أنهم عثروا أولاً على الجسم السفلي بحكم الشهود والحس، ثم ترقى إدراكهم قليلاً، فشعروا بوجود النفس من قبل الحركة، والحسِّ في الحيوانات، ثم أحسّوا من قوى النفس بسلطان العقل، ووقف إدراكهم، فقضوا على الجسم العالي السماوي بنحو من القضاء على أمر الذّات الإنسانية، ووجب عندهم أن يكون للفلك نفس، وعقل، كما للإنسان، ثم أنهوا ذلك نهاية عدد الآحاد، وهي العشر، تسع مفصلة، ذواتها جمل، وواحد أوّل مفرد، وهو العاشر، ويزعمون أنَّ السعادة في إدراك الوجود على هذا النحو من القضاء، مع تهذيب النفس، وتخلّقها بالفضائل، وأنَّ ذلك ممكن للإنسان، ولو لم يرد شرع، لتمييزه بين الفضيلة، والرذيلة من الأفعال بمقتضى عقله، ونظره، وميله إلى المحمود منها، واجتنابه للمذموم بفطرته، وأن ذلك إذا حصل للنفس حصلت لها البهجة، واللذة، وأن الجهل بذلك هو الشقاء السرمدي، وهذا عندهم هو معنى النعيم، والعذاب في الآخرة، إلى خبطٍ لهم في تفاصيل ذلك معروف في كلماتهم»[1].

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٥/ ٢٥٧.

المبحث الأول:

العقلانية في الفلسفة الحديثة.

المبحث الأول: العقلانية في الفلسفة الحديثة.

ظهور مذهب العقلانية في الفلسفة الحديثة، وأسبابه:

الفلسفة الحديثة ظهرت بدايتها في أوربا أوائل القرن السادس عشر الميلادي، لما بدأت أوربا تنازع احتكار الكنيسة للعقل بالكشوفات العلمية الحديثة، والدراسات التجريبية، وكان في مقابل ردود فعل الكنيسة المناهض للثورة عليها، ردّة فعل عكسية من جهة العقلاء، فكانت مواجهة الكنيسة القاسية على تحرر العقل الأوربي سبباً في تحرره، وقام فلاسفة القرن السابع عشر ميلادي بالهجوم على الدين باعتباره خرافةً مناقضاً للعقل، وفي القرن الثامن عشر ميلادي ساد مذهب التأليه العقلي (١).

وفي الوقت الذي انحسر فيه نفوذ المسلمين من الأندلس، وورث الإسبان منهم ذخائر العلوم في كل فنٍّ، التي انتقلت إلى البلاد الأوربية، كانت سبباً في تنوير العقل الأوربي الذي كان محجوراً عليه طيلة قرون ماضية، فوجد ضالته التي ينشدها فيما أبحر فيه المسلمون من مختلف العلوم، والفنون، فكانت تلك الدراسات، والمؤلفات، والنظريات العربية الإسلامية نواةً غرسها الأوربيون في حقل نهضتهم، وأخذوا من المسلمين بعد تعلمهم اللغة العربية كل شيء من العلوم، والمعارف إلا الإسلام، فقد حال بينهم وبينه التعصب الصليبي.

---

(١) ينظر: العلمانية، نشأتها وتطورها في العالم الإسلامي، ص١٥٨

وهذا بالإضافة إلى احتكاكهم بالمشرق الإسلامي إبّان الحروب الصليبية، والحركات التجارية[١].

وكذلك أيضاً لما سقطت إمبراطورية بيزنطة على يد العثمانيين بفتح القسطنطينية، عام ١٤٥٣م، كان تحولاً من العصور الوسطى إلى العصر الحديث، وانتقلت منها العقول النصرانية إلى إيطاليا، وتُرجم الكتاب المقدس لديهم باللغات الأوربية العصرية بعد نقله من اللاتينية، والذي كانت قراءته حكراً على رجال الكنيسة، فكان من حق النصراني أن يقرأ الكتاب المقدس، ويستنتج تفسيراته عل ضوء فهمه الخاص، وحدث التصحيح الكبير في دينهم، بل التحرر من قيوده، وأغلاله التي فرضها أحبارهم، ورهبانهم.

وحينئذٍ انتشرت الثقافة، والاطلاع على الكتب، فبدأ الفكر العقلي الأوربي ينمو، ويسابق إلى فضاء البحث العلمي، والنتاج المعرفي، والسباق في اكتشاف أسرار العالم، وسننه الكونية[٢].

وإلى جانب هذه الثورة المعرفية تطورت الصناعة تطوراً ملحوظاً في كثير من جوانب الحياة، على حين أن الحروب أيضاً قد توّهج سعيرها، ودخلت البلدان الأوربية في تنّورها، مما شجع على مزيد من البحوث، والدراسات، واكتشاف الجديد من الصناعات، الأمر الذي أغرى بالاعتداد بالعقل، واعتباره أساساً في المعرفة.

---

(١) ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٥١٢.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٥.

والملاحظ في ذلك تطور البحث في العلوم مع التقدم في الصناعات، وكان من أبرز ذلك اختراع المطبعة التي جعلت من الكتاب وسيلة سهلة للتثقيف، والتعلم، ولم تعد العلوم حكراً على فئة من الناس، بل كل من استطاع القراءة تناول من الكتب ما شاء، وأصبحت الكتب الفلسفية، والأعمال الأدبية متاحة لجميع القراء، وكان كل ما تقدّم ذكره عاملاً كبيراً لانتشار النزعة العقلانية، والاعتداد بالعقل إبّان النهضة الأوربية الحديثة، كما أنها أيضاً ورثت من الفلاسفة الأوائل تأليه العقل، وتقديسه(١).

والعقلانية الحديثة كما أنها امتداد لاعتماد الفلاسفة الأوائل على العقل، وكذلك ما تقدم ذكره من بعض الأسباب التي أدت إلى شيوع النزعة العقلية في الفلسفة الحديثة، كذلك أيضاً انضاف إلى تلك الأسباب سبب آخر رئيس، وهو أن اليهود لما سيطروا على كثير من المفاصل الحيوية في العالم، ولا سيما الاقتصاد، والإعلام دأبوا على نشر مفهوم العقلانية، وتكريس سلطانه على كل شيء، ليزاحم الأديان، وليقضي على سلطانها، وهم بذلك ضربوا الأديان في عمقها، لأن العقلانية ارتبط مفهومها في العصر الحديث بالإلحاد، وإنكار وجود الله ﷻ، والاستخفاف بالدين، ووصفه بالخرافة، ودعوا إلى التحرّر من الدين بإحلال العقل محلّه، ولقد اعترف بذلك أحد اليهود في كتابٍ له باللغة الفرنسية(٢)، والهدف من وراء ذلك وغيره، هو إشاعة الفساد في الأمميين -

---

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، ص٦.

(٢) اسم الكتاب: تأملات في المشكلة اليهودية، لجان بول سارتر، فقد اعترف بنشر =

وهم كل من عدا اليهود في زعمهم-.

والعقلانية في الفلسفة الحديثة كان لها جذورها، وامتدادها، ولها أسبابها التي أخرجتها للوجود، غير أن اليهود استفادوا من مجموع تلك الأسباب، وأحسنوا استثمارها، وطوّعوها لخدمة مصالحهم.

والعقلانية في الفلسفة الحديثة تقضي أن جميع المعارف، والعلوم يجب أن تبدأ من "الأفكار الفطرية" المحددة في العقل، وتحكيم العقل في كل شيء، والثقة بحكمه على أن ذلك الحكم قضية مسلّمة، واسُتخدم حكم العقل بالأخص ضد الاتجاه الديني، فالمرجع عند الاختلاف هو العقل الذي يلغي سلطان الدين، والعقل عندهم لا يحتكم إلى الموروثات السابقة، أو إلى أي سلطة تخرج عن حدوده[1].

«وتعددت الآراء، والمذاهب الفلسفية، والاجتماعية، وغيرها ضمن هذا الاتجاه العقلاني، لاختلاف تصورات العقول، ومدركاتها، ولتأثر كثير منها بأهواء النفوس، والمصالح الخاصة، ونزعات الأفراد، والجماعات، ونزعاتهم، وعصبياتهم، وأنانياتهم، مع تعذّر تطابق الأهواء، والمصالح،

=

اليهود للعقلانية باعتبارها مضادة للإلهام الديني، وطالما أن البشر يؤمنون بالدين، فإنه سيقع على اليهود تمييز مجحف، لأنهم يهود. ينظر كتاب: مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، ص٥٣٠.

(١) ينظر: الفكر الإسلامي الحديث، وصلته بالاستعمار الغربي، ص٢٩٧، وجهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي، ص١٧٨.

ودوافع النفوس الأنانية.

وأخذ أعلام الفلسفة، والدراسات الفكرية يومئذ يصدرون آراءهم، ومفاهيمهم العقلية التأملية، ولبّست هذه الآراء، والمفاهيم لباس العقلانية، وصارت لدى الجماهير المفتونة بالعقلانية ضمن المسلمات العقلية، وصار العقل الذي يمثّله هؤلاء الأعلام، هو الحكم في كل شيء، حتى في الأمور الغيبية التي لا يملك موازين لإثباتها، أو نفيها، وبذلك تداخلت العقول مدفوعة بالقلوب المستكبرة، لرفض، وإنكار قطعيات دينية غيبية ثابتة في الدين بيقين، مع أنها لا تملك لإدراك هذه الغيبيات عيوناً للمشاهدة، ولا حساً للمس، حتى ولا عكازاً يسمح بالمشي في الظلمات، ولا تملك أيضاً أي دليل منطقي للنفي.

وأفرز هذا الاتجاه العقلي الإلحاد، وادّعاآته الباطلة، والديكتاتورية، والديموقراطية في السياسة، والرأسمالية على اختلاف درجاتها، والاشتراكيات على اختلاف درجاتها في الاقتصاد، وآراء كثيرة في تعليل ظاهرات الكون تعليلات فلسفية، لا تخضع للتجربة، ولا للمشاهدات الحسية.

وتصارعت أفكار الناس، وتباينت، وتعارضت ضمن هذا الاتجاه العام، وأظهرت تجربة اعتماد العقل، والثقة بكل أحكامه التي يقدّمها الناس على أنها فلسفات، أو تصورات، أو تأملات، أو أحكام عقلية، تناقضات لا حصر لها، وكشفت أنه كثيراً ما يقع فريسة أهواء النفوس، وشهواتها، وغرائزها، ونزغاتها، وينساق وراء المصالح الخاصة، فينحرف عن الحقيقة،

ويزين الباطل»[١].

ومن أشهر هذه المذاهب العقلانية المعاصرة، "الدغمائية الوثوقية"، وهو مذهب يثق بالعقل، وقدرته المطلقة على إدراك الحقائق، والوصول إلى اليقين، دون أن يكون هناك أدنى شك في صدق المسلمات العقلية، وتبع هذا المذهب جمع من فلاسفة الغرب، وبنوا أفكار مذاهبهم على هذا الأساس[٢].

فهذه العقلانية الحديثة في الفلسفات المعاصرة، أزاحت قضية الإيمان بالله ﷻ من القلوب، وجعلت العقل مشرّعاً، وحاكماً على كل شيء، ومن هذه الحيثية اتخذوه ربّاً، كما قال الله ﷻ عمن هم دونهم في هذا الشرك: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١].

---

(١) كواشف زيوف المذاهب المعاصرة، ص١٥٩.

(٢) ينظر: معجم المصطلحات، والشواهد الفلسفية، ص١٩١.

المبحث الثاني:

نزعة الإلحاد في المدارس العقلانية الحديثة.

المبحث الثاني: نزعة الإلحاد في المدارس العقلانية الحديثة.

المدارس العقلانية الحديثة في هذا المبحث المراد بها هي التي جعلت العقل شيئاً مقدساً تألّهه من دون الله ﷻ، وجعلت له سلطاناً، كسلطان الشريعة عند المسلمين، كالذي تقدم ذكره.

والنزعة الإلحادية في تلك المدارس تتمثل في أمرين: إما إلحاد، وإنكار لوجود الله ﷻ، وذلك لأنَّ «المذهب العقلي يتجه نحو إزالة "الله"، وما فوق الطبيعة من الكون، فإنَّ نمو المعرفة العلمية، وازدياد الاستخدام البارع للأساليب العلمية، يرتبط بشدة مع نمو الوضع العقلي نحو الكون»[1] .

وإما إثبات لوجود الله ﷻ مع نفي قدرته على التصرف، وهذا وإن كان فيه إثبات لوجود الله ﷻ ظاهراً، إلا أنه قد فُرِّغ من محتواه، فيرجع إلى الأول.

والعقل الأوربي الحديث مع التطور الصناعي، والاكتشافات العلمية التجريبية، ومعرفة بعض قوانين، وسنن الكون، وظهور دراسات حديثة قائمة على الحسّ، والتجربة، تخالف صراحة ما كانت الكنيسة تكذب به على الناس، فمن جراء ذلك قامت هذه الفلسفات العقلية على بحث كل شيء بالحس، والتجربة، لمّا رأوا صدق ذلك في بعض ما يتسع له البحث، والنظر بالحسّ، والتجربة، حتى بحثوا قضية وجود الله ﷻ، وكل الغيبيات التي لا مجال لبحثها بالطريقة نفسها، فقادهم ذلك إلى الإلحاد، وإنكار وجود الله ﷻ، وإنكار جميع

---

(١) منشأ الفكر الحديث، برنتون، ترجمة: عبد الرحمن مراد، ص١٠٢، نقلاً من مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص٥١٧.

الغيبيات، واعتبارها خرافة، وأفكاراً من مخلّفات الكنيسة.

والذي يتبين أن الإلحاد في تلك المدارس خرج من رحم الكنيسة النصرانية الوثنية من وجهين:

الأول: تعمّد تحريف، وتزييف الوحي الإلهي بما يخدم مصالح شخصية، والكنيسة لم تكتفِ بفرض عقائد تقررها المجامع الكنسية حتى جعلت من خالفها كافراً يستحق ما يترتب عليه من عقوبة، ودخلت فيها الخرافة الوثنية، والعقائد المتناقضة مع الضرورات العقلية، التي جعلت الشكوك تجد طريقها بينهم، ثم تنامت بعد ذلك حتى انتهت إلى الإلحاد، لا سيما بعد الثورة عليها، واستبدال تعاليم الكنيسة بفلسفات بشرية تعتمد عقول البشر.

والثاني: فرض الوصاية المطلقة التي بلغت ذروة الطغيان في كل شيء، حتى حجرت على عقول أتباعها كل ما لم تتبنه الكنيسة، وجعلت منها المنفذ الوحيد، والحصري لكل المعارف، والعلوم، حتى خاضت معركتها المتهورة مع الحركة العلمية التجريبية التي انتهت بالثورة على الكنيسة، ورجالها، واستبدلتها بالنظم الوضعية، والفلسفات الحديثة[1].

فالنزعة الإلحادية في تلك المدارس العقلانية، جاءت من جهة أنهم جعلوا الطريق إلى اكتساب المعلومات من جهة العقل فحسب، وحصروا جميع الموجودات فيما دخل تحت المحسوسات.

---

(١) ينظر العلمانية نشأتها وتطورها في العالم الإسلامي، ص١٧٧ وما بعدها، وكتاب الفلسفة المعاصرة في أوربا، تأليف: إ. م. بوشنسكي، ص٢٢.

المبحث الثالث:

مذهب العقلانية في الفرق الإسلامية المعاصرة.

المبحث الثالث: مذهب العقلانية في الفرق الإسلامية المعاصرة.

إنَّ من نقصان الدين دخول العقليات المورثة عن الفلاسفة، والمناطقة الوثنيين، على عقائد المسلمين المنزلة من رب العالمين، على لسان سيد المرسلين، والأدهى أن تُسمّى أدلة الكتاب والسنة، أدلة لفظية، وتوصف أنها ظنية لا تفيد اليقين، على حين أنَّ الأدلة التي يسمونها عقلية، توصف بأنها قواطع عقلية، وأدلة يقينية، وإذا تعارضت الأدلة العقلية مع الأدلة السمعية، قُدّمت الأدلة العقلية على نصوص الكتاب والسنة!.

ومنشأ هذا، أنَّ تأليه العقل، وتقديسه، كان معروفاً في الفلسفات القديمة، والذي أثر بدوره على الفلسفات الحديثة، ولم تكن الأمة الإسلامية بمعزلٍ عن هذا الأمر، فقد تأثرت بالمدرسة العقلية.

وقد كان الناس في عافية من هذا، لما عندهم من نور الرسالة والوحي: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة: ١٥]،: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾[النساء: ١٧٤]، ولمّا أكمل الله ﷻ للناس دينهم، وأتم نعمته به عليهم، لم يكونوا ليحتاجوا معه إلى غيره، وقد ترك النبي ﷺ أمته على البيضاء ليلها كنهارها، وكان المسلمون على هذا الخير العظيم ردحاً من الزمن، حتى اختلطت هذه الأمة بالأمم الأخرى، وأخذت عنها بعض فلسفاتها، فكان ذلك سبباً في دخول هذه الضلالات إلى حمى المسلمين.

أبرز أسباب التأثر بالمدرسة العقلية:

ومن أهم أسباب ذلك لما تُرجمت الكتب اليونانية، والفلسفات المنطقية، وكانت الترجمة لكتب الأوائل في بداياتها على نطاق ضيق، تقتصر على كتب العلوم العلمية الصرفة، كالطبِّ، والصناعة، ونحو ذلك، ثم بعد ذلك انهالت الترجمة على الكتب الفلسفية، والعلوم العقلية، والمنطقية، قال السيوطي[(١)]: «إن علوم الأوائل دخلت إلى المسلمين في القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم، ولكنها لم تكثر فيهم، ولم تشتهر بينهم، لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها...ثم قوي انتشارها في زمن المأمون لما أثاره من البدع، وحثَّ عليه من الاشتغال بعلوم الأوائل، وإخماد السنة»[(٢)].

وبداية الترجمة في الإسلام، كانت على يد خالد بن يزيد بن معاوية[(٣)]، فهو أوَّل من عرّب كتب اليونان، وترجم بعض كتب الكيمياء والطبِّ،

---

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي جلال الدين _ ولد عام ٨٤٩هـ ، وتوفي عام ٩١١هـ _ إمام حافظ مؤرخ أديب، له مصنفات كثيرة، منها: الاتقان في علوم القرآن، وتدريب الراوي. ينظر: (الضوء اللامع ٤/ ٦٥، واالبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ١/ ٣٦٧).

(٢) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، ص ١٢.

(٣) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي _ توفي عام ٩٠هـ _ كان من أعلم قريش بفنون العلم، وكان بصيرا بصناعة الطب والكيمياء. ينظر: (وفيات الأعيان ٢/ ٢٢٤، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤١٢).

«وهذا أوَّل نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة»[١]، ثم أتى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور[٢]، وهو «أول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية...وكتب اليونان فنظر الناس فيها وتعلّقوا بها»[٣].

ولما تولّى الخلافة هارون الرشيد، كان لوزيره يحي بن خالد البرمكي[٤] اليد الطولى في ترجمة كتب اليونان، وهو الذي سعى في ترجمتها وإدخالها إلى المسلمين، وكان من خبر ذلك، أنَّ «سبب خروجها من أرض الروم إلى بلاد الإسلام يحيى بن خالد بن برمك، وذلك أن كتب اليونانية كانت ببلاد الروم، وكان ملك الروم خائفاً على الروم إن نظروا في كتب اليونانية أن يتركوا دين النصرانية، ويرجعوا إلى دين اليونانية، وتتشتّت كلمتهم، وتتفرق جماعتهم.

فجمع الكتب في موضع، وبنى عليها بناء مطموساً بالحجر والجصّ حتى لا يوصل إليها.

---

(١) الفهرست، لابن النديم، ص ٣٣٨.

(٢) الخليفة العباسي عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس القرشي الهاشمي _ ولد عام ٩٥هـ، وتوفي عام ١٥٨هـ _ ثاني خلفاء بني العباس. ينظر: (سير أعلام النبلاء ٧/ ٨٣ ، البداية والنهاية ١٣/ ٤٥٩).

(٣) تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ص ٢٦٩_ ٣٨٨.

(٤) يحيى بن خالد بن برمك _ ولد عام ١٢٠هـ، وتوفي عام ١٩٠هـ _ أبو علي الوزير، وزير هارون الرشيد، وقد فوض أمور الخلافة. ينظر: (سير أعلام النبلاء ٩/ ٩٠، ووفيات الأعيان ٦/ ٢١٩).

فلما أفضت رياسة دولة بني العباس إلى يحيى بن خالد وكان زنديقاً، بلغه خبر الكتب التي في البناء ببلد الروم، فصانع ملك الروم الذي كان في وقته بالهدايا، ولا يلتمس منه حاجة، فلما أكثر عليه، جمع الملك بطارقته، وقال لهم: إن هذا الرجل خادم العربي قد أكثر عليَّ من هداياه ولا يطلب منيّ حاجة، ولا أراه يلتمس حاجة، وأخاف أن تكون حاجته تشق عليَّ، وقد شغل بالي، فلما جاءه رسول يحيى، قال له: قل لصاحبك: إن كانت له حاجة فليذكرها، فلما أخبر الرسول يحيى ردَّ إليه وقال له: حاجتي الكتب التي تحت البناء، يرسلها إليَّ أخرج منها بعض ما أحتاج وأردها إليه، فلما قرأ الرومي كتابه استطار فرحاً، وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان، وقال لهم قد كنت ذكرت لكم عن خادم العربي أنه لا يخلو من حاجة، وقد أفصح بحاجته إليَّ، وهي أخفُّ الحوائج عليَّ، وقد رأيت رأياً فاسمعوه، فإن رضيتموه أمضيته، وإن رأيتم خلافه تشاورنا في ذلك حتى تتفق كلمتنا، فقالوا: وما هو؟ قال: حاجته الكتب اليونانية يستخرج منها ما أحب ويردها، قالوا: فما رأيك، قال: قد علمت أنه ما بنى عليها من كان قبلنا إلا أنه خاف إن وقعت في أيدي النصارى وقرؤوها، كان سبباً لهلاك دينهم وتبديد جماعتهم، وأنا أرى أن أبعث بها إليه، وأسأله ألا يردها، يبتلون بها، ونسلم نحن من شرّها، فإني لا آمن أن يكون من بعدي من يجترئ على إخراجها إلى الناس؛ فيقعوا فيما خِيف عليها، فقالوا: نعم الرأي ما رأيت أيها الملك، فأمضه.

فبعث بالكتب إلى يحيى بن خالد، فلما وصلت جمع عليها كل زنديق وفيلسوف، فمما أخرج منها كتاب: حد المنطق...ثم جعل يحيى المناظرة في

داره، والجدال فيما لا ينبغي، فيتكلم كل ذي دين في دينه، ويجادل عليه، وهو آمنٌ على نفسه»[١].

وهذا -والله أعلم- كان في زمن هارون الرشيد، لأن البرمكي كان وزيراً له، كما أنَّ هذه القصة تطلعنا على خطر هذه العلوم اليونانية على أهل الإسلام، ولما خافها النصارى على دينهم، رأوا أنَّ من المكر والكيد للإسلام أن يبعثوا بها إلى المسلمين، حتى يقعوا فيما خافه أهل الكتاب على دينهم، والعجب أن من تولّى الترجمة أغلبهم من اليهود والنصارى، وبعض الزنادقة، ومن لا دين له[٢]، فحالهم حال من ينقل السمَّ بيد العدو، فتلك الكتب اليونانية عرّبها من هو متهم في دينه إن كان مسلماً، أو نصرانيٌ أو يهوديٌ! فماذا عساه أن يعرّب للمسلمين؟ إذا كان المترجم على تلك الحال، هل يؤمن أن تمتدَّ يده إلى تحريف أو تبديل؟ وقد حرّفوا كتاب الله ﷻ من بعدما عقلوه، والله ﷻ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران آية: ١١٨].

وأمّا المأمون فلّما ولي الخلافة، أدخل العلوم اليونانية على المسلمين من أوسع أبوابها، ولم يكونوا يعرفون تلك العلوم من قبلُ، وأحضرها من جزيرة قبرص، لمّا هادن ملكها طلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت مخزونةً عندهم

---

(١) صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، ص ٨.

(٢) ينظر: الفهرست، ص ٣٤٠.

لا يصل إليها أحدٌ، فاستشار الملك وزراءه فأبوا عليه ذلك، إلا أحدهم قال: جهزها إليهم، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها»[١].

و«لما تنصّرت الروم منعوا منها، وأحرقوا بعضها، وخزنوا البعض، ومنع الناس من الكلام في شيء من الفلسفة، إذ كانت بضدّ الشرائع»[٢]، «ولهذا صحَّ ما توقعه البطريرك الداهية، فإن المسلمين خلطوا هذه العلوم بما توارثه من كتاب وسنة، ثم دينهم على ضوء هذه العلوم الوافدة، وما تضمنته من آراء كاسدة، ثم تطورت الحال، فأصبحت هذه العلوم ديناً، وأمسى الرجل يعتبر من علماء الإسلام، وهو لا يعرف إلا نزراً يسيراً من الكتاب والسنة، لأنه ضرب بسهم في الإحاطة بهذه الترهات والأباطيل»[٣].

وبسبب إدخال تلك العلوم البغيضة على الإسلام، «حدثت الفتن بين المسلمين، والبغي على أئمة الدين، وظهر اختلاف الآراء، والميل إلى البدع والأهواء، وكثرت الوقائع والاختلافات»[٤].

---

(١) لوامع الأنوار البهية ١/ ٩.

(٢) الفهرست، ص ٣٣٧.

(٣) كتاب ليس من الإسلام، لمحمد الغزالي، ص ١٦٥.

(٤) لوامع الأنوار البهية ١/ ١١.

أبرز الفرق الإسلامية العقلانية المعاصرة:

وحين اتّبع من ينتسب لهذه الأمة سنن من كان قبلهم، ومن ذلك رفع منزلة العقل فوق حدوده، وتحميله شيئاً ما كان ليطيقه، انقسم الناس حيال هذه القضية إلى طائفتين، إحداهما متقدمة على الأخرى في الزمن، وأختها على أثرها، وكلاهما تقدسان العقل تقديساً ضاهى مكانة نصوص الكتاب والسنة، بل أربى عليهما، واحتكمتا إليه، وأذعنت قلوبهم لوهم دليله، معرضين عما أنزله الله ﷻ على رسوله ﷺ، قال ابن القيم: «وأنت لا تجد الاختلاف في شيء أكثر منه في آراء المتأولين، وسوانح أفكارهم، وزبالة أذهانهم التي يسمونها قواطع عقلية، وبراهين يقينية، وهي عند التحقيق خيالات وهمية، وقوادح فكرية، نبذوا بها القرآن والسنة وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، واتبعوا ما يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً»(١).

وهاتان الطائفتان هما: المدرسة العقلية القديمة، والمدرسة العقلية الحديثة:

أما المدرسة العقلية القديمة فهي التي تمثلها المعتزلة(٢)، بل وتمثل

---

(١) الصواعق المرسلة ١/ ٣١٩.

(٢) المعتزلة هي إحدى الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة، ورأس هذه الفرقة هو واصل بن عطاء الغزال، اعتزل مجلس الحسن البصري، وحكم على مرتكب الكبيرة بمنزلة بين المنزلتين، والمعتزلة فرق شتى، يجمعها القول بنفي الصفات، والقول بخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصولهم الخمسة. ينظر: (الملل والنحل ١/ ٥٦، والفرق بين الفرق ص ٩٠).

الاتجاهات التي اعتمدت على العقل، واستعاضت به عن الكتاب والسنة بكل وضوح، ولم تخرج طائفة في الإسلام قبلها، ولا بعدها مثلها، في سنّ قواعد عقلية، جعلوها ميزاناً توزن به نصوص الوحي، وتحاكم إليها، فما وافق موازين عقولهم من الوحي قبلوه، وما خالف عقولهم ضربوا به عُرض الحائط بأبرد التأويلات، مدّعين أنَّ العقل أصل النقل، فأوهنوا حرمة الكتاب والسنة، واستنقصوهما من وجهٍ خفيّ، بل من لازم قولهم أنَّ ظواهر القرآن الكريم تقضي الضلالة، وعقولهم تفيد اليقين، والإيمان، والهداية!.

بل يتقدمون بعقولهم على نصوص القرآن الكريم، ويرون أنَّ دليل العقل حجةٌ قطعية، ودليل القرآن الكريم حجةٌ لفظية ظنيّة، فيُسيئون الظنَّ بكتاب الله ﷻ، وبدلالته، ويحسنون ظنونهم بعقولٍ بخست الموازين، وظلّت عن سبيل المؤمنين، ومن ثَمَّ يسلكون أيَّ سبيلٍ توصلهم إلى إبطال حجة الدليل السمعي[١].

وهم في ذلك قد شغلوا المسلمين بمسائل فلسفية ما أنزل الله ﷻ بها من سلطان، واستمدّوا بعض أفكارهم من مصادر الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية، وكتب الصابئة والمجوس، وكتب المنطق، وورثت منهم تقديس العقل، وتقديمه على ما سواه.

وظهورها كان في حقيقته ظهور النزعة العقلانية في مقابل النصوص الشرعية، ومن أثر ذلك أنهم ردّواَ السنة النبوية في العقائد بحجة أنها أحاديث

(١) ينظر: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/ ٦٣٢.

آحاد لا تقبل في العقائد، وقد ذكر ابن حزم: أنَّ «جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ يجري على ذلك كل فرقة في علمها كأهل السنة، والخوارج، والشيعة، والقدرية، حتى حدث متكلمو المعتزلة بعد المائة من التاريخ فخالفوا الإجماع في ذلك»(١)، واعتمدوا عدم الأخذ بأخبار الآحاد، وبالجملة فالمعتزلة «استوعبت كثيراً من آراء الفلاسفة، وأهل الكلام من أعداء الرسل، والوحي قبل الإسلام، وبعده، ثم إنها خلّفت تراثاً عقلياً ضخماً متكاملاً تغلغل في صميم التراث الإسلامي»(٢).

ومن شروط قبولهم للدليل الشرعي عدم المعارض العقلي، فصحة الدليل من الكتاب، أو السنة مشروط عندهم بعدم مخالفته للعقل، بل جعلوا العقل أصلاً للدليل من الكتاب والسنة!(٣).

وهذا قول يبين حقيقة ما عليه المعتزلة من تقديس العقل، وهذا مثال على ذلك من شيخ المعتزلة في زمانه، عن عمرو بن عبيد المعتزلي أنه قال عندما ذُكر عنده حديث ابن مسعود في الخلق لما قال: حدثنا الصادق المصدوق، فقال: «لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا،

---

(١) الإحكام شرح أصول الأحكام ١/ ١١٠.

(٢) الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص٥٩.

(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٧، وأساس التقديس لفخر الدين الرازي، ص٢٢٠.

لقلت له ليس على هذا أخذت ميثاقنا»[1].

ولا ريب أن هذه جرأة عظيمة بتحكيم العقل على نصوص الشريعة، فتأليه العقل، وتقديسه، وإن كان موجوداً قبل الإسلام، ويتعاطاه قوم وثنيون، ليس لهم أثرة من رسالة، ولا بقية من كتاب، فإنَّ هذا المسلك ضرره أعظم، وأشد، إذا كان من ينتهجه من ينتسب إلى الإسلام.

واستقصاء ما هم عليه من تقديس العقل، وتنزيله منزلة الوحي المعصوم يطول، ولكن المقصود هو الإشارة إلى طريقتهم التي هدموا بها نصوص الشريعة، وجعلوا عقولهم تقوم مقام الرسالة في معرفة الحق من الباطل[2].

المدرسة العقلية الحديثة:

وأما المدرسة العقلية الحديثة فهي لا تعدو أن تكون امتداداً لمنهج المعتزلة في الاعتداد بالعقل، وجعله مصدراً للتلقي، والاستخفاف بنصوص الكتاب والسنة، ولكنها أربت عليها من وجوه أخرى اقتضتها ظروف الزمن المعاصر، وهذه الوجوه هي:

---

(١) تاريخ بغداد ١٤/ ٦٩.

(٢) انظر على سبيل المثال في اعتماد المعتزلة على العقل: شرح الأصول الخمسة، وكتاب متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، وأساس التقديس، للرازي.

الانبهار بالحضارة الغربية، والاعتماد على دراسات المستشرقين تجاه قضايا الإسلام.

وكذلك الدعوة إلى التقارب بين الأديان.

والمقصود بالمدرسة العقلانية الحديثة هي الاتجاهات العقلانية التي ظهرت في القرنين الأخيرين، والتي تعتمد تحكيم العقل البشري، وتقدمه على الدين، وتعطي العقل منزلة فوق منزلة نصوص الشرع، والوحي، وتفسر الوحي، والغيبيات تفسيراً عقلياً مادياً صرفاً، على مقتضى قدرات العقل البشري، والكشوفات العلمية، والنظريات الغربية، كما أنها أيضاً تدعو إلى التجديد في الإسلام، وأحكامه، وشرائعه، بما يتناسب مع الحضارة العالمية، لتساير الفكر الغربي الحديث، وتعتبر التمسك بأحكام الإسلام تحجراً، وتخلّفاً. ورجعيةً، وظلاميةً، ونحو ذلك من العبارات[1].

وهذه النزعة العقلية التي جعلت سيادة العقل وسلطانه فوق سلطان النصوص الشرعية، قد سرت في أفكار من تأثر بهذه المدرسة، وهم في ذلك ما بين مستقل، ومستكثر، ولا سيما مع شراسة الغزو الفكري الغربي لبلدان المسلمين، ومحاولة اختراقها ثقافياً بتشجيع فتح المدارس الأجنبية في بلاد المسلمين، وتوسيع نطاق الابتعاث، وتقمّص ثقافاتهم، ومناهجهم، ونظمهم الإلحادية الجاهلية التي تأله العقل، وتقدسه، وتحتكم إليه.

---

(١) ينظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص١٩، والتجديد في الفكر الإسلامي، ص٣٥٧.

والمدرسة العقلانية الحديثة في واقعها المعاصر سارت على خطى المعتزلة ممجدة للعقل على حساب الإعراض عن النصوص الشرعية، ولها في هذا الزمن صولة وجولة باسم الانفتاح الفكري، والتطور الثقافي، وإعمال العقل بلا قيد، وترك الجمود والتقليد، ونحو ذلك من العبارات يموهون بها باطلهم بنبذ الاحتكام إلى الشريعة، وهذا أحد العقلانيين العصرانيين، وهو الدكتور زكي نجيب محمود يقول: «إن أهم جماعة يمكن لعصرنا أن يرثها في وجهة نظرنا...هي جماعة المعتزلة التي جعلت العقل مبدأها الأساسي كلما أشكل أمر»(١)، فهم جعلوا العقل حاكماً كلما أشكل لديهم أمر، بدلاً من أن يستجيبوا لأمر الله ﷻ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

كما أنها أيضاً نزعت في عقلانيتها إلى عقلانية الغرب، والانبهار بحضارتهم، حتى أخذوا منهم دراساتهم الاستشراقية المغرضة، وتلقّفوها على علاّتها، وهذا الدكتور محمد هيكل يقول في كتابه الذي كتبه في سيرة النبي محمد ﷺ يمجّد الدراسات الاستشراقية، ويدعو إلى الإفادة منها: «وليس ريب في أنَّ الشرق اليوم في حاجة أشد الحاجة إلى النهل من ورد الغرب في التفكير، وفي الأدب، والفن، فقد قطع ما بين حاضر الشرق الإسلامي، وماضيه، قرون من الجمود، والتعصب، غشّت على تفكيره السليم القديم بطبقة كثيفة من الجهل، وسوء الظن بكل جديد، فلا مفرَّ لمن يريد أن يصهر

---

(١) تجديد الفكر العربي، ص١١٨.

هذه الطبقة من الاستعانة بأحدث صور التفكير في العالم، ليستطيع من هذه السبيل أن يصل بين الحاضر الحي، وثروة الماضي، وتراثه العظيم.

ومن الحق علينا للغرب أن نقول: إن ما يقوم به علماؤه اليوم من بحوث نفيسة في تاريخ الدراسات الإسلامية والدراسات الشرقية، قد مهد لأبناء الإسلام، وأبناء الشرق أن يتزيّدوا من هذه البحوث في تلك الدراسات، وأن يكونوا أكبر رجاء في الاهتداء إلى الحق، فهم أقرب بطبعهم إلى حسن إدراك الروح الإسلامي، والروح الشرقي»[(١)].

ومن هذه المقالة ندرك مدى تغلغل النزعة العقلانية في المدرسة الحديثة، والإفادة من عقلانية الغرب المتربص بالإسلام والمسلمين، والمصيبة أن تجعل بحوث أولئك المستشرقين بحوثاً منصفة لعلوم المسلمين، وفيها تجديد وبحوث مستنيرة! وهل هذه المقالة وأمثالها إلا انهزامية خانعة، والله ﷻ يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وعلى هذا المنهج الانهزامي المرتمي في أحضان الأعداء، قد درج كثير من عقلانيي العصر.

وهؤلاء العقلانيون المحدثون قد أضافوا إلى ما عليه المعتزلة -العقلانية القديمة- من الاعتماد على العقل والاحتكام إليه، والتأثر بفلسفات مختلطة، أضافوا إلى ذلك حقد الغربيين المعاصرين على الإسلام من دراساتهم المغرضة،

---

(١) حياة محمد ﷺ، ص٣٦.

بل منهم من تتلمذ على يد مستشرقين وتلقّى عنهم مشافهة، ومن تتلمذ على يد كتبهم، ودراساتهم، وبحوثهم، فجاءت عقلانيتهم هجينةً من موروث العقلانية القديمة، وعقلانية المستشرقين.

وكذلك أيضاً بما ظهر عندهم من فلسفات، ونظريات عقلانية ارتبطت بالإلحاد، وإنكار الشرائع، واتسمت بالفوضى العقائدية، والأخلاقية، وجعلت من الإنسان بهيمة يمشي على الأرض(١).

وفي خلاصة هذه العقلانية التي تمحورت على سيادة العقل، نجد أنها في حقيقتها ليست إلا دعوة لتأليه العقل، وتقديسه، ونبذ الإسلام الحق، وتطويع ما جاء في الشرع لسلطان العقل، والاحتكام إليه.

وكذلك أيضاً الانغماس في حضارة الغرب، والدعوة إلى استبدال موروث المسلمين من دينهم بمناهج الغرب الإلحادي، واستنساخ فسادهم، وفوضاهم العقدية، والأخلاقية إلى بلاد المسلمين، في لون جديد من ألوان الحرب على الإسلام بطريقة يرونها حضارية، بعد أن عجزت كل أساليبهم في المكيدة للإسلام وأهله، والله ﷻ غالب على أمره.

---

(١) ينظر: الاتجاهات العقلانية الحديثة، ص٩١.

الفصل السابع:

دعوى نسبة الموت والعدم للخالق العظيم تعالى وتقدس.

الفصل السابع: دعوى نسبة الموت والعدم للخالق العظيم تعالى وتقدس.

من أسماء الله ﷻ الحسنى: القيوم، ومن كمال قيوميته، أنه لا تأخذه سنة، ولا نوم، قال الله ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وإذا كان الله ﷻ نفى عن ذاته المقدسة السنة، والنوم، فنفي الموت من باب أولى، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾[القصص: ٨٨]، ﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦ ﴾[الفرقان: ٥٨].

ودعوى نسبة الموت، والعدم للخالق العظيم، قد انتشرت في كتب الملاحدة الغربيين، وتلقّفه ملاحدة العرب.

وهذه الدعوى تصف جناب الربوبية بالموت، والعدم بعد الحياة، وهذا من أعظم نواقض توحيد الربوبية المعاصرة، لأنَّ الله له الحياة الكاملة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

أبرز أسباب هذه الإلحاد:

وهذه الدعوى وجدت رواجاً عند بعض الملاحدة المنتسبين ظاهراً إلى ديانة أهل الكتاب، وكان من عقائد دينهم ما هيأ لهم ذلك، ومنه عقيدة النصارى في عيسى عليه السلام، حيث سلّموا لليهود أنهم قتلوه، وصلبوه، فاعتقدوا في الإله أنه قتل، ومات، ليخلص الناس من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، لا سيما مع تأثر النصرانية بالفلسفات، والوثنيات القديمة، وقد كان معروفاً عند الهندوسية، والبوذية، أنهم يعتقدون موت بعض آلهتهم، على حين أنهم يعتقدون بآلهة أخرى تسيّر شؤون الحياة، فتموت بعض

آلهتهم، وتبقى أخرى[١].

فهذا المزيج عند النصارى بين ضلالهم في عيسى عليه السلام، وتأثرهم بالفلسفات القديمة، وظهور الإلحاد، وإنكار وجود إله الكنيسة في العصر الحديث، هيأ ذلك ظهور هذا الإلحاد الغليظ، تعبيراً من جهة أخرى عن شدّة إنكار وجود إله في الكون، وحتى لو كان موجوداً فإنه قد مات.

وقد أشهر هذا المصطلح الإلحادي "موت الإله" في العصر الحديث الفيلسوف الملحد "فردريك نيتشه" وقد أثر هذا الفكر الإلحادي في الفلسفات الغربية المعاصرة، وكرّس هذا مبدأ الإلحاد المعاصر في عدم الإيمان بوجود الله سبحانه وتعالى، «ولم يعد يوجد في الغرب تيار فكري، أو نظرية مهمة، ومؤثرة في أيٍّ من الحقول المعرفية تقول بوجود الله...فتيارات الفكر الغربي الرئيسة، أو فلسفاته، ونظرياته في العلوم الإنسانية، وغيرها ذات شخصية علمانية بالدرجة الأولى، وهذه الشخصية العلمانية هي التي بدأت تسيطر على الحضارة الغربية ككل، منذ عصر النهضة، وقد أصبحت في عداد البدهيات التي لا تحتاج إلى ذكر»[٢].

والفلسفة الغربية الإلحادية المعاصرة، ورثت عن "فردريك نيتشه" فلسفته الإلحادية "موت الإله"، وانطلقت إلى إنتاج هذا الفكر الإلحادي، وافترضت أسطورية الأديان، والكتاب المقدس، ثم افترضت وهمية المفاهيم، والقيم الأخلاقية، وأصبح المعيار الرئيس في عالم خالٍ من الألوهية عندهم،

---

(١) ينظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص٨٧.

(٢) إشكالية التحيز، تحرير: د. عبد العزيز المسيري ١/ ٢٨٣.

والمقدسات، وموروثات الدين، هو مقدار الفكر المتفتح، والعقل المتحرر من آثار الأديان، والإيمان بالغيبيات[١].

و"نيتشه" بهذا الفكر الإلحادي أراد الحطّ من قيمة أي موروث ديني، لكنه أنشأ في الوقت نفسه ديناً خاصاً به، اتسم ببعد الخيال، والبناء على أسس وهمية، والتحرر من كل القيم، والأخلاق، وعدّ وجود الإله مجرد ابتكار اخترعه الإنسان، ليقيّد نفسه به، ولذلك قدم نيتشه هذا الفكر، لأجل التحرر من ربقة الأديان، لضمان تطور الإنسان، وسيادته، كما زعم.

وهذه النظرية الإلحادية -في زعمه- هي التي ستقود الإنسان إلى إرادة العدمية، فلا سيادة أي شيء على الإنسان سوى عقله، وانفراده بإرادة كل شيء، دون قيد، أو شرط[٢].

فعلى الإنسان -على عقيدة نيتشه- أن يخلع عن الدين براءته، ويعلن إلحاده، لأنَّ الإلحاد يحرر من الدين، وينتصر للغرائز، ويفجّر إرادة القوة، ويقول نيتشه: وعندما نجحد الإله ننقذ العالم[٣].

ومن هنا يتبين أن هذا الفكر الإلحادي يهدف إلى إنكار وجود الله ﷻ بأسلوب غير معتاد، فالإنكار من خلال هذا الفكر أكثر خبثاً، وأشدُّ مكراً.

وقد تلقّف هذا الإلحاد بعض كتّاب العرب، وصاغوه بأساليبهم

---

(١) ينظر: إشكالية التحيز، تحرير: د. عبد العزيز المسيري ١/ ٢٨٩.

(٢) ينظر: أصل الأخلاق، فردريك نيتشه، ص١٥٥.

(٣) ينظر: أفول الأصنام، فردريك نيتشه، ص٥٦

الماكرة، ونقلوه من ثقافة الفلسفة الغربية الملحدة إلى ثقافة العرب، فهذا الدكتور جلال صادق العظم يقول: «فهل من عجب إذن أن نسمع نيتشه يعلن في القرن الماضي أن الله قد مات، وهل باستطاعتنا أن ننكر أن الإله الذي مات بأوربا بدأ يحتضر في كل مكان، تحت وقع تأثير المعرفة العلمية، والتقدم الصناعي، والمناهج العقلية في تقصي المعرفة، والاتجاهات الثورية في المجتمع والاقتصاد، طبعاً عندما نقول مع نيتشه: إن الله قد مات، أو هو في طريقه إلى الموت، فنحن لا نقصد أن العقائد الدينية قد تلاشت من ضمير الشعوب، وإنما نعني أن النظرة العلمية التي وصل إليها الإنسان عن طبيعة الكون والمجتمع والإنسان خالية من ذكر الله»(١).

وهذه الإلحاد سَرَى أيضاً إلى عقول من يسُمّون: أدباء، ومثقفين في البلاد الإسلامية، أمثال نجيب محفوظ الذي ألّف روايةً يكرّس فيها هذا المفهوم -موت الإله-، وهذه الرواية الإلحادية تقدمت الإشارة إليها(٢)، وقد ترجمت إلى بعض اللغات تحت هذا المسمّى: "موت الإله" وهذه الرواية التي استخدم فيها صاحبها الرموز الإشارية لما يريد التعبير عنه، جسّد فيها هذا المعنى الإلحادي -موت الإله-(٣).

وكذلك أيضاً ملاحدة الحداثيين، حيث اجتمع منهم لفيف من أردأ

---

(١) نقد الفكر الديني، ص٢٧.

(٢) ينظر صفحة: ١٠٧.

(٣) ينظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، ٣٢٠.

أديان البشر، من نصارى وباطنيين وملاحدة وشهوانيين، ليس لهم أرب إلا في شهواتهم البهيمية، ووجدوا من هذا المذهب حاجتهم، وردّدوا هذا الإلحاد في خرافاتهم الشعرية، وجعلوها من الأعمال الأدبية والفنية والإبداعية.

ومن النماذج على هذا الإلحاد ما قاله كاهن الحداثة الباطني أدونيس شارحاً إلحاد النصراني جبران خليل جبران، في تبنّيه لإلحاد نيتشه وإشادته به: «ومن الواضح أن جبران لا يحلل تحليلاً فلسفياً، أو علمياً، القيم التي يهدمها، وإنما يعرضها بشكل يجعلها مشبوهة، فمتهمة، فمرفوضة، إنه يحاول بتعبير آخر أن يظهر خطأ التفسيرات التي تقدمها الأديان والأخلاق التقليدية للعالم والإنسان، فيما يدعو إلى محو المذهبية القيمية، ويؤكد على فاعلية الحياة والإنسان الذي يبتكر القيم الجديدة.

الأخلاق التقليدية هي التي تعيش الخوف من الله، وتنبع من هذا الخوف، الأخلاق التي يدعو إليها جبران هي التي تعيش موت الله، وتنبع من ولادة إله جديد.

إنه إذن يهدم الأخلاق التي تضعف الإنسان، وتستعبده، ويبشر بالأخلاق التي تنميه، وتحرره، إنه يهدم الأخلاق السلبية الانفعالية التي تتقبل الراهن الموروث من القيم، ويبشر بالأخلاق الفعالة التي تخلق هي نفسها القيم»(١).

والأمثلة على ذلك كثيرة في خبثهم، وإلحادهم(٢).

---

(١) الثابت والمتحول ٤/ ١٦٠.

(٢) ينظر على سبيل المثال كتاب الانحراف العقدي في أدب الحداثة، ص٢٣٣.

الباب الثاني:

إنكار الخلق
وفيه تمهيد وأربعة فصول:

تمهيد: معنى إنكار الخلق.

الفصل الأول: القول بقدم العالم ودوامه.

الفصل الثاني: نسبة الخلق لغير الله ﷻ، وجعل غير الله ﷻ خالقاً.

الفصل الثالث: إمكان التصرف المطلق للإنسان في الكون.

الفصل الرابع: القول بالمصادفة، وتفسيراتها.

تمهيد: معنى إنكار الخلق.

هذا الباب مفرّعٌ عن الباب الذي قبله، وذلك لأنَّ من لا يؤمن بوجود ربٍّ خالق، فهو بالتالي سينكر أن يكون الخلق مخلوقاً لله ﷻ، وهذا من أبرز مظاهر الشرك في الربوبية، وقد عبر عنه ابن القيم بقوله: «تعطيل المصنوع عن صانعه»[١]، وعنى بذلك: تعطيل الخلق عن خالقه، أي: نفي الخالق، وإسناد الخلق إلى غيره، وهذا كتعطيلِ بعض الفلاسفةِ الَّذين زعموا قدم هذه المخلوقات، وأنَّها تتصرّف بطبيعتها، فنفوا أن تكون مخلوقةً لله ﷻ، وزعموا أن الحوادث بأسرها مستندة إلى أسباب، ووسائط اقتضت إيجادها، ويسمونها: العقول، والنفوس -كما سيأتي إن شاء الله ﷻ -.

وهناك تداخل من بعض الوجوه، بين إنكار الخالق، وإنكار الخلق، ولكن بعض النواقض تكون ألصق بأحد الأمرين من الآخر فيُلحق به، مثال ذلك: مسألة وحدة الوجود التي في حقيقتها تتضمن إنكار وجود الله ﷻ، هذا الناقض نفسه أيضاً يتضمن إنكار الخلق، فليس عند أصحاب هذا المذهب خالق، ولا مخلوق، فالوجود كله شيء واحد، فهذا الناقض ألصق بما يتعلق بإنكار وجود الله ﷻ، وإن كان له تعلّق أيضاً بإنكار الخلق.

وكذلك النواقض التي اندرجت تحت عنوان: إنكار الخلق، هي أيضاً تتضمن إنكار الخالق، كالتي قبلها، ولكن ظهور هذه النواقض من جهة إنكار الخلق أقرب، ولذلك أُفرد ما يدخل تحت إنكار الخلق بباب مستقلٍ.

---

(١) الداء والدواء، ص٢٩٩.

الفصل الأول:

القول بقدم العالم ودوامه
وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد ، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مذهب الفلاسفة الإلهيين في خلق العالم.

المسألة الثانية: القول بقدم العالم عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام.

المبحث الأول: القول بقدم العالم عند الفرق الباطنية.

المبحث الثاني: القول بتأثير الكواكب والنجوم، والعقول، والعلل، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القول بتأثير الكواكب والنجوم في العصر الحديث.

المطلب الثاني: القول بتأثير العقول والعلل عند الفرق الباطنية.

المبحث الثالث: القول بأزلية المادة وأبديتها.

المبحث الرابع: القول بتطوّر المادة والحياة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القول بالتطور أو النشوء الذاتي.

المطلب الثاني: القول بنظرية النشوء والارتقاء.

تمهيد
وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مذهب الفلاسفة الإلهيين في خلق العالم.

المسألة الثانية: القول بقدم العالم عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام.

المسألة الأولى: مذهب الفلاسفة الإلهيين في خلق العالم.

إنَّ من أهم القضايا التي شغلت الفلاسفة، هي قضية نشأة العالم، هل هو قديم، أم حادث؟ وجاءت هذه القضية من محاولة تفسير علاقة الله ﷻ بالعالم، فتوهّموا أنَّ العالم وُجد مع الله ﷻ من غير تأخر عنه، فاعتقدوا أنَّ العالم قديم .

وفلسفة أرسطو التي تُسمّى بالفلسفة الإلهية، وهي التي شُهر عنها أنَّ العالم قديم، أزلي، وأرسطو أول من قال بهذا القول، «وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى، ومعلولاً له، ومسوقاً له، غير متأخر عنه بالزمان، مساوقة المعلول للعلة، ومساوقة النور للشمس، وأن تقدم الباري عليه كتقدم العلة على المعلول، وهو تقدم بالذات، والرتبة، لا بالزمان»[1]، وهذا يعني أن العالم قديم قدم الإله، وأنَّ العالم صدر عنه، ولم يخلقه، كما يصدر النور عن الشمس، وهذا يتضمن النفي الصريح أن يكون العالم مخلوقاً لله ﷻ.

وهذا الإله الذي صدر عنه العالم يسمّونه: العلة الأولى، والمحرك الأول، يحرك العالم حركة ضرورية، ولا يتحرك، فهو علّة غائية، وليس علة فاعلية، لأن العالم يتحرك نحوه حركة المعشوق إلى معشوقه، ولذلك يرى أرسطو أن الزمان، والحركة كلاهما أزليّ، فمن المحال أن يخرج العالم إلى الوجود في زمان لم يكن قبله، فالعالم قديم واجب الوجود بنفسه، لم يزل

---

(١) تهافت الفلاسفة، ص ٨٨.

موجوداً مع المحرك الأول[١].

وعلى ما تقدم، فالعالم –عندهم– ليس له مبدع، ولا خالق، «والمشهور عن القائلين بقدم العالم أنه لا صانع له، فينكرون الصانع ﷻ...فلهذا لا يوجد في عامة كتب الكلام المتقدمة القول بقدم العالم، إلا عمن ينكر الصانع»[٢].

وتفرّع على ذلك اعتقادهم في الأفلاك أنها قديمة أزلية، «فقالوا بقدم أصول العالم، كالأفلاك، والعناصر»[٣]، وتفرّع على ذلك أيضاً اعتقادهم في الأرواح الفلكية، وعقيدتهم في الكواكب السبعة السيارة، وتدبيرها.

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ هذه القضية من محارات العقول، التي خاض فيها الفلاسفة بمحض عقولهم، وتابعهم عليها من تأثر بفلسفتهم من المنتسبين للإسلام، فقال في معرض ردّه عليهم: «ويدخل في ذلك الكلام في حدوث العالم، والكلام في كلام الله، وأفعاله، والكلام في هذين الأصلين

---

(١) ينظر: الكون والفساد، لأرسطو، ص٢٥٢-٢٥٣، وموقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة، ومنهجه في عرضها، ص٣٥٢، والمعجم الفلسفي ١/ ٩٣، ومفاتيح الغيب ٢٦/ ٢٤١، ، وتاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٤٥، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٢/ ١٤٥- ٢/ ٢٤١، ودرء تعارض العقل، والنقل ٩/ ٣٨١، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٩١، وقدم العالم، وتسلسل الحوادث، ص٩.

(٢) مجموع الفتاوى ٥/ ٥٣٩.

(٣) الصفدية ٢/ ١٧٦.

من محارات العقول»[١]، وفي موضع آخر يرى أنَّ الانشغال بهذه المسألة من قبيل الكلام المذموم، فقال: «فلا نبسطه في هذا الموضع، إذ لا حاجة بنا إليه، وهو من الكلام المذموم»[٢]، ويقول أيضاً بعد أن ردّ على الفلاسفة في أصولهم التي بنوها على القول بقدم العالم: «فمن تدبر هذه الحقائق، وتبين له ما فيها من الاشتباه، والالتباس، تبين له محارات أكابر النظار في هذه المهامة التي تحار فيها الأبصار، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم»[٣].

(١) منهاج السنة النبوية ١/ ٢٩٩.
(٢) منهاج السنة النبوية ١/ ٢١٢.
(٣) درء التعارض ١/ ٢١١.

المسألة الثانية: القول بقدم العالم عند الفلاسفة المنتسبين للإسلام.

المراد بالفلاسفة المنتسبين للإسلام، من تأثر بالفلسفة اليونانية تأثّراً كان سبباً في تقديمها على نصوص الشريعة، وذلك بعدما انتقلت الفلسفة اليونانية إلى بلاد الإسلام إبّان حركة الترجمة.

وظهر في الإسلام فلاسفة ينتسبون إليه، وهم في حقيقتهم امتداد للمدرسة الفلسفية، وهم كالتالي: أبو نصر الفارابي[(١)]، وابن سينا[(٢)]، وابن رشد[(٣)]، وهؤلاء لهم إسهاماتهم المشهورة في الفلسفة اليونانية، وتضلّعهم

---

(١) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي، أبو نصر الفارابي المنطقي _ ولد عام ٢٦٠هـ، وتوفي عام ٣٣٩هـ _ فيلسوف من حذاق الفلاسفة، ويعرف بالمعلم الثاني، وهو أكبر فلاسفة المسلمين، من مؤلفاته: آراء أهل المدينة الفاضلة، الجمع بين رأيي الحكيمين. ينظر: (سير أعلام النبلاء ١٥/ ٤١٧ ، والبداية والنهاية ١٥/ ٢٠٧).

(٢) الحسين بن محمد الرئيس ابن سينا _ ولد عام ٣٧٠هـ، وتوفي عام ٤٢٧هـ _ الملقب بالفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، وهو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين، له نحو من مائة كتاب منها: القانون في الطب، والنجاة، والإشارات، ينظر: (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٣٢، ووفيات الأعيان ٢/ ١٥٧).

(٣) محمد بن أحمد بن محمد بن رشد، ولد عام ٥٢٠هـ، وتوفي عام ٥٩٥هـ – وقد اشتغل بعلوم الأوائل من فلسفة وفلك، ويسمى الشارح الكبير لفلسفة أرسطو حيث شرح كتبه، وله من المؤلفات: تهافت التهافت، ومختصر كتاب المجسطي في الفلك. ينظر: (سير أعلام النبلاء ٢١/ ٣٠٩).

منها، فإنهم يرون أنَّ "أرسطو" هو معلمهم الأول، ومن أثر ذلك تعصّبهم لآرائه، واجتهادهم في نشرها، وشرحها، وتفسيرها، وبيان غوامضها، والتعليق عليها، لا سيما في مسائل الإلهيات، وقد حاولوا التقريب بين الفلسفة اليونانية القائمة على الخرص، والتخمين، وتعدد الآلهة، وبين الشريعة الربانية الحقة التي لا يأتيها الباطل من بين يديها، ولا من خلفها، كما حاولوا تحسين صورة الفلسفة اليونانية الوثنية، وأنه لا منافاة بينها، وبين الشريعة، وهم في حقيقتهم -خاصة- الفارابي، وابن سينا، تكلّموا بعقائد الفلاسفة، ولكن بعبارة مهذبة، وأسلوب طوّعوه لبعض المصطلحات المألوفة.

وبسبب تأثرهم الكبير بالفلسفة الأرسطية، فإنهم يرون القول بقدم العالم، كقول الفلاسفة الأوائل، فابن رشد حاول تقريب مذهب الفلاسفة إلى العقيدة الإسلامية في مسائل ثلاث هي: قدم العالم، وإنكار علم الله ﷻ بالجزئيات، وإنكارهم لبعث الأجساد(١).

وأما أبو نصر الفارابي فكان على مذهب أستاذه أرسطو من القول بقدم العالم، ولكن لم يكن يظهر هذا المعتقد المخالف للعقيدة الإسلامية، فلجأ إلى التمويه بالقول، واختراع التوفيق بين قول الفلاسفة بقدم العالم، وبين ما تقرر في العقيدة الإسلامية أن العالم حادث، ومؤدّى قوله، هو القول بقدم العالم(٢).

وكذلك ابن سينا حذا حذو شيخه أبي نصر الفارابي، فله طريقة وافق

(١) ينظر: تهافت التهافت، ص٦٣٠.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة العربية ٢/ ١١٨.

فيها عقيدة الفلاسفة في قدم العالم، وقررها في كتبه، ولكن بعبارة ألطف من عبارة الفلاسفة، تزيل عنه الشناعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فلهذا لا يوجد في عامة كتب الكلام المتقدمة القول بقدم العالم، إلا عمن ينكر الصانع، فلما أظهر من أظهر من الفلاسفة كابن سينا، وأمثاله: أن العالم قديم عن علة موجبة بالذات قديمة، صار هذا قولا آخر للقائلين بقدم العالم، أزالوا به ما كان يظهر من شناعة قولهم من إنكار صانع العالم، وصاروا أيضا يطلقون ألفاظ المسلمين من أنه مصنوع، ومحدث، ونحو ذلك، ولكن مرادهم بذلك أنه معلول قديم أزلي، لا يريدون بذلك أن الله أحدث شيئاً بعد أن لم يكن، وإذا قالوا: إن الله خالق كل شيء، فهذا معناه عندهم، فصار المتأخرون من المتكلمين يذكرون هذا القول»[1].

ولكن هل ينكر هؤلاء الفلاسفة المتسبون للإسلام وجود الخالق بعد أن قالوا: إن العالم القديم أزلي؟ إذ مؤّدى كلامهم يؤول إلى ذلك، أجاب عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، بقوله: «وأما الإلهية الدهريون الذين يقولون: بقدم العالم، وصدوره عن علة قديمة، كابن سينا، وأمثاله، فهؤلاء وإن كانوا مقرين بمبدع هذا العالم، فقولهم مستلزم لقول أولئك المعطلة، وإن كانوا لا يلتزمون قولهم، وذلك أن الموجودات العقلية التي يثبتها هؤلاء من واجب الوجود، كالعقول العشرة، هي عند التحقيق لا توجد إلا في الأذهان، لا في

(١) مجموع الفتاوى ٥/ ٥٤٠، وينظر: موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها، ص١٠٢.

الأعيان، والواحد المجرد الذي يقولون: أنه صدر عنه العالم، لا يوجد إلا في الأذهان لا في الأعيان، والوجود المطلق الذي يقولون: أنه الوجود الواجب، إنما يوجد في الأذهان لا في الأعيان، وأيضا فهم يثبتون أنه لا بد في الوجود من موجود واجب، وهذا متفق عليه من العقلاء، سواء قالوا: بقدم العالم، أو بحدوثه، وسواء جحدوا الخالق، أو أقروا، فإثبات موجود واجب بنفسه لا يتضمن الإقرار بالصانع، إن لم يثبت أنه مغاير للعالم»(١).

وهذا يدلّ على أنَّ أولئك الفلاسفة سلكوا طريقة باطنية في إنكار خلق الله ﷻ، ظاهرها إثبات، وباطنها إنكار، وجحود، والمتأمل يدرك أنَّ مثل هذه الأقوال التي يزعم أصحابها أنهم وفّقوا بها بين الفلسفة، والعقيدة الإسلامية، أنها صدرت عمن تأثر بالطريقة الباطنية، فوافق بعض ما عليه المسلمون من الألفاظ، وأما المعاني، والحقائق فلم تعد ما عليه وثنيو فلاسفة اليونان.

وخلاصة الأمر أن الفلاسفة المنتسبين للإسلام تابعوا في مسألة خلق العالم الفلاسفة الأوائل من القول بقدم العالم.

حقيقة القول بقدم العالم ودوامه.

وحقيقة هذا القول هو نفي أن يكون العالم، وما فيه المخلوقات، خلقاً لله ﷻ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد بينا في غير هذا الموضع أن هؤلاء الذين يقولون: بقدم العالم، وصدوره عن موجب بذاته هو علة تامة، حقيقة

---

(١) الصفدية ١/ ٢٤٣.

قولهم أن الحوادث تحدث بلا محدث أصلاً، وأن حركة الفلك الحادثة شيئاً بعد شيءٍ، ليس لها محدث أصلاً، وهم يقولون: إنه متحرك حركة شوقية، وقولهم في حركته من جنس قول القدرية في حركة الحيوان، والقدرية أخرجوا فعل الحيوان أن يكون مخلوقاً لله ﷻ وأثبتوا حادثاً لا محدث له، وهؤلاء الصابئة، والفلاسفة أخرجوا حركة الفلك، وجميع الحادثات من أفعال الحيوان، وغيرها عن أن تكون مخلوقة لله تعالى، وأثبتوا هذه الحوادث بلا محدث»[1].

---

(١) الرد على البكري ٢/ ٥١١.

المبحث الأول:

القول بقدم العالم عند الفرق الباطنية.

المبحث الأول: القول بقدم العالم عند الفرق الباطنية.

من عقائد الباطنية القول بقدم العالم، لأنَّ أصولهم الاعتقادية كثير منها مأخوذ من الفلسفة اليونانية، كما أنها خليط من ديانات شتّى، وبالتالي ترتب على ذلك عقيدتهم في تدبير الكواكب كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ومما يدل على أنَّ الباطنية يقولون: بقدم العالم، أنهم يتخذون من التشكيك في الكتب السماوية طريقاً إلى هذا القول، وهذه رسالة من أحدهم تظهر مكنون عقيدتهم وعظيم عداوتهم للأديان، إذ أرسل أحد دعاة الباطنية هذه الرسالة: «أوصيك بتشكيك الناس في التوراة، والإنجيل، والقرآن، فإنه أعظم عون لك على القول: بقدم العالم»[1].

وإذ تقرر أنَّ الباطنية يرون أنَّ العالم قديم أزلي، فإنهم سلكوا في تقرير عقيدتهم تلك طريقتهم الباطنية التي أماط عنها أبو حامد الغزالي اللثام، وبيّن مسلكهم في ذلك فقال: «وقد اتفقت أقاويل نقلة المقالات من غير تردّد أنهم قائلون: بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان، إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني، واسم العلة: السابق، واسم المعلول: التالي، وإن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه، وقد يسمى الأول: عقلاً، والثاني: نفساً، ويزعمون أن الأول هو التام بالفعل، والثاني بالإضافة إليه ناقص، لأنه معلوله، وربما لبّسوا على العوام مستدلين بآيات من القرآن عليه، كقوله تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾[الإنسان:٢٣]، و﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾[الزخرف:٣٢]، وزعموا

---

(١) التبصير في الدين، ص ١٤٣، والفرق بين الفرق، ص٢٨٠.

أن هذه إشارة إلى جمع لا يصدر عن واحد، ولذلك قال ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، إشارة إلى السابق من الإلهين، فإنه الأعلى، ولولا أن معه إلها آخر له العلو أيضا لما انتظم إطلاق الأعلى، وربما قالوا: الشرع سماهما باسم القلم، واللوح، والأول هو القلم، فإن القلم مفيد، واللوح مستفيد متأثر، والمفيد فوق المستفيد، وربما قالوا: اسم التالي قدر في لسان الشرع، وهو الذي خلق الله به العالم، حيث قال: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾ [القمر: ٤٩].

ثم قالوا: السابق لا يوصف بوجود، ولا عدم، فإن العدم نفي، والوجود سببه، فلا هو موجود، ولا هو معدوم، ولا هو معلوم، ولا هو مجهول، ولا هو موصوف، ولا غير موصوف، وزعموا أن جميع الأسامي منتفية عنه، وكأنهم يتطلعون في الجملة لنفي الصانع، فإنهم لو قالوا: إنه معدوم لم يقبل منهم، بل منعوا الناس من تسميته موجوداً، وهو عين النفي مع تغيير العبارة، لكنهم تحذّقوا فسمّوا هذا النفي تنزيهاً، وسموا مناقضه تشبيهاً، حتى تميل القلوب إلى قبوله، ثم قالوا: العالم قديم»[١].

فبيّن أبو حامد الغزالي أنهم يقولون بقدم العالم، ولم يختلفوا في ذلك عن الفلاسفة، ولكن الذي انفردوا به هو مسلكهم الباطني، وتمويه العبارة وزخرفتها، لمخادعة من لم يعرف طريقتهم.

ولهذا قال عبد القاهر البغدادي[٢] بعدما سبر غورهم، واطّلع على

---

(١) فضائح الباطنية، ص٣٨.

(٢) هو عبد القادر بن طاهر البغدادي، أبو منصور، أحد أعلام الشافعية، له تصانيف، =

كتبهم: «الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة، يقولون: بقدم العالم، وينكرون الرسل، والشرائع كلها، لميلها إلى استباحة كل ما يميل إليه الطبع، والدليل على أنهم كما ذكرناه، ما قرأته في كتابهم المترجم بالسياسة، والبلاغ الأكبر، والناموس الأعظم»[1].

والباطنية في هذا العصر الحديث لم يختلفوا عن أسلافهم في هذه العقيدة.

=

ومؤلفات، توفي سنة ٤٢٩هـ. ينظر: (سير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٢).

(١) الفرق بين الفرق، ص ٢٧٨.

المبحث الثاني:

القول بتأثير الكواكب والنجوم، والعقول، والعلل وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القول بتأثير الكواكب والنجوم في العصر الحديث.

المطلب الثاني: القول بتأثير العقول والعلل عند الفرق الباطنية.

المطلب الأول: القول بتأثير الكواكب والنجوم في العصر الحديث.

الله ﷻ هو المنفرد بالتدبير، وتصريف الأمور، وذلك من أخص ربوبية الله ﷻ، ومن كمال قيوميته، ولا يشركه في ذلك أحد، ومن اعتقد أنَّ مدبراً مع الله ﷻ، فقد أشرك، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾[يونس: ٣]، ويقول تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾[الرعد: ٢]، ويقول: ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ﴾ [السجدة: ٥].

ومما يخالف الإيمان بتفرّد الله ﷻ بالتدبير، الاعتقاد في الكواكب والنجوم، وأنَّ لها تأثيراً في الكون، ونوعَ تدبيرٍ في حياة الإنسان، وهذا له موروث عقدي قديم عند الصابئة، إذ يعتقدون أن خالق هذا العالم، ومدبره، الكواكب، والنجوم، فيصرفون لها العبادة، ويتقربون إليها، وجعلوا لها الهياكل والمعابد(١)، وكذلك تابع الصابئة على هذا الشرك الفلاسفة، والمجوس، وكل من تأثر بهذه العقيدة التي انتشرت فيما بعد.

وعبادة الكواكب، والنجوم، والاعتقاد في تأثيرها، أحد أعظم مظاهر الشرك التي وقعت في بني آدم، وانتشرت فيهم، وهذا ما بيّنه ابن القيم بقوله: «وهذا أقوى السببين في الشرك الواقع في العالم، وهو الشرك بالنجوم،

---

(١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٩٠.

وتعظيمها، واعتقاد أنها أحياء ناطقة، ولها روحانيات تتنزل على عابديها ومخاطبيها، فصوروا لها الصور الأرضية، ثم جعلوا عبادتها، وتعظيمها ذريعة إلى عبادة تلك الكواكب، واستنزال روحانياتها، وكانت الشياطين تتنزل عليهم، وتخاطبهم، وتكلمهم، وتريهم من العجائب ما يدعوهم إلى بذل نفوسهم، وأولادهم، وأموالهم لتلك الأصنام، والتقرب إليها، وكان مبدأ هذا الشرك تعظيم الكواكب، وظن السعود، والنحوس، وحصول الخير، والشر في العالم منها، وهذا شرك خواص المشركين، وأرباب النظر منهم»[١].

و«هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها من قبل معرفة قوى الكواكب، وتأثيرها في المولدات العنصرية مفردة ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك، والكواكب دالة على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات الكلية، والشخصية»[٢].

ومن أمثلة ذلك في العصر الحديث اعتقاد الباطنية في الكواكب التي رمزوا لها بالعقول الثمانية، واعتقدوا فيها التدبير، والتصرف في الكون[٣].

ومما يدخل في الاعتقاد في تدبير الكواكب، والنجوم: التنجيم، وهو استخدام مواقع الكواكب، والنجوم، وسيرها في الفلك من أجل فهم الماضي، وأحداث الحاضر، والتنبؤ بالمستقبل، بدعوى تأثيرها في الأحوال الأرضية.

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٥١٧.

(٢) مقدمة ابن خلدون ٣/ ١٨٧.

(٣) ينظر صفحة: ٢٨٠.

وقد ظهر من الوسائل الحديثة ما لم يكن متاحاً من قبل، مما ساهم في نشر هذه الشركيات، وسيأتي لهذه المسألة مزيد بيان في الكلام على التنجيم ووسائله[١].

---

(١) ينظر صفحة: ٤٤٢.

المطلب الثاني: القول بتأثير العقول والعلل عند الفرق الباطنية.

القول بتأثير العقول، والعلل عند الفرق الباطنية نابع من مفهوم الألوهية، والربوبية عندهم، فهم يعتقدون أن الموجودات صادرة عن عقول فاعلة في الكون، وهذه العقول عندهم هي العقول العشرة، وإيمانهم بالله سبحانه وتعالى مرتبط بإيمانهم بتلك العقول العشرة التي أسبغوا عليها صفات الربوبية.

وهذه العقول أوّلها: العقل الأول، العقل الكلي، الذي يسمونه: السابق، على نحو ما ذكرته الفلاسفة، ووصفوه بأنه «هو الحق، والحقيقة، وهو الوجود الأول، والموجود الأول، وهو المعقول الأول، وهو العلم، وهو العالم الأول، وهو القدرة، وهو القادر الأول، وهو الحياة، وهو الحي الأول، ذات واحدة تلحقها هذه الصفات يستحق بعضها لذاته، وبعضها بإضافته إلى غيره من غير أن تكون هناك كثرة بالذات»[1]، وكذلك أطلقوا عليه أنه «النهاية في الكمال، والزينة، والجمال، بكونه هو أولاً في الوجود، وعلة تنتهي إليها الموجودات، ولم يكن في الكمال، والجمال مثل ذاته، ولا شيء أوفق له من ذاته، وكان مدركاً لذاته بذاته»[2].

وهذا العقل يدّعون له من الأعمال أنه «هو المحرك الأول لجميع المتحركات، وأنه العلة في وجود ما سواه، وأنه لا يحتاج في الفعل إلى غير ذاته،

---

(١) راحة العقل، للكرماني، ص١٨٩.

(٢) راحة العقل، للكرماني، ص١٩٣.

وأنه عقل في ذاته، وعاقل لذاته، ومعقول بذاته»[(١)].

والباطنية قد وصفوا العقل الكلي بصفات الربوبية، وجعلوا له الأسماء الحسنى التي لا تنبغي إلا لله ﷻ، وزعموا أن هذا العقل هو الذي رُمز إليه في القرآن الكريم: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١﴾[القلم: ١]، وهو الذي أبدع النفس الكلية التي رُمز إليها في القرآن الكريم باللوح المحفوظ، فالعقل الكلي أسبق من النفس الكلية، ولذلك سمي العقل الكلي بالسابق، والنفس الكلية بالتالي، وجعلوا لكلٍّ من العقل الكلي، والنفس الكلية من الصفات ما لا يليق إلا بالله ﷻ، وبسبب السابق، والتالي وجدت جميع المخلوقات العلوية والأرضية[(٢)].

ومن طريقة الباطنية أنهم «جردوا الله ﷻ من كل صفة، حتى أصبح توحيد الله عندهم نفي جميع الأسماء، والصفات عنه، وإلحاقها بمبدعاته، ومخلوقاته، وأصبح عندهم نفي المعرفة هو حقيقة المعرفة، وسلب الصفة هو نهاية الصفة، فأسماء الله الحسنى التي نسبها الله تعالى لنفسه في القرآن الكريم، لا تقال لله تعالى، بل جعلوها للعقل الكلي الذي تحدث عنه الفلاسفة، ووصفوا العقل الكلي بكل صفات الكمال على نحو ما ذكره الفلاسفة الأقدمون تماماً، وصبغوا هذه الآراء، والأقاويل بالصبغة الإسلامية، فنسبوا أسماء الله الحسنى إلى العقل الكلي، وأطلقوا على العقل الكلي أيضاً اسم المبدع

---

(١) راحة العقل، للكرماني، ص١٩٧.

(٢) ينظر: طائفة الإسماعيلية، ص١٥٨.

الأول»[١].

ويأتي بعد العقل الأول العقل الثاني، وهو الذي يسمونه بالتالي، والنفس الكلية، ولهم فيه كلام فلسفي طويل على طريقة الباطنية في التعمية والتموية، ولكن حقيقة العقل الثاني -عندهم- أنه«كالمبدع الأول في كونه جامعاً للكمالين، وذلك أن جميع ما يختص بالمبدع الأول الذي هو العقل الأول من كونه حقاً، وموجوداً أولاً، وواحداً تاماً كاملاً أزلياً، وعاقلاً، وقادراً، وحياً بالإضافات، والذات، فإن المنبعث عنه يستحقه بالمعاني الموجودة فيه»[٢]، وكما تقدم يرون أن المخلوقات صادرة من هذين العقلين -السابق، والتالي-.

وهذا المعتقد هو في أصله عقيدة المجوس، والثنوية القائلين بإلهين صانعين: النور، والظلمة، «ثم غيرت الباطنية عباراتهم، فقالوا: إن الله تعالى خلق النفس، وكان الله هو الأول، والنفس هو الثاني، وربما قالوا: العقل هو الأول، والنفس هو الثاني، وزعموا أنَّ هذين يدبران العالم بتدبير الكواكب السبعة، والطبائع الأربعة، وهذا بعينه قول المجوس، حيث قالوا: إن مدبر العالم اثنان، أحدهما قديم، والآخر حادث حدث من فكرته، إلا أن المجوس قالوا: هما "يزدان، واهرمن"[٣]، والباطنية قالوا: هما العقل والنفس»[٤].

---

(١) طائفة الإسماعيلية، ص١٥٧، وينظر: الفرق بين الفرق، ص٢٦٩.

(٢) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة -من كتب الإسماعيلية-، ص٩٧.

(٣) أي: النور، والظلمة. ينظر: الملل، والنحل ١/ ٢٣٥.

(٤) التبصير في الدين، ص ١٤٢.

وبهذا يتبين أصالة دين المجوس عند الباطنيين منذ قديم الزمن، وحديثه، فهذه المجوسية الوثنية مغلّفة بمصطلحات إسلامية، محسوبة على الدين الإسلامي، واستطاعوا من خلالها إلى يومنا هذا خداع المسلمين والتلبيس عليهم.

ثم يلي هذين العقلين العقول الثمانية التي لها ارتباط -عندهم- بالكواكب، والنجوم، فقد جعلوا لكلِّ عقلٍ ما يقابله من الكواكب، وترتيبها كالتالي:

العقل الثالث: ويقابله من الكواكب زحل.

العقل الرابع: ويقابله من الكواكب المشتري.

العقل الخامس: ويقابله من الكواكب المريخ.

العقل السادس: ويقابله من الكواكب الشمس.

العقل السابع: ويقابله من الكواكب الزهرة.

العقل الثامن: ويقابله من الكواكب عطارد.

العقل التاسع: ويقابله من الكواكب القمر.

العقل العاشر: ويقابله من الكواكب ما دون القمر من أفلاك[1].

وعقيدتهم في كيفية وجود هذه العقول العشرة كما يقول أحد دعاة الإسماعيلية: «وبالإبداع، والانبعاث يوجد من العقول الفاعلة في ذواتها

---

(١) ينظر: أصول الإسماعيلية، ص٥٣٠، وراحة العقل، ص٢٤٢، وكتاب الينابيع، ص٧٩، وكلا الكتابين من الكتب المعتمدة عند الإسماعيلية.

بذواتها عشرة عقول، يتم بها عالم الإبداع، والانبعاث الذي هو المبادئ الشريفة، وقام العاشر منها لعالم الجسم مقام المبدع الأول في عالم الإبداع الأول، والانبعاث الأول، كما أن الموجود في الدور من الحدود العشرة، أولها الناطق، والوصي، وسبعة من الأئماء الذين يتمون دور الأدوار الصغار، والعاشر هو الذي يقوم مقام الناطق في دوره، ثم يظهر بأمر جديد في دور جديد، ولما كان وجود ما بعد العشرة على صيغة الآحاد إلى المئين، كان ذلك موجباً أن يكون الموجود في عالم الجسم من المؤثرات بعدد الأعداد الموجودة في عالم الإبداع من العقول، وعلى تلك الصيغة على ما ذكرناه من فلك الأفلاك، وفلك الكواكب، والأفلاك السبعة»[١].

ولهم في هذين العقلين، وبقية العقول توسلات شركية وثنية جعلوها في صلاتهم، تأصيلاً للشرك، والوثنية في قلوب أتباعهم، ومن ذلك ما ورد في "صحيفة الصلاة" في دعاء صلاة قضاء الحوائج: «أتوسل إليك اللهم بالعقل الأول، وبتاليه، وبالسبعة العقول التي تليه، وبعاشرهم القائم مقام الأول»[٢]، وأيضاً جاء في دعاء النصر، والمهابة: «اللهم إني أتوسل إليك بالمبدع الأول، والمنبعث الأفضل، وبذاتك الخفية، وبصنعتك الإلهية، وبالنفس الزكية الكلية، وبالسبعة العقول، وبالعاشر الممثول»[٣].

---

(١) راحة العقل، ص٢٤٢.

(٢) صحيفة الصلاة، ص٢٦٦.

(٣) صحيفة الصلاة، ص٦٤١.

تأثير العلل عند الباطنية:

وتفرّع على عقيدتهم في العقول، وتأثير الكواكب، والنجوم، أو ما يسمونه: تأثير العوالم العلوية على العوالم السفلية، زعمهم أن الوجود تأسس على علتين، أولهما: علة العلل، والعقل الفعال، وعلة العلل هي الأمر الإلهي الذي يُمدّ العلة الثانية -العقل الفعال- وذلك على طريقة الفلاسفة في نظرية الفيض الفلسفية(١)، وعلة العلل -عندهم- يطلقون عليها: صفة الباري الخالق الذي له الأمر، ومن العقل الفعال، أو العلة الثانية، نشأت العوالم(٢).

فهذه العقول العشرة، والعلل، جعلوها محلَّ الرب ﷻ بعد أن سلبوا عنه كل صفة كمال، وادّعوا لها خصائص الربوبية من الخلق، والتدبير، والتصرف في الكون، ولما جعلوا العقول الثمانية بعد العقل السابق، والتالي، ما يقابله من الكواكب، والنجوم، جاءت عقيدتهم فيها بالتأثير، والتصرف، والسعود، والنحوس، فكان ذلك خليطاً من دين المجوس، والصابئة عبدة الكواكب والنجوم(٣).

---

(١) يطلق الفيض في اصطلاح الفلاسفة: على فعل فاعل يفعل دائماً لا لعوض، ولا لغرض، وذلك الفاعل لا يكون إلا دائم الوجود، لأن دوام صدور الفعل عنه، تابع لدوام وجوده، وهو المبدأ الفياض، والواجب الوجود، الذي يفيض عنه كل شيء، فيضاً ضرورياً معقولاً. ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، ٢/ ١٧٢.

(٢) ينظر: مقدمة كتاب الينابيع، لأبي يعقوب السجستاني الإسماعيلي، ص١٨.

(٣) ينظر: أربعة كتب إسماعيلية، تحقيق: شتروطمان، ص١٣٢، وأصول الإسماعيلية، ص٥٣١.

فانظر إلى هذا الدين الوثني القائم على الشرك العظيم بربوبية الله ﷻ، كيف ينتشر في بلاد المسلمين باسم التشيع لآل البيت، وتأمل انتشارهم في العالم الإسلامي، وتغلغلهم في صفوفه.

المبحث الثالث:

القول بأزلية المادة وأبديتها.

المبحث الثالث: القول بأزلية المادة وأبديتها.

القول بأزلية المادة، وأبديتها، وإن كان معاصراً من حيث وسائل التنظير، والانتشار، إلا أنه مذهب قديم، فقد قال به الفيلسوف اليوناني ديموقريطس(١)، ومن فلسفته أن وجود الكون ثمرة حركة مادة الكون الأولى، وأنه سيعود إلى مادّته الأولى، ثم يعود مرات عديدة(٢)، وعن هذا المذهب أخذ ملاحدة العصر أن المادة أزلية، كما أنه أيضاً متفرّع عن القول بقدم العالم، ودوامه الذي ينكر أصحابه خلق الله ﷻ.

مفهوم المادة:

والمادّة في مفهومها تعني كل الظواهر المحسوسة، والمستقلة عن الروح، وتدرك بالحس، وبعبارة أخرى: المادة هي كل ما تقع عليه الحواس، وحصروا عناصرها في أربعة أشياء: الهواء، والماء، والنار، والتراب(٣).

ونهاية هذه الفلسفة المادية هي أن العالم ليس من إبداع الإله، وليس له خالق، وأن أساسه المادة الأزلية التي تفاعلت تفاعلاً كيميائياً، وعلى أثره تكونت جزيئات العالم، فقوام العالم عنصر واحد هو المادة، وهذه المادة في حركة مستمرة، وتطور دائم.

---

(١) من فلاسفة اليونان الطبعيين المتأخرين، ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٤٩.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٤٩.

(٣) الاتجاهات الفكرية المعاصرة، ص١٨١.

وهذه الفلسفة ترفض رفضاً قاطعاً كل ما وراء الطبيعة من الغيبيات، وتحارب الدين باعتباره خرافة لا تقع تعاليمه تحت تجارب الحواس، ولذلك كانت نظرة أصحاب هذا المذهب للعالم، والحياة نظرة مادية صرفة(١).

فروع القول: بأزلية المادة:

وبناء على ذلك ظهرت في هذا العصر نظريات مبنية على هذه العقيدة الإلحادية، وهي تُدرس في بعض المناهج الدراسية على أنها من القوانين الفيزيائية:

وهو قانون بقاء الطاقة، أو قانون حفظ المادة، أو قانون حفظ الكتلة، أو قانون بقاء المادة، كلها مسميات لمعنى واحد.

ومكمن الانحراف في توحيد الربوبية في هذا القانون، زعمهم أنَّ المادة لا تفنى، ولا تستحدث من العدم، ولكن يمكن تحويلها إلى طاقة أخرى، أو مواد مغايرة لما كانت عليه في السابق، وأُخذت هذه النظرية على أنها حقيقة علمية لا تقبل النقد، وكم تردّدت هذه العبارة على ألسنة كثير من المسلمين، من غير فهم لحقيقتها، وجذورها العقدية، إذ هي فلسفة عقدية يونانية، وإن مُوّهت بلباس العلم التجريبي(٢).

---

(١) ينظر: أصول الفلسفة الماركسية، ص١٤٨، والمادية الديالكتيكية، والمادية التاريخية، ص٥.

(٢) ينظر: أصول الفلسفة الماركسية، ص٥١، والعلمانية نشأتها وتطورها ص٦٠٩، =

وهذه المقالة تتضمن عدة محاذير:

قولهم: لا تفنى، يردّه ما جاء في نصوص الشرع، أن كل ما سوى الله ﷻ هالك، وكل ما على وجه الأرض مصيره إلى الفناء، كما قال الله ﷻ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾[الرحمن: ٢٦–٢٧]، ويقول جل جلاله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾[القصص: ٨٨].

وتتضمن أيضاً نفي الخلق، وإنكاره، وهذا معنى قولهم: لا تستحدث من العدم، وكل ما سوى الله ﷻ مخلوق محدث بعد أن لم يكن.

ويلزم من هذه العبارة أن يكون الخلق مستغنياً عن الله ﷻ، في إيجاده، وإفنائه، وهذا عين ما يبني عليه الملاحدة إلحادهم، كما يلزم أن يكون مع الله ﷻ شريك في الوجود، والأزلية، وهذا شرك مخرج عن الملة.

وسئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عن قولهم: " المادة لا تفنى ولا تزول ولم تخلق من عدم " .

فأجاب: «القول بأن المادة لا تفنى، وأنها لم تخلق من عدم، كفر لا يمكن أن يقوله مؤمن ، فكل شيء في السماوات والأرض سوى الله فهو مخلوق من عدم، كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ﴾ [الزمر: ٦٢]، وليس هناك شيء أزلي أبدي سوى الله، وأما كونها لا تفنى، فإن عنى

=

والفيزياء ووجود الخالق، ص٦٩، وكواشف زيوف المذاهب المعاصرة، ص٥٤٣، والموسوعة الميسرة ٢/ ١١٣٧.

بذلك أن كل شيء لا يفنى لذاته، فهذا أيضًا خطأ، وليس بصواب، لأن كل شيء موجود فهو قابل للفناء، وإن أراد به أن من مخلوقات الله ما لا يفنى بإرادة الله فهذا حق، فالجنة لا تفنى، وما فيها من نعيم لا يفنى، وأهل الجنة لا يفنون، وأهل النار لا يفنون.

لكن هذه الكلمة المطلقة " المادة ليس لها أصل في الوجود، وليس لها أصل في البقاء " هذه على إطلاقها كلمة إلحادية، فتقول: المادة مخلوقة من عدم، فكل شيء سوى الله، فالأصل فيه العدم»(١).

نظرية: الخلق المستمر.

ومن هذه النظرية الإلحادية -أزلية المادة- تفرّعت نظرية الخلق المستمر، أو الكون ذي الحال الثابت، ومفاد هذه النظرية: أن الكون في تباعد، وتمدد مستمر بين جزيئاته ومواده، أي: أن أجرامه، وأفلاكه، وكواكبه، ما زالت تجري مبتعداً بعضها عن بعض، وإذا كان الأمر كذلك، فإن الكون سيفنى، ويزول، ولكن هذه النظرية تقول: إنَّ المادة في الكون كلما ذهب شيء منها حلّت محلّه مواد أخرى، وبهذا يظل الكون محتفظاً بمكوناته منذ الأزل، ولذلك فالكون عندهم على حال ثابتة منذ الأزل لا بداية له، ولا نهاية، وهذا ما يسمونه بنظرية: الخلق المستمر(٢).

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ٣/ ١٣٠.

(٢) الفيزياء ووجود الخالق، ص٨٥.

وفي هذه النظريات التي تنسب إلى علم الفيزياء إلحاد مناقض للأديان، وإنكار لخلق الله ﷻ، لأنَّ الخلق بناءً على هذه النظرية، يُخلق من نفسه تلقائياً، وهذا من أظهر الكفر بربوبية الله ﷻ في العصر الحديث.

مسألة:

هل يلزم من عدم أزلية الخلق، ألا يكون منه شيء أبديٌّ؟

يقال: من المخلوقات ما هو أبديٌّ، خلقه الله ﷻ للبقاء، مثل الأرواح فإنها لا تموت، وكذلك الجنة، وما فيها من النعيم، فإن ذلك لا يعتريه الفناء، وكذلك أهل النار فيها، لا يموتون، ولا يحيون.

وهذا لا يعني أبدية المادة، وفرق بين الأبدية التي لا تنبغي إلا لله ﷻ، وبين الأبدية التي يهبها الله ﷻ لبعض مخلوقاته.

المبحث الرابع:

القول بتطوّر المادة والحياة
وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القول بالتطور أو النشوء الذاتي.
المطلب الثاني: القول بنظرية النشوء والارتقاء.

المطلب الأول: القول بالتطور، أو النشوء الذاتي.

التطور معناه: نقل الشيء من طور إلى طور[١].

ومفهومه على ضوء الفكر الغربي في الفلسفة الحديثة يطلق على معان:

الأول: النمو، والمقصود به أن ينتقل المبدأ الداخلي من حال الكمون إلى حال الظهور، حتى يبلغ نهايته، كحال النطفة، وانتقالها إلى علقة، ثم مضغة، إلى أن يتكون بشراً سوياً.

الثاني: التبديل التدريجي البطيء بتأثير الظروف الخارجية.

الثالث: التبديل الموجّه إلى غاية ثابتة على مراحل متعاقبة، يمكن تحديدها مسبقاً.

الرابع: الانتقال من البسيط إلى المركب، ومن المتجانس إلى غير المتجانس، فإذا دلَّ التطور على نمو الفرد، وانتقاله من نقطة الابتداء الوحيدة -الخلية- إلى سن الرشد الكثيرة الخلايا، سمّي: بالتطور الفردي، وإذا دلَّ على تبدل النوع الواحد إلى أنواع كثيرة مختلفة، سمّي بالتكوين النوعي.

والتطور بهذا الاعتبار يكون بالتنوع، فالخلية الأم تتكاثر بالانقسام، والخلايا المتولدة منها تتنوع، وتصير ذات أحوال متباينة[٢].

وجاء أيضاً تعريفه تلخيصاً لما تقدم في إحدى الصحف الغربية: أنه

---

(١) المعجم الفلسفي، جميل صلبيا ١/ ٢٩٣.

(٢) ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صلبيا ١/ ٢٩٣.

ارتقاء الحياة من جهاز عضوي ذي خلية واحدة، إلى أعلى درجات الارتقاء(١).

ومذهب التطور مذهب قديم ترجع أصوله التاريخية إلى الفلسفة اليونانية، وتأثر بها من جاء بعدهم، غير أنَّه لم يكن مذهباً مُلبّساً لباس العلم، إلا في العصر الحديث، بعد أن علّل بعض المفكرين في العصر الحديث نشوء الأنواع الحيّة بقانون الانتخاب الطبيعي، والتنازع من أجل البقاء، ويردّون تطورها الخلْقي التدريجي إلى البيئة، والعوامل الوراثية، ويجعلون التطور بهذا المفهوم قانوناً كلياً في كل شيء(٢).

وهذا المذهب اشتهر بمذهب الداروينية، نسبة إلى من قعّد فلسفته عبر مؤلفات، وكتب، وهو تشارلز داروين مفكر بريطاني نصراني، وقد ألّف كتاباً في هذا الإلحاد، وإنكار خلق الله ﷻ، سماه: أصل الأنواع، قرر فيه تطور الخلق من خلية واحدة، ثم تطورت إلى خلايا متعددة منها نشأت المخلوقات، وتنوعت، بناء على التشابه بينها، وقرر أن الخلق في تطور مستمر، وأن البقاء يتمُّ عن طريق الانتخاب الطبيعي، وهذا يعني أن المخلوقات تنشأ من ذاتها، وهو الذي يسمّونه: النشوء الذاتي، ومما تفرع عن ذلك أن أرجع أصل الإنسان إلى قرد، ومنه نشأ وتطور! (٣).

---

(١) جريدة هوستن بوست، نقلاً من كتاب: خلق لا تطور، ص١٣.

(٢) ينظر: المعحم الفلسفي جميل صلبيا ١/ ٢٩٥، والمعجم الفلسفي إشراف إبراهيم مدكور، ص ٤٧-٨٣-١٧٥.

(٣) ينظر: أصل الأنواع ونشأة الإنسان، ص٦١ وما بعدها، ونشأة الإنسان والانتقاء الجنسي ١/ ٧٩، وكتاب: ما أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، ص٢٨- =

أصول نظرية التطور:

«ونظرية التطور تقوم على أصلين، كل منهما مستقل عن الآخر:

١- إن المخلوقات الحية وجدت على الأرض في مراحل تاريخية متدرجة، ولم توجد دفعة واحدة.

٢- إن هذه المخلوقات متسلسلة وراثياً نتج بعضها من بعض بطريق التعاقب خلال عملية التطور البطيئة الطويلة»(١).

وتعتمد نظرية التطور الحديثة على أن جميع المخلوقات نشأت بالتدريج من خلية واحدة، وبفعل "المصادفة"، وتوافر الشروط الفيزيائية من درجة حرارة، ورطوبة، وهواء، وتكاثرت هذه الخلايا، وتولّد عنها سلسلة من المخلوقات، بدءاً من النباتات، وانتهاءً بالإنسان، وقد لاحظ داروين التشابه الكبير بين المخلوقات، وهذا ما دعاه لهذه النظرية.

وهذه النظرية الدراوينية كانت متعلقة في أول أمرها بالأحياء من المخلوقات، حتى عُمّمت، وشملت الوجود كله، من الغاز السديمي الأول، إلى الأفلاك، والكواكب، والمجرات، حتى كان هذا التطور مذهباً(٢).

وقد زعموا أنهم بهذه "النظرية" يستطيعون تفسير خلق الكون، ونشأته، ونشأة الحياة فيه، «من مادة الكون الأولى التي هي سديم غازي، أي:

=

٣٤، وموقف العقل ٢/ ٢٧٩.

(١) العلمانية نشأتها وتطورها، ص١٨٤.

(٢) ينظر: كواشف زيوف المذاهب المعاصرة، ص٣١٧.

سحابة مؤلفة من أدنى الغازات تركيباً، وأن هذا التطور قد كان تطوراً ذاتياً، وليس ذا حاجة إلى تدخل خالق ذي قدرة، وعلم، وحكمة، فالتطور بطبيعته الذاتية قد أجرى هذه التغيرات العظيمة التي نشاهدها في الكون، وفي أنفسنا.

وانطلقت الأجهزة اليهودية العالمية ضمن خطط مرسومة، تروّج لهذه النظرية المدّعاة في أسواق العلم، وفي ميادين الثقافة، وفي أجهزة الإعلام المختلفة، وتمجّد بها، وبواضعها داروين، وترفعه إلى درجة غير عادية»(١).

والذي يتأمل هذه النظرية يلاحظ أن هذه الكلمات: "المصادفة، والطبيعة، والاصطفاء الطبيعي" تتكرر كثيراً، ولا تجد ذكراً لكلمة "خالق" إنكاراً لتدبير خالق لها، ومثل هذه المصطلحات الإلحادية المنكرة لخلق الله ﷻ منتشرة في كتب كثيرة يقرأها المسلمون، بل وأحياناً تدرس عبر مناهج مدرسية، وهذا من الشرك في ربوبية الله ﷻ، ولو كان لا يعدو إلا مصطلحات القوم في إلحادهم، فقد يكون مدخله من باب شرك الألفاظ.

مع أن هذه النظرية قد أثبت العلم الحديث سقوطها، وفشلها، فلا يمكن لمخلوق أن ينشأ من ذاته، وأن يُخلق من نفسه، وأيضاً لا يمكن إثبات هذه الفرضية من جهة العلم التجريبي بأي حال من الأحوال، الأمر الذي يشعرنا بمدى الحيرة، والتخبط الذي يعيشه من أعرض عن الوحي الإلهي، حتى آل أمره أن جعل أصله قرداً!(٢).

---

(١) كواشف زيوف المذاهب المعاصرة، ص٣١٩.

(٢) ينظر: كواشف زيوف المذاهب المعاصرة، ص٥١٧، وكتاب ما أصل الإنسان بين =

وهذه النظرية الإلحادية وجدت صداها في بعض أوطان المسلمين، وظهرت مؤلفات تقرر هذه الخرافة الإلحادية، وتدعو المسلمين إلى اعتناقها، والنظر فيها باعتبارها نتاجاً فكرياً[١].

وثَمَّ من جعل هذه النظرية لا تعارض الدين، ولا تعني الإلحاد، وإنكار وجود الله ﷻ، حتى من قال بهذه النظرية، وقعّد لها لا يقول بإنكار وجود الله ﷻ، بل قصارى أمره أن يكون متشككاً حائراً، كما كان داروين يحدّث عن نفسه أنه يصدق عليه وصف: اللاأدري[٢].

وأيّاً ما كان أمر من قال بتلك النظرية، هل هو ملحد أم لا؟ لا يعنينا هذا الموقف الشخصي، بقدر ما تعنينا تلك النظرية التي مفادها إنكار بعض

=

العلم والكتب السماوية، ص٢١٤.

(١) وهذا ما دعا إليه سلامة موسى في كتابه: نظرية التطور، وأصل الإنسان، ص٢٥، فقد تشرّب هذه النظرية، وحاول إثباتها بشبهات تصوّرها يكفي في معرفة سخافتها وركاكتها، وكذلك هناك من حاول التوفيق بين الشريعة الإسلامية وبين هذه الخرافة، وهو حسين الجسر في كتابه الرسالة الحميدية، حيث قال: «إن الله تعالى هو الخالق بقدرته وعلمه، سواء أكان هو الذي نوّع تنوعات المادة وطوّرها، أو أنه أوجد المادة الصالحة لتلك التنوعات والتطورات بموجب النواميس التي وضعها فيها، وبحركة أجزائها.. فكلا الأمرين يدل دلالة قاطعة على كمال قدرته»، ينظر: الرسالة الحميدية، ص٢٢٠.

(٢) ينظر: عقائد المفكرين في القرن العشرين، ص٥٤، وتاريخ الفلسفة الحديثة، ص٣٥٤.

صفات الربوبية لله ﷻ - الخلق-، وعلاوة على ذلك فهي تهيئ طريق الإلحاد من طريق أن الطبيعة هي التي تخلق، وتدبّر، وهذا من اتخاذ الطبيعة ربّاً من دون الله ﷻ.

المطلب الثاني: القول بنظرية النشوء، والارتقاء.

نظرية النشوء، والارتقاء، هي «نظرية علمية تبحث في نشأة الأجناس، وتطورها، وتحولها»(١).

وهذه النظرية تأتي فرعاً عن النظرية التي سبقتها -التطور، أو النشوء الذاتي- وذلك بعد أن زعم أصحابها أن الخلق تكوّن من مادّة أولى، ومنها تعددت المخلوقات.

وعامل البقاء لهذه الكائنات هو الاصطفاء، والانتخاب الطبيعي، وعلماء التطور يطلقون على عملية تطور الكائنات الحية، والميزات التي تتمتع بها، والتي تمارسها هذه الكائنات للحصول على رزقها، وتطور أدائها، وتأقلمها مع البيئة المحيطة "الاصطفاء الطبيعي".

وهذه النظرية ينصبُّ مفهومها على أنَّ بقاء بعض الأنواع، أو انقراضها راجع إلى الصراع من أجل البقاء، فالذي يبقى هو من يمتلك صفات الأفضلية، والكفاح، وأما النوع الخامل، أو العضو غير الفاعل فمصيره إلى الزوال، والانقراض، أو الضمور.

فهذه النظرية تتعلق ببقاء الكائنات، واستمرارها، وعدم انقراضها، وكذلك أيضاً في تنوعها، وتغيرها من كائن إلى كائن آخر، ونظرية النشوء الذاتي تتعلق بالوجود ابتداءً(٢).

---

(١) معجم الرائد، ص٨٠٦.

(٢) ينظر: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي ٢/ ١٣، وفلسفة النشوء والارتقاء، ص٩٨.

ومن خلال ما تقدم، فقد جعل هؤلاء الملاحدة صفات الربوبية من التدبير، والإحياء، والإماتة من فعل المادة، وتطورها، فغاية أمرهم أن أنكروا هذه الصفات الربوبية لله ﷻ، وأثبتوها للمادة.

الفصل الثاني:

نسبة الخلق لغير الله ﷻ، وجعل غير الله ﷻ خالقاً وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نسبة الخلق والحياة إلى الطبيعة في المذاهب الفكرية المعاصرة.

المبحث الثاني: نسبة الخلق إلى غير الله ﷻ في المدارس الأدبية المعاصرة.

توطئة:

صفة الخلق من خالص أوصاف الله ﷻ، فلا خالق مع الله ﷻ، ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الحشر: ٢٤]، واسم الخالق على إطلاقه لا يسمّى به سوى الله ﷻ.

والخَلْق الأصل في معناه التقدير، «وأصله الإيجاد على تقدير وتسوية»[(١)]، يقال: خلقت الأديم، إذا قدّره للسقاء، فمعنى الخلق: ابتداء تقدير المخلوقات، فالله ﷻ خالقها، ومنشئها، ومدبّرها: ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون: ١٤]، فالخالق هو الموجد للمخلوقات، ومخترعها على غير مثال سابق بعد أن لم تكن، وجعل لكلٍّ منها قدراً[(٢)].

واعتقاد غير الله ﷻ خالقاً، أو تسمية غيره به ناقض من نواقض توحيد الربوبية، لأن صفة الخلق من صفات الله ﷻ التي لا يشركه فيها أحد: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾[فاطر: ٣]، ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾[لقمان: ١١].

مسألة: وصف غير الله ﷻ بالخلق.

هذه مسألة مهمة لكثرة ما يأتي في كلام بعض الناس من إسناد الخلق

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٣٢٧.

(٢) ينظر: تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، ص٣٦، والمنهاج في شعب الإيمان ١/ ١٩٣، والأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ١/ ٣٣٠، ومقاييس اللغة ٢/ ٢١٣.

إلى مخلوق، فالخلق الذي لا يوصف به إلا الله ﷻ هو الإيجاد، وتبديل الأعيان، فلا أحد يُوجد شيئاً من العدم، ولا يُبدل عيناً إلى عين أخرى، إلا الله ﷻ، وما وُصف به المخلوق من الخلق فالمراد منه تحويل الشيء من صفة، إلى صفة أخرى، كتحويل الحديد إلى سيف، ونحو ذلك(١)، لأنَّ الخلق معناه في اللغة التقدير، ولذلك قال الله ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾[المؤمنون: ١٤]، وقال الله ﷻ عن عيسى عليه السلام في بيان براهينه ودلائله على رسالته: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ﴾[آل عمران: ٤٩]، وقال: ﴿وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي﴾[المائدة: ١١٠]، فالخلق هنا مستعمل في حقيقته الذي هو تقدير الشيء بقدر، أما الخلق الذي هو إبداع المخلوق، وإبرازه إلى الوجود، فهو خالص حقِّ الله ﷻ.

وخلاصة الكلام في هذه المسألة أنَّ الخلق الذي هو صفة الله ﷻ قد أطلق في القرآن الكريم على إيجاد الأشياء المعدومة، فهو إخراج المخلوقات من العدم إلى الوجود إخراجاً لا صنعة فيه للبشر، فإنَّ إيجاد البشر بصنعتهم أشياء، إنما هو تصويرها بتركيب متفرق أجزائها، وتقدير مقادير مطلوبة منها كصانع الخزف، فالخلق، وإيجاد العوالم، وأجناس الموجودات، وأنواعها، وتولد بعضها من بعض بما أودعت الخلقة الإلهية فيها من نظام الإيجاد، مثل تكوين الأجنة في الحيوان في بطونه، وبيضه، وإنبات النبات من الأرض، فهذا وأمثاله خلقٌ، وهو من تكوين الله ﷻ، ولا عبرة بما قد يقارن بعض ذلك

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد ابن عثيمين ٨/ ٥٥٩.

الإيجاد من علاج الناس، كالتزويج، وإلقاء الحب، والنوى في الأرض للإنبات، فالإيجاد الذي هو الإخراج من العدم إلى الوجود بدون عمل بشري خص باسم الخلق في اصطلاح الشرع، لأن لفظ الخلق هو أقرب الألفاظ في اللغة العربية دلالة على معنى الإيجاد من العدم الذي هو صفة الله ﷻ، وصار ذلك مدلول مادة "خلق" في اصطلاح أهل الإسلام، فلذلك خص إطلاقه في لسان الإسلام بالله ﷻ: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ النحل: ١٧]، وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾[فاطر: ٣]. وخُصّ اسم الخالق بالله ﷻ، فلا يطلق على غيره.

ولو أطلقه أحد على غير الله ﷻ بناء على الحقيقة اللغوية، لكان إطلاقه عجرفة، يجب أن ينبه على تركه[1].

ومن مثل هذا كثير، وقد «كثر استعمال الخلق في هذا الزمان بمعنى الإنشاء، والإيجاد، يقال مثلاً: يجب أن نسعى لخلق نهضة ثقافية، وهو استعمال فاسد، جاء من جهلة المترجمين لكلمةٍ في اللغات الأوربية مشتركة، تستعمل في إنشاء الله تعالى المخلوقات، وإيجادها على غير مثال سابق، وتستعمل في تلك اللغات أيضا في معنى الإنشاء المطلق، أما في اللغة العربية فإن الخلق بمعنى الإيجاد، والإنشاء خاص بالله تعالى»[2].

ومثل هذا الألفاظ تُترك تأدباً مع الله ﷻ، فلا يُوصف مخلوق بالخلق،

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٣٢٨، بتصرف يسير.

(٢) تقويم اللسانين، ص١٤.

ولا يطلق على فعل من أفعال الناس ذلك، ونجد في القرآن الكريم أنَّه لم يُنسب الخلق للبشر إلا على وجه بيان رسالة بعض الرسل، مثل عيسى عليه السلام كما تقدم.

المبحث الأول:

نسبة الخلق والحياة إلى الطبيعة في المذاهب الفكرية المعاصرة.

المبحث الأول: نسبة الخلق والحياة إلى الطبيعة في المذاهب الفكرية المعاصرة.

المذاهب الفكرية المعاصرة، لما نبذت أفكار الكنيسة إبان الثورة عليها، قد نبذت معها كل ما له صلة بالكنيسة، ومن ذلك اعتقاد خالق للكون، ظنوه من أفكار الكنيسة التي اعتادوا خرافاتها، فكفروا بها، وكل ما يتصل بدينها.

ولكن لما وجدوا من نظام الكون، وما فيه من مخلوقات، صدموا من بديع الخلق، ونظامه، فكيف وُجد؟ وكيف يسير؟ وكيف يبقى؟.

فخروجاً من هذه التساؤلات، وهو أنه لابد أن يكون الخلق صادراً عن خالق، قال أحد مفكريهم: «صار لزاماً على الذين نبذوا الإيمان بالله كلية، أن يبحثوا عن بديل لذلك، ووجدوه في الطبيعة»(١).

ومن جراء ذلك ظهرت النظريات الإلحادية في نشأة الكون، والمخلوقات، ونسبوا حدوث الخلق إلى الطبيعة، وقوانينها، وخرجت الماركسية الشيوعية التي أنكرت وجود الخالق، وزعموا أن الخالق للكون هي الطبيعة، والكوارث التي تحدث للبشر من غضب الطبيعة، وأنكروا أيَّ تدبير لله تعالى في خلقه، وهذه الماركسية الشيوعية ألقت بثقلها على البشرية ردحاً من الزمن، حتى دخلت أفكارها في العالم الإسلامي، وتأثر بها بعض المثقفين

---

(١) قاله جورج سول في كتابه المذاهب الاقتصادية الكبرى، نقلاً من كتاب العلمانية نشأتها وتطورها، ص١٣٦.

والمفكرين، وكتبوا كتابات تدعو إلى مبادئها [١].

وعامة «كتب الفكر الغربي تسمي ذلك العصر -القرن الثامن عشر- عصر تأليه الطبيعة، أو عبادة الطبيعة، وليست هذه العبارات مجازاً، بل هي مستعملة على الحقيقة تماماً، فكل صفات الله التي عرفها الناس عن المسيحية نقلها فلاسفة الطبيعة إلى إلههم الجديد، مع فارق كبير بين الإلهين في نظرهم، فإله الكنيسة بطَّاش حقود، يعذب السلالة البشرية، ويقتل ابنه، لأن الإنسان الأول أكل فاكهة من حديقته، وهو إله متعنت يضع القيود الاعتباطية على حرية الإنسان، ويقيده بالالتزامات، ويفرض عليه الرهبانية، والخضوع المذل لمثليه على الأرض.

أما الطبيعة فإلهها جذاب رحب الصدر، ليس له كنيس ولا التزامات، ولا يستدعي طقوساً، ولا صلوات، وكل ما يطالب به الإنسان أن يكون إنساناً طبيعياً يلبي مطالبه الطبيعية في وضوح، وصراحة.

والإله الجديد ليس له رجال دين يستعبدون الناس لأنفسهم، ولا كتاب مقدس متناقض، ولا أسرار عليا مقدسة...والقانون الطبيعي

---

(١) ينظر: أصول الفلسفة الماركسية، ض٥٠، وكتاب نقد الفكر الديني للدكتور صادق جلال العظم، فقد صاغ ذلك الإلحاد بأسلوب ماكر، وعبارة تمويهية يغالط فيها الحقائق، وانظر الرد عليه في كتاب صراع مع الملاحدة حتى العظم، للميداني، فقد أجاد في بيان مغالطته وتمويهه.

"الجاذبية" يجعل الكون مترابطاً متناسقاً، لا اضطراب فيه، ولا خلل، وبالمقابل جعلت الطبيعة للإنسان قانوناً طبيعياً يكفل له السعادة التامة، ولكن النظم الإنسانية، والأديان طمست هذا القانون فشقي الإنسان، وتعذب.

تلك هي المبادئ الأولى للمذهب الطبيعي الذي تبلور ليصبح ديناً إنسانياً...في القرن التاسع عشر، وعنه انبثقت الماديات المتعددة التي تفسر الكون تفسيراً آلياً حسب القوانين التي سُمّيت: قوانين الطبيعة»[1].

ومعرفة قوانين الطبيعة -عندهم- وما فيها من توحّد، وتناسق، وترابط، وخاصة قانون السببية الذي ينضبط به نظام الكون، كل ذلك -عندهم- يدفع قضية وجود إله، ويكرس مفهوم خلق الطبيعة للكائنات، وعدم معرفة الإنسان بهذه القوانين، جعلته ينصرف بخياله إلى وجود قوة عظمى خارجة عن إطار الكون، وجسّد هذه القوة في وجود إله! خلق هذه الطبيعة[2].

ولذلك هم يرون أنَّ الطبيعة قد استجمعت شروطها، وأسبابها من داخلها، واستقلت بهذه الأسباب، والشروط بحيث لا تحتاج إلى شيء خارجي عنها، إذ لا مبرر -عندهم- لافتراض أي سبب خارجي تستند إليه الطبيعة، سواء كان ذلك إلهاً، أو غيره.

وهذا من أبرز مظاهر نسبة الخلق إلى الطبيعة، إذ يرون أن الوجود

---

(١) العلمانية نشأتها وتطورها، ص١٦٠.

(٢) ينظر: قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، ص٣٠٥.

الحقيقي هو الوجود الحسي الذي يتمثل في وجود الكائنات الطبيعية التي تدير خلقها من ذاتها، وهذا من مذهب الشيوعية الماركسية[١].

---

(١) ينظر: المادية ومذهب نقد التجربة، فلاديمير لينين ص٢٠٤، وقضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، ص٣٠٤.

المبحث الثاني:

نسبة الخلق إلى غير الله ﷻ في المدارس الأدبية المعاصرة.

المبحث الثاني: نسبة الخلق إلى غير الله ﷻ في المدارس الأدبية المعاصرة.

من أساسيّات المدارس الأدبية المعاصرة عدم الارتباط بالقديم، والماضي، والتراث، ويصفون ذلك بالماضوية، والتخلف، والرجعية.

وهذه المدارس الأدبية قد اتخذت من أسلوب الأدب، والفنِّ طريقاً لتمرير أفكارها، وإلحادها، على حين أن هذه المدارس قد استطاعت أنَّ تتسلل إلى كثير من مدارس الآداب المعاصرة في العالم، وانتقلت إلى بلدان المسلمين، وتأثر بها جملة من المثقفين العرب، والمسلمين، واستطاعوا من رمزية الأدب، ودعوى الفنّ، أن ينقلوا تلك المدارس الأدبية الإلحادية إلى بلاد المسلمين.

وكان من ذلك أن نسبوا الخلق في حدوثه لغير الله ﷻ، وتكلموا في جناب الربوبية بكلام عظيم: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ ﴾ [مريم: ٩٠].

وهذا أحد زنادقة العصر يقول عن نفسه بكل جرأة في إعلان إلحاده وإنكاره للخالق العظيم -واستغفر الله ﷻ من حكاية قوله-: «وكما تولد الحياة والموت في الجسم، نطفة، أو جرثومة، ولد الإنكار في نفسي، لا أذكر كيف ترعرع حتى طلب أن يخرج، وخرج إنكاراً كأوضح الإنكار، وربما كانت قراءة بعض بسائط الداروينية بتلخيص سلامة موسى، وقراءة نيتشه في صيحته المرعبة: إن الله قد مات، هي التي دفعت بي إلى الطرف الأخر من الموضوع، أصبحت أتزين بالإنكار، وأجمع القرائن عليه من كل الفلسفات والأفكار، كما يجمع المدعي أدلة الاتهام، واطمأننت، أو حاولت أن اطمئن إلى

هذا الموقف»[١].

وكأنما يعالج نفسه، ويرغمها على إنكار وجود الله ﷻ الذي تأباه فطرته، ويحاول أن يطمئن إلى هذا الكفر، ومن العجب أن جعل الإلحاد زينة يتزين بها: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾ [فاطر: ٨]، ويقول في موضع آخر نتيجة لهذه النفسية المتخمة بالإلحاد، ومكابرة الفطرة:

«ياصاحبي..
ما نحن إلا نفضة رعناء من ريح سموم..
أو منية حمقاء..
والشيطان خالقنا، ليجرح قدرة الله العظيم»[٢].

وهذا كاهن الملاحدة العرب "أدونيس" يقول عن ثورة الحداثيين:

«بلى في بلادي خالقون
وساع كآفاقها الواسعة
نقيون كالشمس في عريها
فتيّون كالأنجم الطالعة...
بلى في بلادي أنا خالقون

(١) ديوان صلاح عبد الصبور، ص ٣٨.

(٢) ديوان صلاح عبد الصبور، ص ٣٨.

بنبض شرايينها عمروها...»[١].

وفي موضع آخر جعل ثورته ضد الإسلام إلهاً خالقاً، كما قال:

«بلى في بلادي لكل الزمان لكل المصير اكتناه
وإن شوهوه
وفيها لخلق صيرورة الحياة إله
وإن أنكروه..»[٢]

إلى آخر ما ذكر من هذا الهراء الإلحادي، الذي جعل فيه غير الله ﷻ خالقاً بعد أن أنكر وجود الله ﷻ في كتاباته، بل كل ما سنح له في أدبه الإلحادي من شيء جعله خالقاً، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في كتب القوم، وإنما ذكرت هذه الأمثلة تدليلاً على نهجهم في أدبياتهم الكفر بربوبية الله ﷻ في أخص أوصافه "الخلق".

ويقول في كتاب له في عجرفة كفرية إلحادية، تجاوزت الشرك السائد بربوبية الله ﷻ: «الإنسان كائن خلاّق، يشارك الخلق الإلهي، وليس الخلق الشعري، إلا صورة للخلق الكوني »[٣].

فأدبهم أدب لا يتقيد بضابط سوى الإبداع والتجديد -في زعمهم- حتى ولو كان في الإلحاد، وإنكار ربوبية الله ﷻ[٤].

---

(١) الأعمال الشعرية، لأدونيس ١/ ١٣٤.

(٢) الأعمال الشعرية، لأدونيس ١/ ١٣٦.

(٣) الثابت والمتحول، صدمة الحداثة ٣/ ١٥٧.

(٤) ينظر: الحداثة في ميزان الإسلام، ص٤٧، والحداثة في العالم العربي ٤/ ١٣٥٥، واتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص١٠٩.

الفصل الثالث:

إمكان التصرف المطلق للإنسان في الكون
وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: إمكان الخلود في الدنيا.
المبحث الثاني: إمكان التصرف في تسيير الكون، وسير الأفلاك.
المبحث الثالث: إمكان تغيير حركة الزمن.

المبحث الأول:

إمكان الخلود في الدنيا.

المبحث الأول: إمكان الخلود في الدنيا.

من صفات الله ﷻ كمال الحياة، والتفرد بالبقاء: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [الفرقان: ٥٨].

وكذلك من خصائص الله ﷻ في ربوبيته أنه هو المحيي المميت: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [البقرة: ٢٨]: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾ [البقرة: ٢٤٣]،: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ﴾ [الزمر: ٤٢].

وجعل الله ﷻ الإحياء، والإماتة من دلائل قدرته، وآياته في خلقه: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

ومن زعم الخلود في الدنيا، والبقاء السرمدي فيها، وأنكر الموت، فقد أنكر شيئاً من صفات الله ﷻ، وهي الإماتة، وكذّب الله ﷻ في خبره: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤].

وهذا لا يعرف عن أحد من البشر، إلا في هذا الزمن حيث زعم بعض الليبراليين العرب أن الطبّ الحديث، والتقدم التقني المستمر، لا بد أن يجد علاجاً يمنع من الموت، ويجد حلًّا له، وأوصى أن تحنّط جثته في حين لم يُكتشف العلاج إلا بعد موته، ليقوم إلى الحياة مرة أخرى، ويقول بهذا النص:

«أعتقد أن الإنسان أثبت أن كلّ شيءٍ ممكن أن يحدث، فلو استعرضنا حجم التقدم الإنساني في مجال العلم، والتطور، فسيصبح الهروب من الموت شيئاً محتملاً»(١).

وهذا يتضمن نفياً من بعض الوجوه لصفة الإماتة لله ﷻ، الذي حكم حكماً قدرياً بفناء كل ما على وجه الأرض، كما أنه يتضمن كون الإنسان له مطلق التصرف في الكون من جهة ديمومة الحياة، والوقوف في وجه الفناء.

وفي ظني أنَّ مثل هذا من قبيل الانغماس في شهوات الدنيا حتى إنه ليُخيَّل إليه أنَّ حياته كلها محصورة في حدود هذه الدنيا، ولا مطمع له فيما وراءها، قال الله ﷻ: ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٢].

(١) وهذه المقالة موجودة في لقاء تفلزيوني عبر قناة mbc، وهذا الرابط على الشبكة العنكبوتية، بتاريخ ٥/ ١١/ ١٤٣٥هـ.
http://www.youtube.com/watch?v=gs88Vm6FNW0

المبحث الثاني:

إمكان التصرف في تسيير الكون، وسير الأفلاك.

المبحث الثاني: إمكان التصرف في تسيير الكون، وسير الأفلاك.

التصرف في تدبير الكون، والقيام بمصالح المخلوقات، وسير الأفلاك من خصائص ربوبية الله ﷻ، واعتقاد ذلك فيما سوى الله ﷻ شرك في الربوبية، وهذا أكثر وقوعاً في المنتسبين إلى هذه الأمة.

وهذا النوع من الشرك من أكثر الأنواع انتشاراً، ووقوعاً في المنتسبين لهذه الأمة، ولا سيما في هذه العصور المتأخرة، التي فشا فيها الجهل، والابتداع، وقد ضرب بجرانه في طائفتين ممن ينتسب لهذه الأمة: الصوفية والروافض، وكل من تأثر بهم.

أما الصوفية فلهم في ذلك خرافات عجيبة من دعوى التصرف في الكون، وتسيير الأفلاك[(١)]، ومن فروع عقيدة التصرف في الكون عندهم ما يلي:

أولاً: درجة الكونية، وذلك بالاعتقاد فيمن يُزعم فيه الولاية أن يقول للشيء: كن فيكون.

ثانياً: الإحياء، والإماتة، بالاعتقاد في الولي أن بقدرته أن يحيي الميت، ويميت الحي.

ثالثاً: علم الغيب، بالاعتقاد في الولي أنه لا تخفى عليه خافية.

رابعاً: هبة الولد، بالاعتقاد في الولي بالقدرة على هبة الولد لمن شاء.

خامساً: إنزال المرض، ورفعه.

---

(١) ينظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/ ١٣٩، وما بعدها، وكتاب هذه هي الصوفية، ص٢٤.

سادساً: إنزال المطر.

سابعاً: إجابة الداعي وإغاثة المستغيث(١).

وكذلك الأمر عند فرق الروافض، فهم يعتقدون في أئمتهم من التصرف في الكون ما يعتقده المسلمون في الله ﷻ من خصائص ربوبيته.

وهذا مثال مما عندهم من الشرك في الربوبية بادعاء التصرف في الكون وتدبيره لغير الله ﷻ، وذلك ما ذكره شيخهم المجلسي في كتابه بحار الأنوار في حق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يقرر هذا الشرك في ثمان صفحات(٢): «إني لأملك من ملكوت السموات، والأرض ما تحتملون العلم ببعضه»(٣)، فماذا أبقى لله ﷻ من التصرف والتدبير بعد ذلك؟.

والرافضة المعاصرون على خطى من تقدمهم في هذه الشركيات الغليظة، بل ذكروا من ذلك ما هو أشنع، وأشدّ عبر الفضائيات، والقنوات الحوارية، ويذكرون من الدجل، والكذب بهذا الصدد، ما يدرك به العاقل أنَّ دينهم هذا خليط من وثنيات وديانات شتّى(٤).

---

(١) ينظر: القبورية، نشأتها، آثارها، موقف العلماء منها، ص٢٩٨، والكشف عن حقيقة التصوف، ص٣١٧.

(٢) ينظر: بحار الأنوار ٢٧/ ٣٣-٤٠.

(٣) بحار الأنوار ٢٧/ ٣٤.

(٤) ينظر: مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية، عرض ونقد ٢/ ٥١٤.

المبحث الثالث:

إمكان تغيير حركة الزمن.

المبحث الثالث: إمكان تغيير حركة الزمن.

الزمن تعريفه: هو «عبارة عن متجدد معلوم مقدر به متجدد آخر موهوم، كما يقال: آتيك عند طلوع الشمس، فإن طلوع الشمس معلوم، ومجيئه موهوم، فإذا قرن ذلك الموهوم بذلك المعلوم، زال الإيهام»(١)، ويوضّح هذا التعريف أيضاً، أنَّ «الزمن، والزمان اسم لقليل الوقت، وكثيره، وجمعه أزمانٌ، وأزْمنَةٌ»(٢).

إذاً فالزمان في حقيقته «هو مرور الليل، والنهار، أو مقدار حركة الفلك»(٣).

وحركة الزمن في الكون من دلائل قدرة الله ﷻ، وشواهد ربوبيته على خلقه، وقد جعل الله ﷻ خلق الشمس، والقمر، آيتين دالّتين على قدرته تعالى في خلقه الزمن، إذ جعلهما علامتين على حركة الزمن، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٥﴾[يونس: ٥]، «فبالشمس تعرف الأيام، وبسير القمر تعرف الشهور، والأعوام»(٤).

---

(١) التعريفات، ص١٥٢.

(٢) مختار الصحاح، ص٢٨٠.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤/ ١٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير٤/ ٢٤٨.

وأكّد ربنا ﷻ ذلك في مواضع من القرآن الكريم، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾ [الإسراء: ١٢].

والشمس والقمر اللذان هما علامتان على حركة الزمن، قد حددّ الله ﷻ مسارهما، فما ينبغي لأحدهما أن يدرك الآخر، قال الله ﷻ: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾[يس:٣٩-٤٠]،وذلك من ربوبية الله ﷻ.

وبيّن الله في القرآن الكريم أن من دلائل ربوبيته، تعاقب الليل والنهار، اللذين هما معيار مرور الزمن، فقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾﴾[الحج: ٦١]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [لقمان: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾[فاطر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾[الزمر: ٥].

فمن ادّعى تصرفاً في حركة الزمن التي هي من خصائص ربوبية الله ﷻ، فقد وقع في ناقض من نواقض توحيد الربوبية، لأنَّ الله ﷻ جعل من أفراد ملكه التصرف في حركة الليل، والنهار، فقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٢٧﴾ [آل عمران: ٢٦ – ٢٧].

وذكر نبينا محمد ﷺ أنَّ التصرف في الزمن من خصائص الله ﷻ، كما جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة، وهو يريد أن يبني بها، ولمّا يبن، ولا آخر قد بنى بنياناً، ولمّا يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً، أو خلفات، وهو منتظر ولادها، قال: فغزا فأدنى للقرية حين صلاة العصر، أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة، وأنا مأمور، اللهم احبسها عليَّ شيئاً، فحبست عليه حتى فتح الله عليه»[1]...الحديث، فدّل ذلك على أنَّ التصرف في حركة الزمن من خصائص الله ﷻ، وليست لأحد من الخلق.

ومن صور هذا الناقض دعوى من ادّعى أنَّ مخلوقاً يستطيع التصرف في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخنس، باب قول النبي :أحلت لكم الغنائم، رقم الحديث (٣١٢٤)، ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة، رقم الحديث (١٧٤٧).

الزمن إطالةً، أو تقصيراً، ومثل ذلك من ادعى أنه يستطيع أن يطيل حياته بنفسه، يقول أحدهم: «وعندما يدرس الإنسان كتاب الموت، وتزيد معرفته به، يستطيع أن يؤجل هذه الشروط، ويطيل الأعمار!»(١)، فهذا يزعم أنَّ الإنسان بسبب التقدم العلمي، والتقني، يستطيع أن يطيل عمره! ولكن بشرط معرفة شروط الحياة!.

(١) الكتاب والقرآن، قراءة معاصرة، لمحمد شحرور، ص ٤١٢.

الفصل الرابع:

القول بالمصادفة، وتفسيراتها.

الفصل الرابع: القول بالمصادفة، وتفسيراتها.

مفهوم المصادفة:

المصادفة في اللغة تأتي بمعنى الموافقة، ويقال: صادفت فلاناً، أي: وجدته، وصادف فلاناً مصادفةً، أي: لقيه، ووجده من غير موعد، ولا توقع[(١)].

فالمصادفة في اللغة تدل على وقوع الشيء اتفاقاً، دون قصد، ولا موعد سابق.

والمصادفة في الاصطلاح: «هي الأمر الذي لا يمكن تفسيره بالعلل الفاعلة، ولا بالعلل الغائية»[(٢)].

وقيل أيضاً في المصادفة أنها «بوجه عام ما يخرج عن النظام، والقانون المعروف، ولا يبدو له سبب، ولا غاية واضحة، وهو أشبه ما يكون بالاتفاق»[(٣)].

والمقصود بمصطلح المصادفة في قضية خلق العالم، أنها تعني: «خلو

(١) ينظر: كتاب العين ٥/ ٢٢٦، ولسان العرب ٩/ ١٨٨، وتاج العروس من جواهر القاموس ٢٤/ ١٠، والمعجم الوسيط، ص٥١٠.

(٢) المعجم الفلسفي، جميل صليبا ٢/ ٣٨٣.

(٣) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص١٨٥.

النظام الكوني من الإله»[١].

وهذا هو المراد في هذه القضية الكبرى، في وجود الكون، هل خُلق من غير خالق، بمعنى أنه وُجد صدفةً؟.

والقول بالمصادفة، قد قيل به منذ أمد طويل، فقد كان معروفاً عند بعض فلاسفة اليونان، في القرن الخامس، والرابع قبل الميلاد.

والقول بالمصادفة في خلق العالم، قد امتدّت جذوره من أوائل الفلسفة اليونانية إلى هذا العصر الحديث، فثَمَّت فلسفات، ومذاهب فكرية معاصرة، قد رفعت عقيرتها بهذا القول، وبنت أفكارها الفلسفية الإلحادية عليه، وقد تسلل هذا الفكر الإلحادي إلى بلاد المسلمين، وظهرت فيه مؤلفات يدعو أصحابها إلى هذا الفكر، ويشيدون به[٢].

تفسيرات القول بالمصادفة:

وقد تتبع بعض الباحثين بهذا الشأن أقوال الملحدين، وعلماء الطبيعة في هذه القضية، فخلص إلى أن أقوالهم لا تخرج عن هذه الدعاوى التي ألبسوها ثوب العلم التجريبي، أو ثوب العقل، أو الثوبين معاً، وهذه الدعاوى كما يلي:

---

(١) قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، ص٢٣.

(٢) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٧، وما بعدها، وقضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، ص٢٥- ١٠٣- ٢٧٣- ٥٣٧- ٦٦١- ٨٠٥.

أولاً: إما أن الكون لم يُخلق، بل وُجد من العدم المحض.

وذلك بناءً على القول بأزلية المادة، وطول المدة، الأمر الذي جعل من الممكن أن يتكون منها مصادفةً هذا الكون، والإلحاد الحديث قد اعتمد على هذه النظرية، إذ الكون له بداية مطلقة.

وقد اصطدم هذا القول المتهافت بنظرية فيزيائية كشفها العلم الحديث، أتت على ذلك الإلحاد من أساسه، وهي نظرية الانفجار العظيم(١)، وغدت هذه النظرية من كشوفات العلم الحديث عند الفيزيائيين الفلكيين، والمادة بناءً على هذه النظرية -إن صحّت- ليست أزلية بل حادثة، ثم يبقى التساؤل عن خلق هذه المادة الأولى، والتي أقرَّ بعض علماء الفيزياء، أنه لا بدَّ لها من خالق .

ثم يقال: من أين أتت هذه المادة؟.

إما أن يقال: إن الله ﷻ هو الذي خلقها، أو يقال: إنها لم تُخلق، بل جاءت من العدم، أو يقال: هي التي خلقت نفسها، أو يقال: لها خالق غير الخالق العظيم، والعجيب أن بعض الفيزيائيين الفلكيين، قد قال بكل ما

---

(١) نظرية الانفجار العظيم، نظرية تتعلق بنشأة الكون، وهي نظرية فيزيائية فلكية، مفادها: أنَّ الكون يتباعد بمجراته شيئاً فشيئاً، فلا بد أنه كان في زمن متقارب جداً، وأن هذه المخلوقات كلها من الأرض والمجرات والأفلاك كانت ملتصقة ومتضامّة بقوة الجاذبية الشديدة، والضغط العظيم حتى كان حجم تلك المادة قريباً من الصفر، ثم انفجرت هذه المادة المضغوطة، وتبددت أجزاؤها في صورة إشعاع، ثم بدأ يبرد فتكون منه هذا الكون. ينظر: الفيزياء ووجود الخالق، ص٨٢.

تقدم!.

وهذه النظرية -الانفجار العظيم- قد ضاق بها ذرعاً بعض الملاحدة الفيزيائيين، لأنها تطوي رواق إلحادهم، ونظرتهم للعالم الطبيعي، حتى أبدى بعضهم امتعاضه من هذه النظرية بأسلوب عاطفي غير علمي، لأنهم لم يستسيغوا القول بوجود ظاهرة طبيعية لا يمكن تفسيرها تفسيراً ماديّاً[(١)].

مما يبين أن القول بالمصادفة ابتداءً، أنه ناشئٌ من تضارب عقلي مبنيٍّ على إنكار وجود الخالق، فلما لم يجدوا منه مساغاً مقنعاً شافياً، لجئوا إلى القول بالمصادفة هروباً من التناقض الحادث في سببية وجود الكون.

ثانياً: وإما أن يقال: بأنَّ الكون قد خلق نفسه.

وهذه فكرة متناقضة، لا يقبلها عقل صحيح، لأنَّ الشيء حتى يكون خالقاً، لا بد أن يكون موجوداً، ولكي يُخْلق لا بد أن يكون غير موجود، وهذا يستحيل أن يكون الشيء موجوداً، وغير موجود في وقت واحد، فعلى ذلك يستحيل أن يخلق الشيء نفسه عقلاً.

ثالثاً: وإما أن يقال: بوجود الكون من دون خالق.

وذلك بناءً على نظرية الكون ذي الحال الثابت[(٢)]، والقول بهذا

---

(١) ينظر: الفيزياء ووجود الخالق، ص٩٤.

(٢) نظرية الكون ذي الحال الثابت، مفادها: أنه لما كان الكون في تباعد مستمر في مجراته منذ بلايين السنين الضوئية، فيلزم ألا يكون منه شيء يرى بالنسبة لنا، ولكن الواقع أن الفضاء مليء بالكواكب والنجوم والمجرات الهائلة في العدد، فكيف يُفسر هذا الثبات في كثافة الكون رغم ذلك التباعد المستمر بين أجزائه؟.

=

متناقض، يستحيل التعبير عنه بعبارة عقلية مستقيمة، وذلك لأن العدم إذا قيل: إنه أحدث شيئاً، كان الكلام متناقضاَ، لأن الإيجاد، والإحداث فعل، والفعل يحتاج إلى فاعل، وهذا الفاعل لا بد أن يكون شيئاً موجوداً قبل الفعل، والعدم نفي للوجود، فكيف ينشأ منه وجود؟.

وأقوال القائلين بالمصادفة من أصحاب المذاهب الفكرية الحديثة لا تخرج عن هذه الدعاوى الثلاث(١).

والمذاهب الفكرية الحديثة التي ترتكز على المادية الإلحادية تزعم أن الحياة ظهرت في الكون المادي نتيجةً للمصادفة، بسبب تفاعلات المادة الناتجة عن حركتها الذاتية المستمرة، فهذا الكون نتيجة لتركيب خاص معقّد للمادة.

فالمادة عند القائلين بالمصادفة هي الجوهر الأساسي الذي تكوّنت منه الموجودات من أصغر ذراتها، إلى أكبر مجراتها، وبعد ذلك خضعت هذه الموجودات إلى عمليات تطور استغرقت ملايين السنين!(٢).

=

قالوا: إن ثَمَّ مادة جديدة تحُلّ محلَّ المادة التي تباعدت، ومن هذه المادة الجديدة تكونت النجوم والأجرام السماوية التي تحل محل المتباعدة، فمع التباعد المستمر إلا أن الكون ذو حال ثابت، فهذه النظرية تفسر سرَّ ذلك التباعد. ينظر: الفيزياء ووجود الخالق، ص٦٨.

(١) ينظر: الفيزياء ووجود الخالق، ص٧١.

(٢) تقدم فيما سبق الكلام على نظرية التطور، ينظر صفحة: ٢٩١، وينظر: قضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، ص٢٧٥، والإسلام يتحدى، ص٥٤.

تهافت القول بالمصادفة:

ومع ثورة العلوم التجريبية التي جعلوها مستنداً للإلحاد، فإن هذه العلوم تنقض ما ذهبوا إليه، إذ إن القرار العلمي الذي اتفق عليه العلماء الشرقيون والغربيون الماديون، ينصُّ على أن العلم التجريبي عاجز عن إيجاد أدنى صورة من صور الحياة، بتخليقها من المادة التي لا حياة فيها، والعجب أنَّ الشيوعية الماركسية التي تبنت هذا الفكر، ونشرته بقوة الحديد والنار، أنفقت أموالاً طائلة على بحوث علمية علّها أن تثبت هذا الزعم الإلحادي – أن الحياة ما هي إلا تفاعل كيميائي – فلم يرجعوا من ذلك إلا بالخيبة والعار، إذ ثبت علمياً، وصدر قرارهم العلمي عام ١٩٦٩م الذي تضمن هذه الحقيقة: ليس للعلم قدرة على أن يثبت أن الحياة نتيجة تفاعل كيميائي، ولا نستطيع أن نوجد الحياة في الأشياء الحيّة من إنسان، وحيوان، ونبات، إلا بالخلايا التي لا نستطيع أن نوجدها[(١)].

فالقول بالمصادفة سفسطة عقلية لا مبرر لها، إلا الخروج من تصارع الأفكار، وعجز العقول عن إدراك قانون السببية في خلق الكون، مع ما تقدم من الخصومة العنيفة مع إله الكنيسة الذي أنكروه هروباً من بطشها، وإذا أثبتوا خالقاً رجعوا بزعمهم إلى إله الكنيسة الذي فرّوا منه، فلما نفوا وجود الخالق، لم يكن بدٌّ من القول بالمصادفة في خلق الكون، ولو كان ذلك على وجه المكابرة، والمعاندة، التي يعلمون منها مخالفةً صريحةً لبداهة العقول:

---

(١) كواشف زيوف المذاهب المعاصرة، ص٥١٢، بتصرف.

﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣] .

والعجب أنَّ تهافت هذا الفكر قد ظهر للعيان عند أصحابه، ثم يأتي من عاش في بلد مسلم ويردّد هذا الهراء الإلحادي مشيعاً إياه بين أواسط المسلمين، فعلى سبيل المثال، هذا التعليق الذي كتبه د. جلال صادق العظم على قصة خيالية ذكرها بعض الملاحدة، ينتهي فيها إلى القول بالمصادفة في خلق العالم، وأنه تكون من السديم الحار، وسيرجع في منتهى أمره إلى السديم الذي بدأ منه[1]، فذكر هذا الملحد أن تلك القصة تخبرنا: «بكل بساطة النظرة العلمية الطبيعية للقضايا التالية: نشوء الكون، وتطوره، نشوء الحياة ،وتطورها، أصل الإنسان، ونشأته، وتطوره، نشوء الديانات، والعبادات، والطقوس، وتطورها، وأخيراً يشدد على أن النهاية الحتمية لجميع الأشياء هي الفناء والعدم، ولا أمل لكائن بعدها بشيء، إنه من السديم، وإلى السديم يعود»[2].

وهكذا يخلص من هذا القول إلى قول الدهرية، من إنكار الإيمان بالله ﷻ، وما وراء هذه الحياة الدنيا من أحوال الآخرة.

---

(١) ينظر: كواشف زيوف المذاهب الفكرية المعاصرة، ص٤٨٢، وقضية العناية والمصادفة في الفكر الغربي المعاصر، ص٨٠٥.

(٢) نقد الفكر الديني، ص٢٦.

الباب الثالث:

الشرك في الربوبية باتخاذ الأنداد
وفيه تمهيد وأربعة فصول:

تمهيد: وقوع الشرك في الربوبية عند الأمم السالفة وظهوره في هذه الأمة.

الفصل الأول: الشرك في الربوبية باتخاذ الأنداد في الذات.

الفصل الثاني: الشرك في الربوبية باتخاذ الأنداد في الصفات والأفعال.

الفصل الثالث: الشرك في الربوبية بادعاء علم الغيب لبعض الخلق.

الفصل الرابع: الشرك في الربوبية بتعطيل أفعال الله تعالى.

تمهيد:
وقوع الشرك في الربوبية عند الأمم السالفة وظهوره في هذه الأمة
وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: دعوى فرعون الربوبية.

المسألة الثانية: شرك الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه.

المسألة الثالثة: ظهور الشرك في الربوبية بالأنداد في هذه الأمة.

المسألة الأولى: دعوى فرعون الربوبية.

جاء ذكر فرعون في القرآن الكريم في سبعة وستين موضعاً، في سياقات متعددة، تارة في بيان قيام الحجة عليه، وتارة في بيان تمرّده على الله ﷻ، واستخفافه قومه، وطاعتهم العمياء له، وتارة في بيان جداله بالباطل، ومحاولته دحض الحق، وتارة في بيان ما أصابه من عذاب، ونكال، وكيف مكر الله ﷻ به؟، وتارة في التهييج على أخذ العبرة، والعظة من حاله[1].

ودعوى فرعون الربوبية جاء بيانها في القرآن الكريم حكايةً عن قوله، وقد جعل من نفسه إلهاً، وربّاً لمن استخفّه من قومه! وذلك في قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص: ٣٨]، وفي قول الله ﷻ: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢١ – ٢٤].

ومن إنكاره لربوبيّة الله ﷻ أن موسى ﵇ لمّا دعاه إلى الله ﷻ أنكر وجود الله ﷻ بقوله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣][2].

وكذلك قال على وجه المكابرة والمعاندة في إنكار ربوبية الله ﷻ، وكأنَّ في كلامه شيئاً من التهكم والسخرية بموسى ﵇: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، ص٦٢٦.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٦/ ١٣٨.

كَـٰذِبًا﴾[غافر: ٣٦ - ٣٧](١).

ولكن لما عاين الحقيقة التي لا يمكن له إنكارها، قال حيث لا ينفعه القول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩٠﴾[يونس: ٩٠]، فكان توبيخ الله ﷻ له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾[يونس: ٩١ – ٩٢](٢).

فدعواه الربوبية جحود لحق الله ﷻ، يعلم من نفسه كذب دعواه، ولذلك ظهرت حقيقته لما غرغرت روحه، وقال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير ٢٤/ ١٤٥.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٩٢.

المسألة الثانية: شرك الذي حاج إبراهيم عليه السلام في ربه.

من الجدال بالباطل الذي عاناه إبراهيم عليه السلام من قومه، ما كان من أمر الملك الجبّار الذي حاجّه في ربّه، وقد حاجَّ إبراهيم عليه السلام في الله عز وجل، لمّا دعاه إبراهيم إلى الله عز وجل، فأنكر أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الإله المعبود، وادّعى لنفسه الربوبية، قال الله عز وجل بهذا الشأن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [سورة البقرة :٢٥٨]، وهذا الملك الجبار بهذه الدعوى العريضة، يحتمل أنه أراد أحد معنيين، الأوَّل: أنّه يأتي بالرجلين قد استحقَّا القتل، فيقتل أحدهما، ويستبقي الآخر، فذلك معنى الإحياء، والإماتة، والمعنى الآخر ما ذكره ابن كثير مرجّحاً إياه، ومضعّفاً الأول، قال: «والظاهر -والله أعلم- أنه ما أراد هذا، لأنه ليس جوابًا لما قال إبراهيم ولا في معناه، لأنه غير مانع لوجود الصانع، وإنما أراد أن يَدّعي لنفسه هذا المقام عنادًا ومكابرة، ويوهم أنه الفاعل لذلك، وأنه هو الذي يحيي ويميت»[1]، وقال أيضاً في موضع آخر موضحاً، وشارحاً، وعاضداً ما رجّحه: «وهذا ليس بمعارضة للخليل، بل هو كلامٌ خارجيٌّ عن مقام المناظرة ليس بمنع، ولا بمعارضة، بل هو تشغيب محض، وهو انقطاع في الحقيقة، فإن الخليل استدلَّ على وجود الصانع بحدوث هذه المشاهدات -من إحياء الحيوانات وموتها-

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٥١.

على وجود فاعل ذلك الذي لا بدَّ من استنادها إلى وجوده ضرورةً، وعدم قيامها بنفسها، ولا بدَّ من فاعل لهذه الحوادث المشاهدة، من خَلْقها وتسخيرها، وتسيير هذه الكواكب، والرياح، والسحاب، والمطر، وخلق هذه الحيوانات التي توجد مشاهَدَةً، ثم إماتتها، ولهذا ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ﴾، فقول هذا الملك الجاهل: ﴿أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ﴾، إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهدات فقد كابر، وعاند، وإن عنى -أي: القول الأول- ...فلم يقل شيئا يتعلق بكلام الخليل، إذ لم يمنع مقدمة، ولا عارض الدليل»[1].

---

(١) البداية والنهاية ١/ ٣٤٣.

المسألة الثالثة: ظهور الشرك في الربوبية بالأنداد في هذه الأمة.

كان الناس قبل بعثة النبي محمد ﷺ في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، وقد انتشرت فيهم الوثنية، والخرافة إلى حدٍّ صار التوحيد وعبادة الله وحده لا شريك له منكراً، وقد مقت الله ﷻ الناس كلهم عربهم، وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ممن كان على الدين الذي لم يُبدّل، ثم أكمل الله ﷻ ببعثة النبي محمد ﷺ الدين، وأتمَّ به النعمة على العالمين، وحلَّ التوحيد محلَّ الوثنية، والعلم محلَّ الجهل: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣]، وكل شيءٍ بلغ كماله في الدنيا فقد بدا نقصه، وإنَّ من ذلك أن يرجع بعض الناس إلى الشرك، والوثنية، والخرافة، والجهل، ولقد أخبر النبي محمد ﷺ بوقوع الشرك في هذه الأمة قدراً بعد أن أكرمهم الله ﷻ بالأنوار الرسالية، والبعثة النبوية المحمدية، فقد جاء في الحديث أنه: «لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان»(١)، وهذا الحديث وغيره يدل على أن الشرك سيقع في هذه الأمة، وهذا علم من أعلام النبوة، فقد وقع الشرك بالله ﷻ في أنواع التوحيد الثلاثة، ومن أخصِّ ذلك الشرك في الربوبية، فقد وقع قديماً في هذه الأمة، وهو في هذا

---

(١) رواه أبو داوود في سننه، عن ثوبان ﷺ كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، رقم الحديث (٤٢٥٢)، والإمام أحمد في منسده، مسند ثوبان، رقم الحديث (٢٢٤٥٢)، قال المحقق شعيب الأرناؤوط: والحديث صحيح على شرط مسلم.

الزمن أفحش.

إن ظهور الشرك في الربوبية في هذه الأمة من أعظم المصائب، والرزايا في أعظم المطالب -توحيد الله ﷻ- ولعلَّ هذا مما أشار إليه النبي ﷺ لما قال: «إنه لم يكن نبيٌّ قبلي إلا كان حقّاً عليه أن يدل أمّته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها»[١]، ومن أعظم ذلك الشرك بالله ﷻ ، ولعلَّ من أوائل ظهوره في هذه الأمة لما دخل عبد الله بن سبأ اليهودي[٢] في الإسلام ظاهراً، وادّعى في علي بن أبي طالب رضي الله عنه الألوهية، حتى حرّق عليٌّ رضي الله عنه اتباعه بالنار، وخرجت على أثره المذاهب الباطنية التي ادعت الربوبية في غير الله ﷻ، وكذلك فرق الروافض جعلوا خصائص الربوبية لأئمتهم الإثني عشر، وأيضاً المتصوفة الطرقيّة فعندهم شرك في الربوبية عظيم -كما سيأتي إن شاء الله ﷻ -[٣].

وأيضاً في هذه الأزمان المتأخرة ظهور لون آخر من الشرك في الربوبية المتمثل بالإلحاد، وإنكار وجود الله ﷻ، من جراء عاصفة المذاهب الفكرية

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة، الأول فالأول، رقم الحديث:(١٨٤٤).

(٢) عبد الله بن سبأ _ توفي عام ٤٠هـ _ أصله من اليمن، قيل: كان يهودياً فأظهر الإسلام، من غلاة الزنادقة وأول من أظهر مذهب الرفض، وإليه تنسب الطائفة السبئية. ينظر: (تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٩/ ٣، والأعلام ٤/ ٨٨).

(٣) ينظر صفحة: ٣٤١.

المعاصرة التي اكتسحت بلداناً كثيرة، وظهر السبّ، والشتم الصريح لجناب الربوبية، وكذلك المدارس الأدبية الإلحادية التي غزت بلدان المسلمين، وأظهرت الشرك في الربوبية على هيئة روايات، وقصص، وهراء من القول يسمّونه: شعراً، فما أحوج الناس إلى تعليمهم التوحيد، وتذكيرهم به، والتحذير من ضده.

الفصل الأول:

الشرك في الربوبية باتخاذ الأنداد في الذات

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الشرك في الربوبية عند الصوفية.

المبحث الثاني: الشرك في الربوبية عند الفرق الباطنية، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك في الربوبية عند النصيرية.

المطلب الثاني: الشرك في الربوبية عند الدروز.

المطلب الثالث: الشرك في الربوبية عند الإسماعيلية.

المطلب الرابع: الشرك في الربوبية عند الرافضة.

المبحث الثالث: الشرك في الربوبية عند الطوائف المنتسبة للإسلام في العصر الحديث، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الشرك في الربوبية عند القاديانية.

المطلب الثاني: الشرك في الربوبية عند البهائية.

المطلب الثالث: الشرك في الربوبية عند البابية.

توطئة:

الشرك في الربوبية باتخاذ الأنداد في الذات، المراد به: هو جعل ندٍّ لله ﷻ، وسميٍّ له من جميع الوجوه، بأن يجعل خصائص الربوبية التي لا يُوصف بها إلا الله ﷻ، لأحدٍ من الخلق، مثل الخلق، والرَزق، والتدبير، والتصرف في الكون، ونحو ذلك.

والندُّ هو العِدل والمثل والنظير[١]، وذلك كشرك النصارى الذين جعلوا الله ﷻ ثالث ثلاثة، وكشرك المجوس القائلين بإلهين، وكذلك شرك القدرية القائلين: أن العبد يخلق فعل نفسه، وكذلك شرك الفرق الباطنية في أئمتهم، وعقيدتهم في العقول، والكواكب، وكذلك شرك المتصوفة الطرقية الذي جعلوا لبعض البشر خصائص الربوبية ممن يسمونهم: الأوتاد، والأقطاب، والأبدال، والنجباء[٢].

ولهذا أصل الشرك في التوحيد هو اتخاذ الأنداد، قال ابن القيم: «حقيقة الشرك هو التشبه بالخالق، والتشبيه للمخلوق به»[٣].

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ٩/ ٢١٦، ولسان العرب ٣/ ٤١٣.

(٢) ينظر كتاب تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/ ٩٣.

(٣) الجواب الكافي، ص: ٩٤.

المبحث الأول:

الشرك في الربوبية عند الصوفية.

المبحث الأول: الشرك في الربوبية عند الصوفية.

المراد بالصوفية في هذا المبحث، هي الصوفية التي ابتدعت طقوساً، وعبادات ما كتبها الله ﷻ عليهم، وضارعت الديانات، والفلسفات القديمة في كثير من أفكارها، وأعادت الوثنية، والخرافة إلى بلاد المسلمين جَذَعَةً، وتفرقت طرائق قِدداً.

ومصطلح التصوف، والصوفية، صار عَلَماً على طوائف معينة، التزمت سلوكيات فرضتها على أتباعها، وهذا المصطلح ظهر «أول ما ظهر في الكوفة بسبب قُربها من بلاد فارس، والتأثُّر بالفلسفة اليونانية بعد عصر الترجمة، ثم بسلوكيات رهبان أهل الكتاب»[(١)]، ولا ريب أنَّ هذا التأثر قد خلّف وراءه كثيراً مما يخالف الإسلام، بل يناقض أصوله.

وظهور التصوف ذي الرهبانية الخرافية، الذي يكرِّس ثقافات الديانات والفلسفات القديمة، يرى بعض الباحثين أنه خرج من بلاد فارس في بادئ أمره، ومما يؤيّد هذا، أنَّ التصوف قد شابه كثير من وثنيات الفلسفات الفارسية، والهندية، واليونانية، الذي أصبح مزيجاً منها، و«المطلع على الحركة الصوفية من أول نشأتها إلى حين ظهورها العلني...يجد أن أساطين الفكر الصوفي جميعهم بلا استثناء في القرن الثالث، والرابع الهجري كانوا من الفرس، ولم يكن فيهم عربي قط...وساعد على انتشارها في فارس أن أقام

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١/ ٢٥١.

رجل يدعى: أبا سعيد الميهي نظاماً خاصاً للخانات الذي أصبح فيما بعد مركزاً خاصاً للصوفية، وقلده في ذلك عامة رجال التصوف، ومن هنا نشأت في منتصف القرن الرابع الهجري بدايات الطرق الصوفية التي سرعان ما انتشرت في العراق، ومصر، والمغرب، وفي القرن السادس ظهرت مجموعة من رجال التصوف كل منهم يزعم أنه من نسل رسول الله ﷺ حيث استطاع كل منهم أن يقيم له طريقة صوفية خاصة، وأتباعاً مخصوصين»(١).

والتصوف في واقعه يحمل أسباباً كثيرة في نشأته، ولكن قد يكون لبعض الأشخاص إسهامات كانت نواةً لما هو دخيل على المسلمين في عقائدهم، التي من أعظمها تجديد أنصاب الشرك بربوبية الله ﷻ، وفي تاريخ التصوف يُرى اسم أبي سعيد الميهي الفارسي سبباً في طقوس صوفية خرافية وثنية(٢).

شرك الصوفية في الربوبية:

وشركهم في الربوبية بالأنداد يتمثل في اعتقادهم في الرسل، والأولياء، والصالحين، إما باعتقاد صفات الربوبية في أحدهم على الإطلاق، فيجعلونه لله ﷻ ندّاً، وإما باعتقاد بعض صفات الربوبية، وذلك على النحو التالي:

---

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٤.

(٢) ينظر: الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ص٢٧٣.

أولاً: اعتقاد صفات الربوبية على الإطلاق في نبينا محمد ﷺ، ووصفه بما لا يجوز أن يُوصف به إلا الله ﷻ، ومن ذلك أن أحد الصوفية ألف كتاباً سماه: الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، جعل صفات الله ﷻ كلها للنبي محمد ﷺ، وهو بذلك الصنيع قد جعل مع الله ﷻ ربّاً آخر![1].

والصوفية الغلاة اخترعوا مصطلحاً ضمنوّه ربوبية نبينا محمد ﷺ، وهذا المصطلح سمّوه: "الحقيقة المحمدية، أو الإنسان الكامل".

ومما يدخل في معناه –عندهم– أنَّ الربَّ بصفاته قد حلَّ في نبينا محمد ﷺ، وهذا المعتقد من أجلى صور اعتقاد خصائص الألوهية، والربوبية لنبينا محمد ﷺ[2].

وهكذا المتصوفة الغالية المعاصرة يجعلون مقام نبينا محمد ﷺ في مرتبة الربوبية، ويصفونه بما يصف به المؤمنون ربهم ﷻ، ولهم غلوٌّ فاحش في مقام النبي ﷺ، كما أنَّ لهم في ذلك كلاماً مأخوذاً من الفلاسفة الوثنيين[3].

---

(١) ينظر: الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، لعبد الكريم الجيلي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، طبعة عالم الفكر.

(٢) ينظر: حقيقة العبادة عند ابن عربي، ص٥٨، ومحبة الرسول ﷺ بين الاتباع والابتداع، ١٦١، والكشف عن حقيقة الصوفية، ٢٦٣.

(٣) ينظر: الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، لعبد القادر الجيلي، الكتاب بكامله، وكتاب الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص١٠٥، والبريلوية عقائد وتاريخ، ص٥٥، وأيضاً من كتب الصوفية المعاصرة: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، للنبهاني، فقد شحن كتابه بشبهات تجيز التوسل بالنبي ﷺ، ودعاءه، =

وأما احتفالات الصوفية بما يسمّونه: المولد النبوي، فحدّث، ولا حرج من أنواع الشركيات، والإطراء، والمديح بالقول المنثور، والأشعار، والقصائد، حتى جعلوا النبي ﷺ في مقام الربوبية، ومن أجلى ذلك وأظهره قصيدة البردة المشهورة التي يتلونها في احتفالاتهم، وكأنّما هي وحي يتلى، بل ويعتقدون فيها النفع، ودفع الضرّ[1].

ثانياً: أنَّ شركهم، وغلوهم في الأولياء، والصالحين أمر عظيم، وشرك غليظ، ولقد تواتر عنهم في كتبهم، ومقالاتهم، وأحوالهم، وتربيتهم لمريديهم، هذا الشرك في ربوبية الله ﷻ.

وقد ظهر أن غلوهم في نبينا محمد ﷺ إلى حدٍّ أن جعلوه في مقام الربوبية، مقدمة للغلو في أوليائهم، لأنهم يجعلون الولاية فوق مرتبة النبوة، ويُفضلون الولي على النبي[2]، وإذا كان الأمر كذلك فكل ما جعلوه للنبي ﷺ نقلوه إلى الولي، لا سيما طرق الصوفية المتأخرة.

والمتصوفة جعلوا من يسمونهم: الأقطاب، والأوتاد، والأبدال، والأولياء، أرباباً لهم من دون الله ﷻ، ووصفوهم بما يُوصف به الله ﷻ،

=

والتوسل به من دون الله ﷻ.

(١) ينظر: الكواكب الدرية في مدح خير البرية ﷺ، المساة بالبردة، ص٦٧، وكتاب المدائح النبوية في الأدب العربي، لزكي مبارك، ص١٩٧، وحقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، ص١٧٦ - ١٨٥.

(٢) ينظر: فصوص الحكم، لابن عربي ١/ ٦٢.

وملأوا كتبهم قصصاً تصف من وصفوهم بالولاية بتدبير الكون، والتصرف فيه، وجاء من بعدهم من أصحاب الطرق الصوفية المختلقة، بادّعاء الإحياء، والإماتة، والرَزق، وجميع أنواع االتدبير لشيوخهم(١).

ومن أمثلة ذلك ما يلي:

من المتصوفة من يدّعي لنفسه الربوبية بكل جرأة، كما ادّعاها إمامهم في الكفر والضلالة –فرعون– إذ قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[النازعات: ٢٤]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تارة يدعي أحدهم المهدية، أو القطبية، ويقول: أنا القطب الغوث الفرد الجامع، ويدخل في هذه الأسماء ما هو من خصائص الربوبية، مثل كونه يعطي الولاية من يشاء، ويصرفها عمن يشاء»(٢).

وهذا شيخ الطريقة التيجانية -أحمد التيجاني- التي لها انتشار واسع في أفريقيا، يقول عن درجة القطبانية الصوفية التي جعل لها أوصاف الربوبية: «حقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقاً في جميع الوجود، جملة، وتفصيلاً، حيثما كان الربّ إلهاً كان هو خليفة في تصريف الحكم، وتنفيذه، في كل ما عليه ألوهية الله، ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق، والخلق، فلا يصل إلى الخلق شيئ كائناً ما كان من الحق إلا بحكم القطب»(٣).

وهذا قد جعل كل ما لله ﷻ من صفات الربوبية لمن يسمّيه: القطب!

---

(١) ينظر: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، ص٥٥.

(٢) بغية المرتاد، ص٣٩٣، وانظر: تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/ ٧٣.

(٣) جواهر المعاني في فيض أبي العباس التيجاني ٢/ ٨٠.

فتعالى الله عما يشركون.

ويقول أحد الصوفية متحدثاً عن نفسه:«الأرض بيدي كالإناء الذي آكل فيه، وأجساد الخلائق، كالقوارير، أرى بواطنهم»(١).

بل غلاة الصوفية ذهبوا إلى ما هو أعظم كفراً، وأشنع شركاً، إذ اعتقدوا ربوبية كل شيءٍ، وذلك على مذهب وحدة الوجود، فزعموا أنَّ المخلوق هو عين الخالق، وأنَّ من عبد أيَّ شيء فقد عبد الله ﷻ، ولذلك صحّحوا دين عبّاد الأصنام، والأوثان، وسائر أجناس الوثنيين، وصوّبوا قول سلفهم فرعون حين قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات: ٢٤]، وهؤلاء كل شيء –عندهم– ربٌّ، وتجلٍ من تجلّياته، وهذا شرك بربوبية الله ﷻ في غاية الشناعة، لم يُذكر عن أحدٍ غيرهم، اللهم إلا الهندوسية، كما تقدم في عقيدتهم في وحدة الوجود(٢).

(١) الطبقات الكبرى ٢/ ٩٤.

(٢) ينظر صفحة: ١٥٨.

المبحث الثاني:

الشرك في الربوبية عند الفرق الباطنية
وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الشرك في الربوبية عند النصيرية.
المطلب الثاني: الشرك في الربوبية عند الدروز.
المطلب الثالث: الشرك في الربوبية عند الإسماعيلية.
المطلب الرابع: الشرك في الربوبية عند الرافضة.

المطلب الأول: الشرك في الربوبية عند النصيرية.

شرك الطائفة النصيرية في الربوبية يتمثّل في جعل جميع خصائص الربوبية لما سوى الله ﷻ، وهذا شركٌ في الربوبية بالأنداد في الذات.

وقد اتخذوا عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه ربّاً لهم من دون الله ﷻ، وجعلوا له أوصاف الربوبية، وزعموا أنَّ له جانباً لاهوتياً، وجانباً ناسوتياً، أي: جانباً ربّانياً، وجانباً بشرياً[1]، وأنه إمام في الظاهر، وإله في الباطن، لم يلد، ولم يولد، ولم يقتل، ولم يمت، وكذلك زعموا لسائر أئمتهم ما اعتقدوه في عليٍّ رضي الله عنه من الربوبية المطلقة[2].

ومن الأمثلة على معتقدهم هذا ما ذكره ابن كثير في حوادث عام سبع عشرة وسبعة مائة للهجرة، بقوله: «خرجت النصيرية عن الطاعة، فأقاموا من بينهم رجلاً سموه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله، وتارة يدعي أنه علي بن أبي طالب فاطر السموات، والأرض -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- وتارة يدعي أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد، وصرح بكفر المسلمين، وأن النصيرية على الحق، واحتوى هذا الرجل على عقول كثير من كبار النصيرية الضلال...وحملوا على مدينة جبلة، فدخلوها، وقتلوا خلقاً من أهلها،

---

(١) ولعلَّ ذلك مما تأثرت به النصيرية من النصرانية في اعتقادهم في عيسى عليه السلام.

(٢) ينظر: كتاب الهفت الشريف، ص ٩٦، والباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية، ص٧، وص٦٠، وكتاب طائفة النصيرية تاريخها وعقائده، ص ٤٦، وكتاب الإسلام في مواجهة الباطنية، ص١١٢.

وخرجوا منها يقولون: لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان، وسبوا الشيخين، وصاح أهل البلد: واإسلاماه، واسلطاناه، واأميراه، فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد، وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله ﷻ، فجمع هذا الضال تلك الأموال فقسمها على أصحابه وأتباعه -قبحهم الله أجمعين- وقال لهم: لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة، ولو لم يبق معي سوى عشرة نفر لملكنا البلاد كلها.

ونادى في تلك البلاد: إن المقاسمة بالعشر لا غير ليرغب الفلاحين فيه، وأمر أصحابه بخراب المساجد، واتخاذها خمارات، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين: قل: لا إله إلا علي، واسجد لإلهك المهدي الذي يحيي ويميت حتى يحقن دمك، ويكتب لك فرمان[1]»[2].

وهم كذلك في كلِّ زمن يرون أنَّ ربّهم هو من تولّى عليهم من حكامهم[3].

وفي هذه الأزمان المتأخرة أيضاً حينما كانت لهم سلطة،وسطوة، لا يبالون حين يجاهرون بدّعوى الربوبية فيمن تولّى عليهم من حكامهم النصيريين، على أنهم يتكتّمون أشد الكتمان، فلا يبحون بشيء من عقائدهم إلا على فلتات ألسنتهم[4].

---

(١) الفرمان هو كتاب الأمان.

(٢) البداية والنهاية ١٨/ ١٦٨.

(٣) ينظر: خطط الشام ٦/ ٢٦٠.

(٤) ينظر: الطائفة النصيرية تاريخها وعقائدها، ص٤٣-٥٣، وصفحة: ١١٧.

المطلب الثاني: الشرك في الربوبية عند الدروز.

الدروز لهم حظ وافر من الشرك بالربوبية بالأنداد في الذات، وذلك حين ادّعوا الربوبية للمنصور بن العزيز بالله، الملقب بالحاكم بأمر الله الفاطمي، وأنَّ له حقيقة لاهوتية، لا تدرك بالحواس، ولا الأوهام، ولا تعرف بالرأي، ولا القياس، ويرونه إلهاً واحداً أحداً لا شريك له، ولا ولد، وذلك منهم على الطريقة الباطنية، وهم في واقعهم يكفرون بجميع الملل، والديانات(١).

وطائفة الدروز لهم شأن عجيب في تعميد الشخص حتى يكون درزياً، فلا يكون في مذهبهم حتى يغمسوه في الشرك من هامته إلى أخمص قدميه، وتأمل هذا الميثاق الذي لا بدَّ أن يتلوه كل درزي ليكون درزياً:

«توكلت على مولانا الحاكم الأحد، الفرد الصمد، المنزه عن الأزواج والعدد، أقرَّ فلان بن فلان إقراراً أوجبه على نفسه، وأشهد به على روحه، في صحة من عقله، وبدنه، وجواز أمره طائعاً غير مكره، ولا مجبر، أنه قد تبرأ من جميع المذاهب، والمقالات، والأديان، والاعتقادات، كلها على أصناف اختلافاتها، وأنه لا يعرف شيئاً غير طاعة مولانا الحاكم جلَّ ذكره، والطاعة: هي العبادة، وأنه لا يشرك في عبادته أحداً مضى، أو حضر، أو ينتظر، وأنه قد

---

(١) ينظر: كتاب مذهب الدروز والتوحيد، ص٣٨، والحركات الباطنية الإسلامي عقائدها وحكم الإسلام فيها، ص ٢٢٣، وكتاب الموحدون الدروز في الإسلام، ص٦٧، وفرق معاصرة تنتسب للإسلام وموقف الإسلام منها ٢/ ٦١٢، وكتاب مذاهب فكرية معاصرة، ص٢٨٠.

سلم روحه، وجسمه، وماله، وولده، وجميع ما يملك لمولانا الحاكم جلَّ ذكره، ورضي بجميع أحكامه له، وعليه، غير معترض، ولا منكر لشيء من أفعاله، ساءه ذلك أم سرّه؟ ومتى رجع عن دين مولانا الحاكم جلَّ ذكره الذي كتبه على نفسه، وأشهده على روحه، أو أشار به إلى غيره، أو خالف شيئاً من أوامره، كان بريئاً من الباري المعبود، وحُرِم الإفادة من جميع الحقوق، واستحق العقوبة من الباري العلي جل ذكره، ومن أقر أنه ليس في السماء إله معبود، ولا في الأرض إمام موجود، إلا مولانا الحاكم جلَّ ذكره، كان من الموحدين الفائزين»(١).

وسبحان الله! كيف بلغ الشيطان بهؤلاء إلى هذا الدرك من الوثنية، والشرك الذي فاقوا به وثنية الجاهلية، وشركها؟.

ويزيد من خطورة هذا الشرك، أنَّ هذه الطائفة لها انتشار في بلاد الشام، يبلغ عددهم مئات الألوف، ولهم نشاط في ديانتهم بإظهار بعض طقوسها، ولهم مواقع للتواصل مع عموم الناس عبر وسائل الاتصال الحديثة، ومع هذا الشرك، يسمّون أنفسهم: الموحدين، وأهل التوحيد! ولهم مواقع عبر الشبكة العنكبوتية يمارسون فيها التقية من أكذب وجوهها(٢).

---

(١) رسائل الحكمة، ص٤٧ –من أهم كتب الدروز الدينية– وفيه من الشركيات والوثنيات شيء في غاية العجب.

(٢) ينظر: دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، ص٢٠٢، وهذا رابط موقعهم بتاريخ ١٥/ ١/ ١٤٣٦هـ: http://almowahidin.orgfree.com/.

المطلب الثالث: الشرك في الربوبية عند الإسماعيلية.

الإسماعيلية تُعتبر أسّ الفرق الباطنية التي تفرّقت منها نحلهم ومذاهبهم، لتجعل لكل شيء ظاهراً وباطناً، فجعلت التوحيد الذي بعث الله ﷻ من أجله الرسل شركاً، وجعلت الشرك الظاهر توحيداً، وديانةً!.

وقد جعلوا عقيدتهم مبنيةً على الإيمان بالعقول العشرة، والاعتقاد فيها الربوبية، ووصفوها بما لا يليق وصفه إلا بالله ﷻ [١].

وكتبهم التي تشرح ديانتهم تقرّر هذا، وقد خلطوه ببعض ما اقتبسوه من ألفاظ القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبعض الأدعية المأثورة، فصحيفة الصلاة -عندهم- فيها من هذا الشرك ما هو محلُّ العجب، إذ كيف ينتسبون إلى الإسلام مع هذه الوثنية الخرافية؟[٢].

والإسماعيلية المعاصرة كأسلافهم في اعتقادهم أنَّ العالم خُلق بواسطة العقل الكليّ الذي وصفوه بصفات الربوبية، وأيضاً اعتقادهم في الأئمة المستورين، إذ يزعمون أنَّ العقل الكلي قد حلَّ في أئمتهم، فأئمتهم آلهة بحلول الإله فيهم، ووصفوا أئمتهم بما لا يليق وصفه إلا بالله ﷻ.

والإسماعيلية في العصر الحديث، على اختلاف طوائفهم، يقدسون

---

(١) ينظر صفحة: ٢٧٧.

(٢) ينظر: صحيفة الصلاة للأولاد -من كتب الإسماعيلية- وهذه الصحيفة مكونة من جزأين، وفيها الشرك الأكبر بالله في ربوبيته وألوهيته.

أئمتهم، ويجعلون لهم صفات الربوبية، ويتخذونهم أرباباً من دون الله ﷻ[(١)].

والناظر في كتب الإسماعيلية ومكاتباتهم وردودهم على خصومهم وأحوالهم -وبصفة أدق- في اعتقادهم العملي في قضية الإيمان بالله ﷻ، يجد أن اعتقادهم في الله ﷻ ليس إلا كتابةً بأقلامهم في كتبهم، وما سوى ذلك فلا حقيقة له عندهم، فكل ما لله ﷻ من حق جعلوه لإمامهم المستور، وذلك بالتأويل الباطني لكلِّ حق الله ﷻ، حتى أركان الإسلام الخمسة حرفوها إلى عبادة الإمام، وولايته، ومعرفته، فالركن الأول من أركان الإسلام، وهو شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، أوّلوه على الطريقة الباطنية بولاية الإمام، وكذلك الصلاة التي هي صلة بين العبد، وربّه، جعلوها صلة بين العبد، والإمام، يقول أحد علمائهم: «والصلاة بالحقيقة هي الاتصال بالإمام...لا صلاة لمن شك في إمام عصره»[(٢)]، وكذلك الزكاة أولوها بمعرفة الإمام[(٣)]، وهكذا سائر شرائع الإسلام صرفوها إلى حق الإمام[(٤)].

ومما تقدم فكل حق لله ﷻ في ربوبيته، وألوهيته، أولوه تأويلاً باطنياً لأئمتهم، ليكون إمامهم في الحقيقة هو ربّهم المعبود.

---

(١) ينظر: كنز الولد من كتب الباطنية، ص٢٢٠، وأصول الإسماعيلية، ص٤٩٩، والحركات الباطنية في العالم الإسلامي، ص،٨٥.

(٢) كنز الولد، ص٢٨٦.

(٣) ينظر: الهفت الشريف، ص٤٠.

(٤) ينظرك: الشيعة الإسماعيلية، رؤية من الداخل، ص١٠١.

المطلب الرابع: الشرك في الربوبية عند الرافضة.

الرافضة الإمامية الجعفرية هي من أبرز الفرق الباطنية المعاصرة، ولها نشاط مستميت في الدعوة إلى مذهبها، لا سيما بعد ثورة الخميني في إيران التي وصفها زوراً بالثورة الإسلامية، وهذا المذهب يعتبر امتداداً لمذهب السبئية[١]، أصحاب عبد الله بن سبأ اليهودي، وهو أول من وضع اللبنات الأولى له.

وهذا المذهب الباطني مبنيٌّ على الغلو الشديد في آل البيت، وخاصّة في علي بن أبي طالب، وفاطمة -رضي الله عنهما- وكذلك ذريتهما من بعدهما، ولذلك «قال المحققون من أهل السنة: أن ابن السوداء[٢] كان على هوى دين اليهود، وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته في عليٍّ وأولاده، لكي يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى في عيسى عليه السلام»[٣]، وكذلك الأمر عند الرافضة فإنهم قد غلو في آل البيت حتى اتخذوهم أرباباً لهم من دون الله ﷻ، ومن أمثلة ذلك ما يلي:

أن هؤلاء يعتقدون أنَّ الإمام ربٌّ يسكن الأرض، كما جاء في بعض رواياتهم فيما نسبوه كذباً، وزوراً إلى عليٍّ رضي الله عنه أنه قال: « أنا رب الأرض الذي

---

(١) هم اتباع عبد الله بن سبأ، الذي قال لعلي بن أبي طالب: أنت أنت، يعني الإله، ومن عقائدهم أن عليا لم يمت، وأنه خاتم الأوصياء. ينظر: (الملل والنحل، ص ٢٠٤، والتبصير في الدين، ص ١٢٣).

(٢) هو عبد الله بن سبأ.

(٣) الفرق بين الفرق، ص ١٧٥.

يسكن الأرض به»[١]، ويردّون صريح قول الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾ [الرعد: ١٦].

وكذلك يقولون في تفسير قول الله ﷻ: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]، إذ قلبوا التوحيد الذي أمر الله ﷻ به في القرآن الكريم إلى جعل الإمام هو الرب: «يعني التسليم لعلي ﵁، ولا يشرك معه في الخلافة من ليس له ذلك، ولا هو من أهله»[٢].

وهذا إمامهم في هذا الزمن المعاصر صاحب فكرة الولي الفقيه – الخميني– يقول في قول الله ﷻ: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد: ٢]: «أي ربكم الذي هو الإمام»[٣] –تعالى الله عما يقول المشركون علوّاً كبيراً– بل قال ما هو أعظم كفراً، وأشدُّ شركاً: «فوجب لا محالة، بحكم القضاء السابق الإلهي، والعناية الرحمانية، وجود خليفة جامع لجميع الصفات الربوبية، وحقائق الأسماء الإلهية، ليكون مظهراً لاسم الله الأعظم، بالجملة لمّا كان كل ما في الكون آية لما في الغيب، لابد وأن يكون لحقيقة العين الثابتة الإنسانية، أي العين الثابتة المحمدية، ولحضرة الاسم الأعظم مظهر في العين، ليظهر الأحكام الربوبية ويحكم على الأعيان

---

(١) مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، ص ٥٩.

(٢) تفسير الرافضي العياشي ٢/ ٣٥٣.

(٣) مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، ص١٥٥.

الخارجية، حكومة الاسم الأعظم على سائر الأسماء، والعين الثابت للإنسان الكامل على بقيّة الأعيان .فمن كان بهذه الصفة، أي الصفة الإلهية الذاتيّة، يكون خليفة في هذا العالم، كما أن الأصل كان كذلك»[1].

فالخميني يقرر بوجوب الخليفة الجامع لجميع الصفات الربوبية، والجامع لجميع حقائق الأسماء الإلهية!.

وشركياتهم في هذا الباب أكثر من أن تحصر.

---

(١) مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، ص١٥٠.

المبحث الثالث:

الشرك في الربوبية عند الطوائف المنتسبة للإسلام في العصر الحديث

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول: الشرك في الربوبية عند القاديانية.
المطلب الثاني: الشرك في الربوبية عند البهائية.
المطلب الثالث: الشرك في الربوبية عند البابية.

المطلب الأول: الشرك في الربوبية عند القاديانية.

القاديانية من الفرق الباطنية الحديثة التي تظهر بعض شعائر الإسلام ظاهراً، وتمارس حربه الضروس من الباطن، وقد خرجت من رحم الاستعمار الإنكليزي بالهند، على يد المدعو: غلام أحمد القادياني، وأدى هذا الغلام للاستعمار الإنكليزي خدمات جليلة في تثبيت احتلالهم للهند، بدعوى أنهم خلفاء الله ﷻ، وظله في أرضه، لا يجوز حربهم، ولا قتالهم، ودخل كثير من جهلة المسلمين في طاعته بالإغراء والتحريض، وما زالت هذه الفرقة تجد مكانها في كثير من بلاد العالم، وتجد الدعم المالي، والمعنوي من القوى الاستعمارية، باعتبارها أداةً لحرب الإسلام من داخله، وما زال أيضاً لها المنظّرون الذين يخدعون الناس بأنَّ هذه الطائفة تحمل لواء التجديد والإصلاح الديني، كما لهم مواقع على الشبكات العنكبوتية العالمية، ولها مراكزها، وأماكن تجمّعها، ويطلق عليها مع لقب القاديانية: الأحمدية(١).

وهذا الغلام أحمد كان ماكراً بخدعه بسطاء المسلمين بدعواه التجديد، والإصلاح، ثم تدرج إلى أنه شخص مُلهم من الله ﷻ، يأتيه الإلهام، وأنه صاحب علم باطني، حتى زعم لنفسه أنه هو المهدي المنتظر، والمسيح الموعود، فكانت هذه الدعوى مرقاةً له إلى زعم النبوة لنفسه، وأنَّه نبيٌّ مرسل يوحى إليه، ولكنه ليس نبيّاً مستقلاً، ولكن نبيٌّ تابع كهارون من موسى -عليهما السلام- إلى أن آل به الأمر إلى دعوى النبوة، والرسالة استقلالاً، وهذا كله

---

(١) ينظر: القاديانية دراسة وتحليل، ص١٩.

مقدمات لما هو أفحش من ذلك، حتى ادّعى لنفسه مقالةً لم تُذكر عن غيره، فقال هذا المتنبي الكذاب: أن الله ﷻ قال له: «أنت من مائنا»[(١)] -تعالى الله وتقدس-، وكذلك زعم أنه ابن الله -تعالى وتقدس- يقول هذا الأفاك الأثيم: «قال لي الرب: أنت مني، وأنا منك، ظهورك ظهوري، ويقول: إن الله نزل فيَّ، وأنا واسطة بينه وبين المخلوقات كلها»[(٢)]، وله في ذلك كلام في غاية الفحش والكذب على الله ﷻ، ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ [الشورى: ٥].

والقاديانية يعتقدون أنَّ غلام أحمد القادياني هو عين الله ﷻ، فجعلوه ندّاً لله ﷻ من جميع الوجوه، فبعد دعوى الإصلاح والتجديد والمهدوية، ودعوى النبوة والرسالة، جعل نفسه بمنزلة الربوبية.

ومع هذه المعتقدات التي هي غاية في الكفر والشرك بالله ﷻ، فإنَّ لهذه النحلة الشركية نشاطاً في الدعوة إلى مذهبها في العالم، ولها قنوات تلفزيونية بأكثر من خمس عشرة لغة من بينها اللغة العربية، وهي اليوم تسمّي نفسها: الجماعة الإسلامية الأحمدية[(٣)].

---

(١) القاديانية دراسة وتحليل، ص١٠٠.

(٢) القاديانية دراسة وتحليل، ص١٠٠، وينظر: القاديانية، للدكتور عامر النجار، ص٦، والموسوعة الميسرة ١/ ٤١٦.

(٣) ينظر: القاديانية، ص٧٧، والأحمدية عقائد وأحداث، ص٤.

المطلب الثاني: الشرك في الربوبية عند البهائية.

البهائية نحلة باطنية خرجت من المذهب الجعفري الرافضي بإيران على يد المدعو: حسين علي المازندراني، وقد ادعى أنَّه هو ربهم، بعد أن خدع الجهلة من الناس بأنه المهدي المنتظر، ثم المسيح الموعود، حتى ادّعى الربوبية لنفسه كما قال سلفه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وأعلن ذلك في كتبه ومخاطباته صراحةً -أخزاه الله- وأتباعه البهائيون يقرّون له بذلك، وسلّموا له فيما ادّعاه.

وهؤلاء البهائية يعبدون البهاء عبادة حقيقية، ويدينون بربوبيته، وألوهيته، وإذا ذكروا اسمه -البهاء- قالوا: ربنا، ويذيّلونه بقولهم: ":جلَّ اسمه، وعزَّ ذكره" ويقول أحد البهائيين الإيرانيين عن البهاء المازندراني: هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس -ويختم قوله- سبحان الله عما يشركون[1].

وهم بذلك قد جعلوا البهاء ندّاً لله ﷻ من جميع الوجوه، وقد اتخذوه ربّاً لهم من دون الله ﷻ.

والبهائيون لهم شريعة خاصة بهم، وهم من أواخر الفرق الباطنية المعاصرة، وما زال لهم انتشار ووجود في بعض البلاد الإسلامية، شأنها شأن الفرق الباطنية الأخرى[2].

---

(١) البهائية نقد وتحليل، ص٧٤، وينظر: البهائية وجذورها البابية، ص٥٣، والموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ١/ ٤١٢.

(٢) ينظر: البهائية نقد وتحليل، ص٦١، ومجلة المنار ١٣/ ٧٨٩.

المطلب الثالث: الشرك في الربوبية عند البابية.

والبابية هي أساس البهائية، غير أنَّ البهائية زادت عليها عقائد إلحادية، لتكمل مسيرتها، فالبابية أصل، والبهائية فرع، ولذلك كلما كان الشرك أفحش كان أظهر في زيفه، وبطلانه، لتعارضه مع الفطرة البشرية، ولكن إذا كان شركاً خفيّاً، وملبّساً لبوس الحق، كانت الفتنة به أعظم.

وزعيم البابية الذي يطلقون عليه لقب: الباب، وهو علي محمد رضا الشيرازي، قد مهّد لدعوى الربوبية لنفسه أنه زعم أنَّ الله ﷻ خارج عن حيّز الإدراك، ولا يعرفه أحد غيره، وإنما المراد من معرفة الله ﷻ معرفة مظهره الذي يظهر بصورته، وكل شيء يُوصف به الله ﷻ، إنما الذي يُوصف به مظهره في الحقيقة.

ثم زعم لنفسه أنَّه هو المظهر عن الله ﷻ، وأنَّه هو الحقيقة الإلهية التي ظهرت من قبل في الأنبياء، والرسل، فهو آدم في زمن آدم، ونوح في زمن نوح، وإبراهيم في زمن إبراهيم، وعيسى في زمن عيسى، وهكذا في جميع الرسل -صلوات الله عليهم-[(١)].

وظهور الباب هو الظهور الأخير، وعلى ذلك فهو الأول، والآخر!.

والبابيون يعتقدون أنَّ أرفع مراتب الحقيقة الإلهية حلّت في شخص الباب حلولاً مادّياً جثمانياً.

فالبابية يعتقدون حلول الله -تعالى عما يقولون علوا كبيرا- في البشر،

---

(١) ينظر: البابية وجذورها البهائية، ص٤١.

وقد حلَّ في الباب، وعلى ذلك فالباب -عندهم- هو ربّهم، من جهة الحلول، فاتخذوه ندّاً لله سبحانه وتعالى[(١)].

---

(١) ينظر: البابية نقد وتحليل، ص١٩٧، والنصيحة الإيمانية في كشف فضائح البابية والبهائية، ص٤١، والموسوعة الميسرة ١/ ٤٠٩.

الفصل الثاني:

الشرك في الربوبية باتخاذ الأنداد في الصفات والأفعال وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الشرك في الربوبية بادعاء بعض صفات الخالق ﷻ للمخلوق.

المبحث الثاني: الشرك في الربوبية بادّعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ.

المبحث الثالث: الشرك في الربوبية بالتسوية بين الخالق ﷻ والمخلوق في الألفاظ.

المبحث الرابع: الشرك في الربوبية بنسبة إيجاد النعمة لغير الله ﷻ.

المبحث الأول:

الشرك في الربوبية بادعاء بعض صفات الخالق ﷻ للمخلوق

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الشرك في الربوبية بادعاء صفة القدرة المختصة بالله ﷻ لبعض الخلق، وفيه فرعان:

الفرع الأول: ادعاء التصرف المطلق في أحوال الآخرة.

الفرع الثاني: ادعاء التصرف المطلق في أحوال الدنيا.

المطلب الثاني: الشرك في الربوبية في صفة الحكم والتشريع، وفيه تمهيد وخمسة فروع:

تمهيد: في الحكم والتحاكم إلى غير شرع الله ﷻ.

الفرع الأول: إعطاء حق التشريع للأحبار والرهبان.

الفرع الثاني: إعطاء حق التشريع للأولياء والمشايخ.

الفرع الثالث: إعطاء حق التشريع للأنظمة والقوانين والدساتير والبرلمانات.

الفرع الرابع: دعوى عدم صلاحية حكم الشريعة الإسلامية في الزمن المعاصر.

الفرع الخامس: إعطاء الفرد حق التشريع لنفسه.

المطلب الأول: الشرك في الربوبية بادعاء صفة القدرة المختصة بالله سبحانه وتعالى لبعض الخلق، وفيه فرعان:

الفرع الأول: ادعاء التصرف المطلق في أحوال الآخرة.

الإيمان باليوم الآخر هو أحد أركان الإيمان الستة، ويتضمن ذلك الإيمان بالبعث، وإحياء الموتى، ويتضمن الإيمان بالحساب، والجزاء، والفصل بين الناس بالقضاء، ويتضمن الإيمان بالجنة، والنار.

وأحوال الآخرة كما استأثر الله سبحانه وتعالى بعلمها على حقيقتها، فكذلك استأثر بالتصرف فيها، وذلك من كمال ملك الله سبحانه وتعالى، وقدرته، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة: ٤]، وقال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦]، وفي الحديث عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ »[1].

وهذه النصوص، وغيرها تفيد أنَّ الملك، والتصرف يوم القيامة لله سبحانه وتعالى، لا يشركه فيه أحد، وذلك خصائص ربوبية الله سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار، رقم الحديث (٢٧٨٨).

ومن زعم أنَّ تصرفاً لأحدٍ من الخلق في أحوال الآخرة من دون مشيئة الله ﷻ، فقد أشرك في ربوبية الله ﷻ.

ومن ذلك في العصر الحديث ما هو من بعض عقائد الطوائف البدعية المنتسبة للإسلام من دعوى التصرف المطلق في أحوال الآخرة، وعلى سبيل المثال اعتقاد الصوفية الغالية في نبينا محمد ﷺ أنه ينجي يوم القيامة من النار ابتداءً من دون إذن الله ﷻ له بالشفاعة، فهذا شرك أكبر، لجعلهم نبينا محمداً ﷺ نداً لله ﷻ في هذا التصرف الذي لا ينبغي لغير الله ﷻ، وقد أكثر من ذلك المتصوفة ولا سيما في المدائح النبوية، كما في قصيدة البردة:

ولا التمست غنى الدارين من يـده ** إلا استلمت الندى من خير مستلم

فإن من جــودك الــدنيا وضرتها ** ومن علــومك علم اللوح والقلم[١].

فمن شركيات هذه الأبيات أنَّه جعل من جود نبينا محمد ﷺ الدنيا الآخرة وبيديه غناهما، والله ﷻ يقول: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الليل: ١٣]، وأيضاً قال تعالى على لسان رسول الله ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجن: ٢١ – ٢٢]، وقد قال النبي ﷺ لبَضْعته فاطمة -رضي الله عنها-: «يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها»[٢].

---

(١) الكواكب الدرية في مدح خير البرية ﷺ، المسماة بالبردة، ص٥١-٦٨ .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول الله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ،
=

ويقول أيضاً:

إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي ** فضلاً وإلا فقل يا زلة القـدم[١].

وفي هذا البيت ينزّل الشاعر الرسول ﷺ منزلة رب العالمين، إذ مضمونه أن الرسول ﷺ هو المسؤول، والقادر على كشف أعظم الشدائد في اليوم الآخر، والله ﷻ يقول على لسان الرسول ﷺ: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ ﴾ [الزمر: ١٣ – ١٤].

والمتصوفة يتلون هذه القصيدة في احتفالاتهم البدعية، وفي الموالد، ويتبركون بها، ويطلبون منها الشفاء![٢].

وأيضاً جعلوا لمشايخهم تصرفاً في الآخرة، وزعموا أنَّ معرفة المريد شيخه تنجيه من عذاب الله ﷻ، وتضمن له الجنة[٣].

كما أنَّ الرافضة أيضاً قد توافقت مع الصوفية في هذا الشرك، فقد ادّعت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والأئمة من ذريته، أنهم يملكون الضمان لشيعتهم بدخول الجنة[٤]، وأنَّ حساب الخلق إلى الأئمة، ولهم في ذلك روايات لفّقوها

=

رقم الحديث (٢٠٤).

(١) الكواكب الدرية في مدح خير البرية ﷺ، المسماة بالبردة، ص٦٧.

(٢) ينظر: مقدمة الكواكب الدرية في مدح خير البرية ﷺ، ص ٣.

(٣) ينظر: جواهر المعاني في فيض أبي العباس التيجاني ٢/ ١٧٦.

(٤) ينظر من كتب الرافضة في هذه المسألة: رجال الكشي ٥/ ٤٩٠.

كذباً يستخفّون بها اتباعهم[1]، وهذا اعتقاد الروافض إلى زمننا هذا، ومواقعهم ومنتدياتهم على الشبكات العالمية تعجُّ بهذا الشرك، ولذلك يزعمون أنهم بتولّيهم الأئمة يكونون من أهل الجنة، وإن كانوا من أفجر الناس، وأعظمهم فسقاً، والله ﷻ يقول: ﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦ ﴾[الغاشية: ٢٥ - ٢٦].

وكذلك عند الإسماعيلية الباطنية ما يسمّونه: "الفكاك"، وهو في اعتقادهم أنه إذا مات الميت يدفعون مبلغاً مالياً لسيدهم، ليمنحهم الفكاك من عذاب القبر، ومبلغاً آخر مقابل العتق من النار، وبعضهم يستعجل الأمر ويدفعها عن نفسه في حياته[2].

وهذا اعتقاد منهم أنَّ أسيادهم يملكون حق الغفران، والعتق من النار، وهذا من نواقض توحيد الربوبية.

---

(١) ينظر من كتب الرافضة: الفصول المهمة في أصول الأئمة ١/ ٤٤٦.

(٢) ينظر: الشيعة الإسماعيلية، رؤية من الداخل، ص٩٧.

الفرع الثاني: ادعاء التصرف المطلق في أحوال الدنيا.

التصرف المطلق في أحوال الدنيا من خصائص ربوبية الله ﷻ، وهو الذي يفيده معنى اسم الله: الربّ، فمن كمال ربوبية الله ﷻ، أنه إذا أراد شيئاً قال له: كن، فيكون، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [فاطر: ٤٤].

والتصرف في أحوال الدنيا مثل: الإحياء، والإماتة، والرَّزَق، والنفع، والضرُّ، وإنزال المطر، وحفظ العالم، والهداية، والإغاثة، وإجابة الدعاء وسماع النداء، ونحو ذلك مما يدخل في معنى اسم الله ﷻ القيوم، فمن ادّعى شيئاً من ذلك لغير الله ﷻ، وقع في الشرك الأكبر، لجعله لله ﷻ ندّاً فيما هو من خصائص ربوبيته.

وهذا النوع من الشرك قد عَظُم وكَثُرَ في أغلب الطوائف المنتسبة للإسلام، لا سيما في العصر الحديث، فشركهم في السراء والضراء، على حدٍّ سواء.

فمثلاً عند الفرق الباطنية، يعتقدون في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذريته النفعَ والضرَّ المطلق، وأنهم يديرون أمر العالم، وقد غلوا في آل البيت غلوّاً صيّرهم أعظم شركاً ممن بُعث فيهم النبي محمد ﷺ من المشركين، فيعتقدون أنَّ الربَّ هو الإمام الذي يسكن الأرض، ويتصرّف في شؤونها، فجميع ما لله ﷻ من صفات الربوبية نزّلوها على أئمتهم(١).

---

(١) ينظر من كتب الرافضة: مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار، ص٥٩.

وكذلك اعتقاد الإسماعيلية أن تدبير الكون، وما فيه إلى الكواكب السبعة، ومن ذلك أن خلق الجنين في بطن أمه من شأن الكواكب السبعة، قال أحد دعاتهم في كيفية تكوّن الجنين وتخليقه: «فلما تخطط كل صورة في غشاوة هي لها، كما شاء المصور لها جلَّ وعلا، وأحدث كل كوكب فيها شيئاً ما، تولى جزءاً من جسده، وأكسبه قوة من قواه، والمتولي لنقش الصورة عطارد بشراكة الشمس، وزحل، والقمر، فأول ما انفعل منه، القلب بقوة الشمس، ثم رجلاه بقوة زحل، ثم الرأس بقوة القمر، وعطارد يزيد في كل قوة، وهو يرسم التصوير، والزهرة تتولى التذكير، والتأنيث»[1]، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وهل مثل هذا الاعتقاد إلا معاندة لله ﷻ في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٤].

والعجب أنَّ هذه الخرافات الوثنية الجاهلية ما زال لها رواج عند أتباع هذا المذهب في بعض بلدان المسلمين[2].

وكذلك طرق الصوفية لها حظ وافر من هذا الشرك، فادعوا أنَّ النبي محمد ﷺ بيده النفع، والضر المطلق، وهذا منهم تمهيد لاعتقادهم في أشياخهم،

---

(١) كنز الولد، ص١٤٤.

(٢) ينظر: الإسماعيلية تاريخ وعقائد، ص٦٩١.

وهذا ما كان بالفعل، فقد زعموا لأشياخهم تدبير العالم وحفظه، بل ويعتقدون فيهم التدبير المطلق للكون، وذلك فيما اخترعوه من مصطلح: "القطب الغوث الفرد الجامع"، ويزعمون أنه محلُّ نظر الله ﷻ، ومنه يكون مدد الخلائق وأرزاقهم[(١)]، وفي تفسير هذا المصطلح عند الصوفية يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: « وتفسيرهم ذلك بأن مدد أهل الأرض يكون من جهته، وأن الله ﷻ إذا أنزل إلى أهل الأرض خيراً، من هدى ورزق ونصر، فإنه ينزله عليه، ثم منه يفيض إلى سائر الخلق.

وقد يدعي أحدهم أنه منه مدد ملائكة السماوات، وطير الهواء، وحيتان الماء، وأنه يعطي الملك، وولاية الله ﷻ لمن يشاء، ويصرف ذلك عمن يشاء، ونحو هذه المقالات التي تجعل للقطب نوعاً من الإلهية، والربوبية، التي لم تحصل للأنبياء»[(٢)].

ويكثر بين أتباع الصوفية الحديث عن الأولياء، ووظيفة كل واحد منهم، وهؤلاء جميعاً يجتمعون كل ليلة في غار حراء من جبل النور، ينظرون في شؤون العالم، وتصريف الكون! عبر ما يسمّونه: الحكومة الباطنية، وهذا القطب يردُّ على كل استفسار، ويتكلم بلغات العالم، ويعرف كل جنس، في خرافاتٍ لا يقضي العقل منها عجباً[(٣)].

---

(١) ينظر: من كتب الصوفية: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، ص١٠٢.

(٢) مجموع الرسائل ٢/ ٧٣.

(٣) ينظر من كتب الصوفية: كتاب الحكومة الباطنية، ص٥٥، وما بعدها، والفتوحات المكية ٣/ ٢٤٤.

وهذه القطبانية التي ابتدعوها، جعلوا مفهومها شركاً في ربوبية الله ﷻ، ومضاهاةً لما هو من خصائص الله ﷻ، ولكن لبّسوها لباساً لفظياً من الولاية أخفوا فيه هذه الشركيات الغليظة، إذ حقيقة أمرهم اعتقاد التدبير المطلق لمن سمّوه: قطباً، وغوثاً، ونحو ذلك من المسمّيات.

وهذا فضلاً عن اعتقاد النفع، والضر في مشيختهم، وأوليائهم، من إجابة الدعاء، وإغاثة المكروب، والشفاء من الأمراض، وقضاء الحوائج، مما يحكونه بزعمهم من الكرامات، وخوارق العادات التي تجري على أيدي الأولياء، ومن أمثلة ذلك أنَّ صوفياً زعم أنه التقى بالنبي ﷺ، وأسند له تدبير العالم![1] ولهم في ذلك خرافات وخزعبلات، لا أظنَّ بشراً وهبه الله ﷻ العقل يصدق بمثلها، وقد شحنوا كتبهم بهذه الشركيات التي ينشأ عليها مريدهم، ويتربّى عليها السالك لطريقهم، ولهم في كل عصر طريقة يكذبون بها على عوام المسلمين، ويستدرّون بها أموالهم، وما زالت مشيخة الطرق الصوفية تحيي هذا الشرك البواح إلى هذا الزمن المعاصر[2].

وأيضاً من الشرك في هذا الباب في العصر الحديث، شرك البابيين والبهائيين، إذ يعتقدون في البهاء: حسين علي المازندراني أنه هو الذي خلق

(١) ينظر: جامع كرامات الأولياء، للنبهاني ٢/ ٢٧٥.

(٢) ينظر: الحكومة الباطنية، ص١٣٧، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني بجزئيه، فقد شحنه بشركيات وخرافات لا يقضي العاقل منها عجباً.

العالم، بيده النفع، والضر، وإليه الرزق، بل نسبوا له كل ما وصف به المؤمنون ربهم ﷻ[١].

وأيضاً من الشرك في ربوبية الله بادعاء صفة القدرة التي هي من خصائص الله ﷻ، عند أصحاب مذهب الروحية الحديثة[٢]، يدّعون بأنهم يحضرون الأرواح، ويستدعون الموتى، لحلِّ مشكلات الغيب، ومعضلات الحياة، والاستعانة بهم في علاج المرضى، والإرشاد عن المجرمين، والتنبؤ بالمستقبل، وهم بذلك يعتقدون في هذه الأرواح التدبير، والتصرف في الدنيا[٣].

---

(١) ينظر صفحة: ٣٦٤.

(٢) ينظر صفحة: ٤٨٩.

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة ٢/ ٨٣٦، والروحية الحديثة، ص١٣.

المطلب الثاني: الشرك في الربوبية في صفة الحكم والتشريع، وفيه تمهيد وخمسة فروع:

تمهيد: في الحكم والتحاكم إلى غير شرع الله ﷻ.

الحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى من توحيد الربوبية، لأنه تنفيذ لحكم الله سبحانه وتعالى الشرعي، الذي هو مقتضى ربوبيته، والحُكْم من صفات الله سبحانه وتعالى، فهو الحَكَم، وإليه الحُكْم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾[الأنعام: ٦٢]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾[القصص: ٧٠]، وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾[القصص: ٨٨]، وأخبر الله سبحانه وتعالى أنه لا يشاركه أحد في حكمه فقال: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف: ٢٦]، والمراد «ولا يشرك الله -جلَّ وعلا- أحداً في حكمه، بل الحكم له وحده جلَّ وعلا، لا حكم لغيره ألبتة، فالحلال ما أحله تعالى، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه، والقضاء ما قضاه»(١)، وهذه الآية الكريمة يُفهم منها «أن متبعي أحكام المشرعين غير ما شرعه الله أنهم مشركون بالله، وهذا المفهوم جاء مبيناً في آيات أخر»(٢)، ومن أظهر الأدلة على ذلك

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/ ٢٥٨.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٣/ ٢٥٩.

وأبينها قول الله ﷻ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾[النساء: ٦٠]، وقد بيّن الله ﷻ في هذه الآية الكريمة «أنَّ من يريدون أن يتحاكموا إلى غير ما شرعه الله، يُتعجّب من زعمهم: أنهم مؤمنون، وما ذلك إلا لأنَّ دعواهم الإيمان مع إرادة التحاكم إلى الطاغوت بالغة من الكذب ما يحصل منه العجب...وبهذه النصوص السماوية...يظهر غاية الظهور: أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على ألسنة أوليائه، مخالفة لما شرعه الله جلَّ وعلا على ألسنة رسله -صلى الله عليهم وسلم- أنه لا يشك في كفرهم، وشركهم، إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم»(١).

وحكم الله ﷻ بعدم إيمان من لم يرض بالتحاكم إلى شريعته بقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]، وبالتأمّل في هذه الآية الكريمة، والنظر في مدلولها، يظهر منها عِظم شأن التحاكم إلى ما جاء به النبي ﷺ من حكم الله ﷻ، إذ أقسم الله ﷻ بعدم إيمان من لم يردَّ المُتنازَعَ فيه إلى الرسول ﷺ، وممّا يؤكد ذلك، أنَّ الأمر بالتسليم جاء على وجه الخبر، عدولاً به عن طريق الإنشاء، وهذا عند علماء البلاغة أقوى في الأمر من الإنشاء الطلبي، ثم جاء ذلك أيضاً بتأكيده، بعدم وجود الحرج في النفس مما

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣/ ٢٥٩).

قضى الله ورسوله ﷺ، ثم جاء أيضاً على وجه المصدر المؤكد لعامله: ﴿وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

ولذلك يكون التحاكم إلى غير شريعة الله ﷻ شركاً أكبر مخرجاً من الملة إذا اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كمن يفضل الأنظمة، والقوانين الوضعية على حكمه، أو أنها مساوية له، ولو اعتقد أن الحكم بالشريعة أفضل، وكذلك لو اعتقد أنَّ نظام الإسلام لا يتواءم مع العصر الحديث، لا سيما الحدود الجنائية، وأنه لا يمكن تطبيقه في ظل العولمة الجديدة، أو أنه كان سببًا في تخلّف المسلمين.

ويدخل في ذلك أيضًا كل من اعتقد جواز الحكم بغير شريعة الله ﷻ في المعاملات الاقتصادية، والسياسية، أو الحدود، أو غيرها، وإن لم يعتقد أن ذلك أفضل من حكم الشريعة، لأنه بذلك يكون قد استباح ما حرمه الله ﷻ إجماعاً[1].

ومن مظاهر استبدال الشريعة بغيرها في العصر الحديث ما يلي في الفروع التالية:

---

(١) ينظر: نواقض الإسلام لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز،ص٥، والعصرانيون بين مزاعم التجديد ومبادئ التغريب، ٢٧٤.

الفرع الأول: إعطاء حق التشريع للأحبار والرهبان.

لَمّا دخل التحريف اللفظي، والمعنوي في دين أهل الكتاب، كان التشريع المضاهي لشريعة الله ﷻ سِمةَ أحبارهم، ورهبانهم منذ قديم الدهر، وحديثه، وصنيعهم هذا ألقى بظلاله على كل من استنَّ بسننهم، فقد كانوا أئمةً لمن بعدهم في هذا الباب، وقد وصفهم الله ﷻ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣٤]، ولأجل ذلك بيّن الله ﷻ قصدهم من صنيعهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُ﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فالدافع لهم على تغيير شريعة الله ﷻ، واستبدالها بغيرها هو الطمع في المال مع الاغترار بعفو الله ﷻ، فهم يعصون الله ﷻ على علم، حتى آل بهم الكذب على الناس أن افتروا على الله ﷻ بدعواهم أنَّ ما كتبته أيديهم زوراً وكذباً، هو من عند الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ [البقرة: ٧٩].

ومع استمرار أولئك الأحبار، والرهبان في كذبهم على الله ﷻ، آل بهم الحال أن اتخذهم أتباعهم أرباباً من دون الله ﷻ، يحلّون لهم الحرام، ويحرمون عليهم الحلال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، ومعنى كونهم اتخذوهم أرباباً «أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في

قبول تحريمهم، وتحليلهم لما لم يحرمه الله، ولم يحله الله»(١).

وفي هذه الآية الكريمة وصف الله ﷻ طاعة الأحبار، والرهبان في التشريع باتخاذهم أرباباً من دون الله ﷻ، «ومن تلاعب الشيطان بهم أنهم يزعمون أن الفقهاء إذا أحلّوا لهم الشيء صار حلالاً، وإذا حرّموه صار حراماً، وإن كان نصُّ التوراة بخلافه»(٢) ، وأحدثوا لهم شرائع ما كتبها الله ﷻ عليهم.

«وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم، ورهبانهم أرباباً حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين :

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله ﷻ، فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله ﷻ، وتحريم ما أحل الله ﷻ، اتباعاً لرؤسائهم، مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ﷻ ورسوله شركاً، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك، دون ما قاله الله ﷻ، ورسوله مشركاً مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم، وإيمانهم بتحريم الحلال، وتحليل الحرام ثابتاً، لكنهم أطاعوهم في معصية الله ﷻ، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل

---

(١) تفسير القرطبي ٤/ ١٠٦.

(٢) إغاثة اللهفان ٢/ ٣٢٨.

الذنوب»[١].

ويدخل في مضمون تشريع الأحبار، والرهبان، واتخاذهم أرباباً من دون الله ﷻ ما سيأتي في الفرع الثاني.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٧/ ٧٠.

الفرع الثاني: إعطاء حق التشريع للأولياء والمشايخ.

ومن مظاهر الشرك في الربوبية في صفة الحكم والتشريع، إعطاء الأولياء، أو من يُزعم فيهم الولاية، أو رؤساء الأحزاب والجماعات، أو شيوخ القبائل، أو الأمراء، والسلاطين، أو النواب، حق التشريع، والحكم بين الناس بغير ما أنزل الله ﷻ.

والدليل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١][1]، وقد سمّى الله ﷻ كل من تحاكم إليه الناس، سوى الشرع طاغوتاً، قال الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ۝٦٠﴾ [النساء: ٦٠].

وقد سجّل لنا التاريخ المعاصر «مقولات بعض الطواغيت، والجبابرة الذين ادعوا لأنفسهم الحق في الأمر، والنهي، والتشريع المطلق بغير سلطان من الله ﷻ، أو ادعوا مشاركة الله ﷻ في هذا الحق، وجعلوا الكون مملكة تدار مشاركةً بينهم، وبين الله ﷻ!، فلله ﷻ حكم القلوب والأرواح، ولهم حكم الجسد، والعلائق بين العباد، على النحو الذي يريده العلمانيون في هذه الأيام»[2].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٧/ ١٩٨.

(٢) نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية، ص٣٤. وينظر: نواقض =

ومن ذلك ما يفعله بعض شيوخ القبائل، ورؤساء العشائر، إذ جعلوا لأتباعهم أعرافاً، وعاداتٍ يحكمون بها بين الناس من دون حكم الله ﷻ، يسمونها: أحكاماً، أو أعرافاً قبليّة، ولها تسميات متعدّدة، منها: مقاطع الحق، ومقارع الحق، يضاهئون بذلك حكم الله ﷻ، وهي أعراف، وعادات توارثوها عن آبائهم، وأجدادهم فيتحاكمون إلى هذه الأعراف و"السُّلُوم" فيما نزل به حكم الله ﷻ -معرضين عنه- وهي المرجع بينهم فيما يقعون فيه من الخصومات والخلاف، بين الأفراد، والجماعات، سواء في الأموال، وقسمة التركات، إذ يحرمون النساء من الميراث، لا سيما العقار، أو في الدماء، والثارات، إذ مردُّ ذلك إلى أحكام جاهلية.

فطريقتهم في ذلك أنه يأتي الخصمان عند الحاكم الذي يسمونه: "مقاطع الحق" وهذا الحاكم يلزم الخصوم بحكمه كما يفعل قضاة القانون، ويأخذ عليها الضمانات بقبول حكمه، فيحكم بينهم بغير ما أنزل الله ﷻ، ويقول بعضهم بهذا الصدد: الفرع، ولا الشرع، يقصد بالفرع الأعراف القبلية [(١)].

ومن تابعهم على تغيير شرع الله ﷻ من إحلال الحرام، أو تحريم الحلال، فلا يخلو من أحد أمور:

«الأول: أن يتابعهم في ذلك راضياً بقولهم، مقدماً له، ساخطاً لحكم

=

الإيمان القولية والفعلية، ص٣١٣.

(١) ينظر: الأعراف والعادات القبلية المخالفة للشريعة الإسلامية، ص٥، والقوانين القبلية في جنايات الدماء، ص٤٩، وشرح رسالة تحكيم القوانين، ص١٠٤.

الله فهو كافر، لأنه كره ما أنزل الله، فأحبط الله عمله، ولا تحبط الأعمال إلا بالكفر، فكل من كره ما أنزل الله، فهو كافر .

الثاني: أن يتابعهم في ذلك راضياً بحكم الله، وعالماً بأنه أمثل، وأصلح للعباد، والبلاد، ولكن لهوى في نفسه اختاره، كأن يريد مثلاً وظيفة، فهذا لا يكفر، ولكنه فاسق، وله حكم غيره من العصاة .

الثالث: أن يتابعهم جاهلاً، فيظن أن ذلك حكم الله، فينقسم إلى قسمين :

أ - أن يمكنه أن يعرف الحق بنفسه، فهو مفرط، أو مقصر، فهو آثم، لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم.

ب - أن لا يكون عالماً، ولا يمكنه التعلم، فيتابعهم تقليداً، ويظن أن هذا هو الحق، فهذا لا شيء عليه، لأنه فعل ما أمر به، وكان معذوراً بذلك»[1].

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين ١٠/ ٧٣٩، وينظر: كتاب الحكم بغير ما أنزل الله، أحواله وأحكامه، ص٢٠٥.

الفرع الثالث: إعطاء حق التشريع للأنظمة والقوانين والدساتير والبرلمانات.

ومن الشرك بالربوبية في صفة الحكم والتشريع، إعطاء الأنظمة، والقوانين صفة القداسة، والهيبة التامة، والتسليم بها، والتحاكم إليها.

وفي هذا العصر الحديث يسمّي أصحاب الحكم بالقانون الوضعي مَن يحكم بشريعة الإسلام بأنّه يُدخل السياسة في الإسلام، ولذلك يصفون الحكم بالشريعة والدعوة إلى تطبيقها: بالإسلام السياسي، وذلك أنَّ الشريعة الإسلامية -عندهم- شريعة روحية صِرفة، لا علاقة لها بالحكم والسياسة (١).

وقد أُنشئت المدارس، والمعاهد، والكليات الحقوقية التي تدرس هذه القوانين والأنظمة المضاهية لحكم الله ﷻ، ويُبتعث لها الطلبة لدراستها، وذلك حتى تُؤصّل وتنشأ عليها الأجيال، لتكون جزءاً من مكوناتها، وثقافاتها.

كما يُبرز علماء بهذا القانون، يصفونهم بالفقهاء، فيقولون: فقهاء القانون، وهذه طريقة الاستعمار الصليبي في بلاد المسلمين.

وهذه الأنظمة والقوانين الوضعية والدساتير، لم تكن معروفة في بلاد الإسلام، فقد كان الحكم فيها بشريعة الإسلام، يرجعون إليها عند التنازع، ويحكمون بها عند الخلاف، وقد يتهاون بعض الحكام، أو الناس في الالتزام ببعض أحكامها، ولكن هذا التهاون لم يخرج عن حيّز التنفيذ العملي، ولم يتجاوز إلى انتهاك أحقيّة التشريع، فالشريعة الإسلامية هي المهيمنة في الحكم بين الناس، بخلاف هذا العصر الذي أطبق فيه الحكم بالقوانين الوضعية في

(١) ينظر: ردّ علماء الأزهر على كتاب الإسلام وأصول الحكم، ص١١.

جميع البلدان، إلا ما رحم الله ﷻ.

وفي أواخر الخلافة العثمانية بدأ إدخال هذه النظم والقوانين تدريجياً، في الوقت الذي بدأت فيه أوربا بالنهضة العلمية، والصناعية، والحضارية، وكان ذلك في نطاق المعاملات فقط، ثم صدر قانون التنظيمات العثماني، والقانون التجاري، حتى سرت هذه القوانين في جميع شؤون الحياة، ثم دخلت بلاد مصر سنة ١٨٥٦م، لتجد هذه القوانين سبيلها في عموم بلاد المسلمين(١).

وطريقة وضع هذه الدساتير والقوانين، عن طريق البرلمانات التي مردُّ الحكم فيها إلى الشعب، أو الأمة، وتسمّى أيضاً: مجلس الشعب، ومجلس الأمة، ومجلس النواب، والمجلس التشريعي، وحكم الأغلبية، أو الديمقراطية وغير ذلك من المصطلحات التي تستجدُّ مع الزمن، فالحكم الذي هو خالص حق الله ﷻ، جعلوه للناس!.

وأصل وضع نظام البرلمان، أنه لمّا ثارت القطعان الأوربية المستعبدة على الكنيسة، نازعوها السلطة، وحق التشريع الذي كان تحتكره، كما انتزعوها أيضاً من الملوك الذين قاسموا رجال الدين السلطة، فلما ثاروا على السلطة الكنسية، والإقطاع الملكي، وقالوا تلك المقولة الشهيرة: "اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس" وبذلك قضوا على السلطة الكنسية، والسلطة الملكية، ثم ردّوا تلك السلطة على الأمة، أو الشعب، ومن ثَمَّ كان البرلمان -الذي يُنتخب أعضاءه من جهة الشعب- ممثلاً لجميع أطياف الشعب له السلطة، وحق

---

(١) ينظر: الشريعة الإلهية، لا القوانين الجاهلية، ص٦٤.

وضع القوانين، واقتراحها[(١)].

فكان مبدأ الانحراف في هذه القضية «أن طواغيت البشر قد نازعوا الله ﷻ في هذا الحق، فادعاه الأحبار، والرهبان لأنفسهم، فأحلوا به الحرام، وحرموا به الحلال، واستطالوا به على عباد الله ﷻ، وصاروا بذلك أرباباً من دون الله ﷻ، ثم نازعهم الملوك في هذا الحق حتى اقتسموا السلطة مع هؤلاء الأحبار، والرهبان، ثم جاء العلمانيون، والثوار فنزعوا هذا الحق من هؤلاء، وهؤلاء، ونقلوه على هيئة تمثل الأمة، أو الشعب، أُطلق عليها اسم البرلمان، أو مجلس النواب، ثم انتقل الحق في السيادة والتشريع عبر هؤلاء الثوار إلى الشعب ممثلاً في هذه الهيئة»[(٢)].

وهذه البرلمانات قد جعلوا لها بعض صفات الربوبية، فلها الأمر والنهي، والتشريع، وسياسة الناس من دون شرع الله ﷻ، بما يُصوّتون عليه من الدساتير التي يلتزم بأحكامها أهل البلد، وتكون مرجعاً لهم في كل شيء، ولذلك يقولون: حكم الشعب، وسلطة الأمة، ونحو ذلك من الألفاظ، وهذا الشرك قد عمَّ أغلب البلدان، وله رواج بين الدول المتقدمة دنيوياً[(٣)].

وهذه القوانين، والدساتير جعلها أصحابها نِدّاً لأحكام الشريعة الإسلامية، ومساويةً لها من جميع النواحي، ولذلك كان كفر من سنّها،

---

(١) ينظر: نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية، ص١١، والعلمانية، ص١٦٥.

(٢) نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية، ص٣٤.

(٣) ينظر: الحكم بغير ما أنزل الله، أحواله وأحكامه، ص٣٦١.

وفرض على الناس التحاكم إليها، ظاهراً بيّناً، وهذا النوع من الحكم بغير ما أنزل الله ﷻ «هو أعظمها، وأشملها، وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعداداً، وإمداداً، وإرصاداً، وتأصيلاً، وتفريعاً، وتشكيلاً، وتنويعاً، وحكماً، وإلزاماً، ومراجع مستمدات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام، مهيأة مكملة، مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب، من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به، وتُقرّهم عليه، وتحتّمه عليهم، فأي كفر فوق هذا؟ وأي مناقضة للشهادة بأن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة؟»(١).

---

(١) رسالة في تحكيم القوانين الوضعية، ص٧٢.

الفرع الرابع: دعوى عدم صلاحية حكم الشريعة الإسلامية في الزمن المعاصر.

ومن الشرك باتخاذ الأنداد في صفة الحكم والتشريع، أن يُستبدل الحكم بغير الشريعة الإسلامية بدعوى أنَّ الحكم بها في هذا الزمن لا يتلاءم معه، وأنَّ مستجدات العصر تحتّم عدم صلاحية التحاكم إلى شريعة الإسلام(١).

وذلك -عندهم- راجع إلى أمرين: إما لقصورها عن متطلبات العصر، وعدم مواكبتها للتطور الحضاري، وأنَّ التحاكم إليها يعيق التطور والمدنية، لأنَّ الحياة في تغير مستمر، وتطور مطّرد، والدين ثابت لا يتغير، والشريعة -عندهم- لا تقبل التطور، مما يكون سبباً لتخلف الإنسان، وجموده، متعلقين بشبهة ما انتهى إليه حال المسلمين اليوم من ضعف في جميع المستويات، متخللين من هذا المسلك إلى التشكيك في صلاحية تطبيق الشريعة في هذا العصر.

وفرّعوا على ذلك عدم صلاحية تطبيق الحدود في هذا الزمن المعاصر، وكذلك حكم الإسلام في التفريق بين الرجل، والمرأة، وهم ينادون بالمساواة التامة بين الرجل، والمرأة في كل شيء، وغير ذلك.

وإما لاعتقادهم أنَّ الإسلام ليس فيه نظام سياسي، وليس فيه تشريع لتنظيم حياة الناس، وإنما نظام ينظّم سلوك الفرد من واقع العقائد، والعبادات فحسب، وأما المجتمع فمتروك لعقول الناس، ومصالحهم حسب زمانهم،

---

(١) ينظر: شرح رسالة في تحكيم الفوانين الوضعية، ص٥٤.

ومكانهم، ومتغيرات ظروفهم[(١)].

وهم بذلك يجعلون الإسلام بشرائعه محصوراً في الفرد دون المجتمع، وهذه طريق لعلمنة الإسلام، وتنحيته عن شؤون الناس ومجتمعهم، وهم في كل زمان يثيرون من الشبه التي يصوغونها بقوالب مختلفة ترمي إلى ذلك الغرض -تنحية الشريعة عن الحكم-.

وأيّاً ما كانت هذه الشبه، فهي في حقيقتها ومضمونها قدح في علم الله ﷻ، وذلك أنَّ الله ﷻ لمّا شرّع هذه الأحكام، وأمر بالتحاكم إليها، فالله ﷻ عليم بماضي البشر، وحاضرهم، ومستقبلهم، ويعلم ما بين أيديهم، وما خلفهم، وعليم بما فيه صلاحهم في دنياهم، وأخراهم، ومما يدلّ على ذلك أنَّ الله ﷻ لمّا أمر بالتحاكم إلى ما أنزل عند النزاع، بيّن الحكمة من ذلك كما في قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء:٥٩]، فالتحاكم إلى شريعة الله ﷻ خيرٌ، وأحسن عاقبة، وليس ذلك في حكم القوانين الوضعية هذه الخيرية، والعاقبة الحسنة؟، فالذي قد أحاط بكل شيء علماً، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات، ولا في الأرض، هو الذي شرّع هذه الأحكام، وأمر بالتحاكم إليها: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩]، وهل الذين وضعوا هذه القوانين بهذه الصفة؟ فتبارك الله أحكم الحاكمين.

---

(١) ينظر: الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية، ص١١١.

الفرع الخامس: إعطاء الفرد حق التشريع لنفسه.

من الشرك في الربوبية باتخاذ الأنداد في صفة التشريع، والحكم: أن يُعطى الفرد حقَّ التشريع لنفسه، فله الحق في أيِّ سلوك يسلكه ما لم يضرَّ بغيره، وهو مفهوم الحرية الحديثة التي يتشدّق بها كثير من الناعقين، وهي الحرية المتحررة من كل قيد وشرع، ليكون الإنسان عبد نفسه وهواه، فلإنسان أن يعتقد ما شاء، وأن يفعل ما تهواه نفسه، وأن يعيش حياته كما يراه مناسباً له، الأمر الذي أفرزته المذاهب الفكرية المعاصرة التي حلّت منهم محلَّ الدين، ولا سيما مذهب الوجودية الذي يهتم بوجود الإنسان، ويرى أصحابه أنَّ الإنسان الوجودي هو من لا يقبل توجيهاً من خارجه، بل يشرّع لنفسه ما شاء دون قيود، ولا حدود[(١)].

وكذلك أيضاً عند الليبراليين، إذ معنى الليبرالية: الحرية المطلقة، ومن أساسيات هذا المذهب التركيز على الحرية الفردية، في أخلاقه، وسلوكه، واعتقاده، فهي تعطي الفرد حق التشريع لنفسه[(٢)].

والعولمة المعاصرة، كرّست هذا المفهوم في دول العالم، حتى جعلت من الشذوذ -الزواج المثلي- تشريعاً مصادقاً عليه من الجهات التنفيذية، وقد فاقوا في هذا الخبث قوم لوط، وفرق بين من يأتي الخبث عالماً بخبثه، ومن يأتيه مقنّناً بقانون يحميه!.

---

(١) ينظر: الوجودية مذهب إنساني، ص٢٥.

(٢) ينظر: حقيقة الليبرالية، ص١٢٣.

المبحث الثاني:

الشرك في الربوبية بادّعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ
وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: ادعاء البنوة للّه تعالى.

المطلب الثاني: التمثيل والتشبيه فيما يختص باللّه ﷻ من صفاته بخلقه.

المطلب الثالث: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند الصوفية.

المطلب الرابع: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند المتكلمين.

المطلب الخامس: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند القاديانية والبهائية والبابية.

المطلب السادس: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند الحداثيين.

المطلب الأول: ادعاء البنوة لله تعالى.

إنَّ من الشرك العظيم ادّعاء البنوة لله سبحانه وتعالى، وهذا من أعظم التنقّص لجناب الربوبية: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾[مريم:٨٨-٩٢]، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله: يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني، وما ينبغي له، أما شتمه، فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه، فقوله: ليس يعيدني كما بدأني»[1].

ومن ذلك دعوى النصارى في بنوة عيسى عليه السلام لله سبحانه وتعالى، وأنه ثالث ثلاثة -تعالى الله عما يقولون علوّاً كبيراً- وهي دعوى أبطلها القرآن الكريم، قال الله سبحانه وتعالى في الرد على هذه الفرية: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء: ١٧١].

وإنَّ من البلاء في هذا الزمن أن يُقرَّ هذا الشرك في بعض بلاد المسلمين، باستحداث الكنائس، وإطلاق وصف القداسة على باباوات النصارى، والله

---

(١) تقدم تخرجه، صفحة: ١٨٥.

سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ ﴾[التوبة:٢٨]، فهم أحق بوصف النجاسة لا القداسة.

وأيضاً مما يدخل في هذا المطلب ما تفوّه به من ينتسب إلى مذهب الحداثة من النصارى الذين أدخلوا عقائد النصرانية ضمن ما يسمّونه: أدب الحداثة، إذ ادّعى بعضهم البنوة لله سبحانه وتعالى، في أعماله الأدبية! وهذا أخبث ما يكون في الدعوة إلى هذا الشرك، لأنَّ النفوس تستميلها مثل هذه الأساليب الكتابية، أو تهوّن نسبة البنوة لله سبحانه وتعالى في النفوس(١).

ومن دعوى البنوة لله سبحانه وتعالى في الزمن المعاصر، ادعاء زعيم القاديانية أنه ابن الله سبحانه وتعالى، كما تقدم(٢).

---

(١) ينظر: الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها ٢/ ٨٢٩.

(٢) ينظر صفحة: ٣٦١.

المطلب الثاني: التمثيل والتشبيه فيما يختص بالله ﷻ من صفاته بخلقه.

الله ﷻ له صفات الكمال على وجه الجلال، وله الأسماء الحسنى، فأسماء الله ﷻ، وصفاته على ما يليق به تعالى، ليس كمثله شيء، ولا نِدَّ له، ولا سميَّ، ولا تُضرب له الأمثال، ولا تدركه الأبصار، ولا تحيط به العقول، ولا تبلغه الأوهام، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، وكما أنَّ ذات الله ﷻ لا مثل لها من سائر الذوات، فكذلك صفاته، وإنَّ من الإلحاد في هذا الباب أن يُشبّه الخالق في صفاته بخلقه، وأن تمثل صفات المخلوق الناقص من جميع الوجوه، بصفات الخالق الكامل من جميع الوجوه.

وتمثيل صفات الله ﷻ بصفات خلقه على نحو ما تقول المشبهة: من أنَّ صفات الله ﷻ كصفات الخلق كفر، قال نعيم بن حماد: «من شبه الله بشيء من خلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، فليس ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه»(١)، وقال إسحاق بن راهويه: «من وصف الله فشبّه صفاته بصفات أحد من خلق الله فهو كافر بالله العظيم»(٢).

وذلك أن تشبيه الله ﷻ بخلقه تكذيب لخبر الله ﷻ عن ذاته المقدسة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، ومعاندة

---

(١) اعتقاد أهل السنة، للالكائي ٣/ ٥٣٢.

(٢) اعتقاد أهل السنة، للالكائي ٣/ ٥٣٢.

لقول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾[النحل: ٧٤].

ومبدأ التشبيه، والتمثيل في الصفات الإلهية مأخوذ من فلسفة اليونان، إذ نسبوا صفات المخلوق للخالق، فزعموا أنَّ الله ﷻ عاشق، ومعشوق يعشق ذاته، وهي معشوقة له، كما أنه أيضاً معشوق للعالم يتجه إليه، لكونه علّةً، وغايةً يتجه نحوها، ليتشبه بها، وأنَّ الله ﷻ يلتذُّ، ويبتهج، ونحو ذلك من خرافات الفلاسفة، وتخميناتهم، ثم يقولون: إنَّ الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، ومن هنا دخل تشبيه صفات المخلوق بالخالق في الذات، والصفات، والأفعال، حتى آل بها الأمر إلى أن قالوا: إن الإنسان مثل الإله![1].

كما أنَّ التشبيه، والتمثيل أيضاً موروث عن اليهود، وكتبهم "المقدسة" مشحونة بهذا[2]، ثم انتقل إلى هذه الأمة من طريق الرافضة، «وكان بدو ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض»[3]، وذلك لما خرجت بدعة التشيع على يد عبد الله بن سبأ اليهودي، وادّعى في علي بن أبي طالب ﷺ الألوهية والربوبية، وهذا أول نواة التشبيه في هذه الأمة.

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/ ٨٢-٨٣، وتاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٨١، ومقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها ١/ ٢٢٤.

(٢) ينظر على سبيل المثال: التوراة، سفر التكوين، الإصحاح (٩-٢٣-٣٢).

(٣) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٦٣.

وبهذا يظهر أنَّ «أول ظهور التشبيه صادر عن أصناف من الروافض الغلاة»[١]، وهم أول من قال: إن الله ﷻ جسم، بل زعم بعضهم بكل جراءة على مقام الربوبية «أنَّ معبوده جسم ذو حدٍّ ونهاية، وأنه طويل عريض عميق، وأنَّ طوله مثل عرضه مثل عمقه»[٢]- تعالى الله عما يصفوه الواصفون-.

ثم انتشر التشبيه، والتمثيل في طوائف الرافضة، إلى الروافض المعاصرين، فهم تبع لمن تقدمهم في عقائدهم[٣].

وهذا التمثيل والتشبيه ما زال له وجود في هذا الزمن المعاصر عند أتباع تلك الفلسفات والديانات، وكذلك من تأثر بهم ممن ينتسب إلى الإسلام، كما سيأتي -إن شاء الله تعالى- عند القاديانية، والبابية، البهائية[٤].

---

(١) الفرق بين الفرق، ص٢١٤.

(٢) الفرق بين الفرق، ص ٤٨.

(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية ١/ ٧٣، ومقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها ١/ ١٧٤، وينظر: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية ٣/ ٩٧٧.

(٤) ينظر صفحة: ٤٠٤.

المطلب الثالث: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند الصوفية.

ومن أظهر ذلك، عند المتصوفة عقيدة وحدة الوجود التي من خلالها جعلوا المخلوق، والخالق شيئاً واحداً، فوصفوا المخلوقات بصفات الخالق، ووصفوا الخالق بصفات المخلوقات، فعين الموجودات –عندهم- عين واحده، فما ثَمَّ خالق ولا مخلوق.

وفي ظاهر هذه العقيدة وصف الخالق بصفات المخلوق، لأنهم جعلوا سائر المخلوقات هي عين الله ﷻ، وقد تقدم الكلام على هذه العقيدة[1].

والمقصود أنَّ القول بوحدة الوجود ما زال قولاً لكثير من المتصوفة المعاصرة، ومن الأمثلة على هذا، ما ذكره الدكتور مصطفى محمود مقرراً عقيدة وحدة الوجود بقوله: «ومما ترويه الأحاديث في الآخرة[2] أنَّ الله يجمع

(١) ينظر صفحة: ١٥٢.

(٢) الحديث الذي يزعم أنه يدل على وحدة الوجود هو ما أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب الصراط، رقم(٦٥٧٣)، ومسلم في باب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢)، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس، فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، =

الناس، ويظهر لهم فينكرونه، يظهر لكل أمة بصورة لا تعرفها فتنكره فيعود فيظهر لكل أمة بالصورة التي عبدوه عليها في الأرض، فيسجد الكل، فيعود فيظهر لهم في ما لا يخطر على بالهم من الصور والأشكال مما يدهش ويبهر، ليعلمهم أنه من راء كل الصور، ومن وراء كل شيء»(١).

وهو بهذا يقرر عقيدة وحدة الوجود، وأنَّ المشركين وعبدة الأوثان ما عبدوا إلا مظهراً من مظاهر الله ﷻ على اختلاف هذه المظاهر من أصنام، وكواكب، وصلبان، والله ﷻ يظهر لهم بكل صورة عبدوه عليها! لأنه يزعم أن الله ﷻ «من راء كل الصور»، و«من وراء كل شيء»، فتأمل كيف وصف هذه الأوثان، والأصنام، والطواغيت بصفات الإله المعبود؟ إذ كيف يزعم أن الله ﷻ يظهر لهم بصور أوثانهم؟ ثم يظهر لهم فيما لم يخطر لهم على بال في الصور، والأشكال، وأين ما يدل على هذا من الحديث؟ اللهم إلا أن يكون هذا الكاتب قد تروّى من عقيدة وحدة الوجود حتى فسّر هذا الحديث بنَفَس عقيدته، ولا يخفى ما في ذلك من وصف الله ﷻ بمخلوقاته.

ومناقشة الفكر، وبيان زيفه وضلاله، لا تعني الحكم على صاحبه،

=

فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقولك أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أتانا ربنا عرفناه، فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه ويضرب جسر جهنم... الحديث.

(١) السر الأعظم، ص٩٨.

والمقصود بذلك «ردُّ هذه الأقوال، وبيان الهدى من الضلال، وأما توبة من قالها، وموته على الإسلام، فهذا يرجع إلى الملك العلام»[(١)].

---

(١)مجموع الفتاوى ٢/ ٣٥٨، وينظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها ٤/ ٤٧٨.

المطلب الرابع: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند المتكلمين.

المتكلمون هم الذين يُعنون بإثبات المسائل العقدية بالطرق العقلية، والقواعد المنطقية، والفلسفية، وخاضوا بها في الغيبيات، والعقائد التي لا تُعلم إلا من طريق الوحي، ومن أجل ذلك أطلقوا على علم التوحيد: علم الكلام(١).

ويدخل في هذا الوصف -المتكلمين- سائر طوائف المعطلة، ومنهم الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة(٢)، «ولا زال هذا المنهج الكلامي المنحرف يتبعه كثير من الفرق، والاتجاهات، والمفكرين، والكتّاب في القديم، والحديث، على اختلاف في الأسماء، والشعارات التي يرفعها أرباب هذا المنهج، فإن اللافتات، والشعارات لا تغيّر من الحقائق شيئاً»(٣).

ومن أمثلة نسبة صفات المخلوق للخالق -عندهم- وصف الله ﷻ بما لم يصف به نفسه، كالجسم، والعرض، والجوهر، وهذه كلها اصطلاحات حادثة لا يعرفها أهل الإسلام إلا بعد دخول المنطق، والفلسفة في علوم

---

(١) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام ١/ ٦.

(٢) الأشاعرة هم المنتسبون إلى أبي الحسن الأشعري في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال، وعامتهم يثبتون لله تعالى سبع صفات فقط، ويقولون: إن الإيمان هو التصديق. ينظر: الملل والنحل ١/ ٩٣.

(٣) موقف المتكلمين من نصوص الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، ص٣٣.

المسلمين[١].

وكذلك أيضاً في كل الصفات التي نفوها، شبهوها أولاً بصفات المخلوقين، فادّعوا صفات المخلوق للخالق، ليتذرعوا إلى نفيها بحجة التنزيه، ومن أمثلة ذلك صفة الاستواء على العرش، شبهوا استواء الله ﷻ على عرشه الذي يليق بجلاله باستواء المخلوق على كرسي، وحاجته إليه، وذكروا من ذلك لوازم من ادعاء صفات المخلوق للخالق، ما يتنزّه عنه جناب الربوبية، حتى تذرعوا من ذلك إلى نفي صفة الاستواء، وهكذا في كل ما نفوه من الصفات، قاسوا صفات المخلوق بصفات الخالق[٢].

والله ﷻ لا تُضرب له الأمثال، وليس كمثله شيء فيقاس به: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [النحل: ٧٤].

ومثل هذه البدع الدخيلة على المسلمين تُضعف توحيد الربوبية من القلوب، وتنقصه، فهي من قوادحه.

---

(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ص٢١٦، وأساس التقديس، ص٢٨.

(٢) ينظر: مقالة التشبيه وموقف أهل السنة منها ٣/ ٢٧٨-٢٩٢-٣٠٣-٣١٨، ومقالات الكوثري، ص٢٦١، وفرقان الفرقان بين صفات الخالق، وصفات الأكوان، ص١٤، وابن تيمية ليس سلفياً، ص١٠٣، وأساس التقديس، ص١٢٥.

المطلب الخامس: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند القاديانية والبهائية والبابية.

من ذلك أنَّ القاديانية لهم مقالات شنيعة بهذا الصدد، فيعتقدون أنَّ الله -تعالى عما يقولون علوّاً كبيراً- «يصوم، ويصلي، وينام، ويصحو، ويكتب، ويوقع، ويخطئ، ويجامع»[(١)]، وذهبوا إلى ما هو أعظم من ذلك، وقالوا بكل تطاول، وجرأة على مقام الربوبية، فيقول المتنبئ القادياني: «أنا رأيت في الكشف بأني قدمت أوراقاً كثيرة إلى الله تعالى، ليوقع عليها، ويصدق على الطلبات التي اقترحتها، فرأيت أن الله وقع على الأوراق بحبر أحمر، وكان عندي وقت الكشف رجل من مريدي، يقال له: عبد الله، ثم نفض الرب القلم، وسقطت منه قطرات الحبر الأحمر على أثوابي، وأثواب مريدي عبد الله، ولما انتهى الكشف رأيت بالفعل أن أثوابي وأثواب مريدي عبد الله، لطخت بهذه الحمرة، مع أنه لم يكن عندنا شيء من اللون الأحمر»[(٢)].

ثم في موضع آخر من كتبه الشركية يصف الله ﷻ بصفات حيوان بحري! -تعالى الله عما يصفون- فيقول: «نستطيع أن نفرض لتصوير وجود الله بأن له أيادي، وأرجل كثيرة، وأعضاؤه بكثرة لا تعدُّ، ولا تحصى، وفي

(١) القاديانية إحسان إلهي ظهير، ص٩٧.

(٢) حقيقة الوحي للغلام القادياني، ص ٢٥٥، نقلاً عن القاديانية إحسان إلهي ظهير، ص٩٨.

ضخامة لا نهاية لطولها، وعرضها، ومثل الأخطبوط له عروق كثيرة التي هي امتدت إلى أنحاء العالم وأطرافها»(١).

ولهم في ذلك مقالات في غاية الشناعة، والفظاعة من نسبة الولد، والصاحبة، والمعاشرة لجناب الربوبية(٢).

وكذلك الأمر عند البابية، والبهائية لم تكن هاتان الطائفتان بعيدتين عن القاديانية، إذ اعتقدوا أنَّ الله تمثّل في الباب، وهو مظهر عن وجود الله ﷻ، وأن الباب أرفع المراتب الإلهية، فغاية مرامهم أنَّ الباب هو الله –تعالى عما يقولون علوا كبيرا– وهم بذلك يصفون الله ﷻ بصفات إنسان(٣).

وأيضاً البهائية حذت حذو ربيبتها البابية، فقد ادعى الملقب بالبهاء حسين علي المازندراني الربوبية لنفسه، وسلّم له البهائيون بذلك، فزعموا أنَّ ربهم هو البهاء، وهم لا يختلفون عن البابيين إلا فيمن ادّعوا فيه الربوبية والألوهية(٤)، وهذا من أجلى أمثلة نسبة صفات المخلوق للخالق، إذ جعلوا ربهم بشراً مثلهم!.

ولا ريب أنَّ هذا من أعظم وأشنع نواقض توحيد الربوبية المعاصرة.

---

(١) توضيح المرام للغلام القادياني، ص ٧٥، نقلاً عن القاديانية إحسان إلهي ظهير، ص٩٩.

(٢) ينظر: القاديانية إحسان إلهي ظهير، ص٩٩.

(٣) ينظر البابية لإحسان إلهي ظهير، ص٢٠٣.

(٤) ينظر: البهائية، ص٦٩.

المطلب السادس: ادعاء صفات المخلوق للخالق ﷻ عند الحداثيين.

ولقد وقع بعض من ينتسب إلى مذهب الحداثة في هذا الناقض من نواقض توحيد الربوبية، إذ وصفوا الله ﷻ ببعض صفات خلقه، بل أحياناً بصفات يأنف منها ذوو المروءة من الناس، وذلك تمثّل فيما كتبوه من الفن الأدبي الذي زعموا، وقد وصفوا الله ﷻ من مقتضى إنكارهم لوجوده ابتداءً، وحاكوا نسيج هذا الكفر عبر الوسائل التي يدّعون أنها أدبية، وفنية، ولا يقصدون معناها، وإنما المراد الجمال الفني، والخيال الأدبي، وهذا منهم مكر، وخداع لتمرير هذا الكفر الذي أظنُّ أنه لم يسبقهم فيه من قبلهم، ومن ذلك على سبيل المثال ما يلي:

قال الحداثي عبد العزيز المقالح بكل وقاحة –تعالى الله عما يصفوه الكافرون علوا كبيراً–:

«صار الله رماداً

صمتاً رعباً في كف الجلادين

حقلاً ينبت سبحات وعمائم بين الرب الأغنية الثروة

والرب القادم من هوليود...

كان الله قديماً حياً

كان سحابة

كان نهاراً في الليل

أغنية تغسل بالأمطار الخضراء تجاعيد الأرض»[(١)].

ولا يخفى ما في هذا الهراء الإلحادي من وصف الله ﷻ بخلقه، بل بصفات أحطّ البشر -والرب القادم من هوليود- في طريقة كتابية جمعت بين السخرية، والشتم، والأعجب أن يُنشر هذا النتن الإلحادي في ديار المسلمين في مجلات ثقافية!.

وأيضاً من وصفهم الله ﷻ بخلقه، نسبة النسيان لله ﷻ، يقول أحدهم فيما سمّاه: "أغنية إلى الله"، كما تقدم[(٢)].

وهذا من صور نواقض توحيد الربوبية المعاصرة.

(١) نقلاً من كتاب: الحداثة في ميزان الإسلام، ص٨٧.

(٢) ينظر صفحة: ١٨٩.

المبحث الثالث:

الشرك في الربوبية بالتسوية بين الخالق ﷻ والمخلوق في الألفاظ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: التسوية بين الخالق والمخلوق في الفعل بأداة "لولا".

المطلب الثاني: التسوية بين الخالق والمخلوق بحرف "الواو" العاطفة.

المطلب الثالث: التسوية بين الخالق والمخلوق بالحلف بغير الله ﷻ.

المطلب الأول: التسوية بين الخالق والمخلوق في الفعل بأداة "لولا".

التسوية بين الخالق، والمخلوق في الفعل بأداة "لولا" من صور الشرك في الربوبية في الألفاظ، لاقتضائها التسوية بين الخالق والمخلوق، وذلك مثل قول القائل: لولا الطبيب لما ذهب المرض، ولولا الوظيفة لما حصلت على المال، ونحو ذلك من الألفاظ التي يُسند فيها حصول الشيء إلى سببه دون مسبّبه، وهو الله ﷻ.

وأداة "لولا" في إسناد الفعل إلى السبب دون المسبّب، لها أحوال ثلاثة، وهي كالتالي:

الأولى: أن يكون الإسناد إلى سببٍ خفيٍّ لا تأثير له إطلاقاً، مثل أن يقول: لولا الولي، أو السيد الفلاني ما حصل كذا، وكذا، فهذا شرك أكبر، لأنه يتضمن اعتقاداً في الولي أنه يتصرف في الكون.

الثانية: أن يسند الفعل بـ"لولا" إلى سبب صحيح ثابت شرعاً، أو حسّاً، فهذا جائز بشرط أن لا يعتقد أن السبب مؤثر بنفسه استقلالاً، ويدلّ على ذلك قول النبي ﷺ في عمه أبي طالب لمّا سئل عنه، هل نفعه بشيء؟ قال ﷺ: «لولا أنا، لكان في الدرك الأسفل من النار»[1].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، رقم الحديث (٣٨٨٣)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي لأبي طالب، والتخفيف عنه بسببه، رقم الحديث (٢٠٩).

الثالثة: أن يسند الفعل بـ"لولا" إلى سبب ظاهر، لكن لم يثبت كونه سبباً لا شرعاً، ولا حساً، فهذا نوع من الشرك الأصغر، وذلك مثل إسناد دفع الضر إلى تعلّق الخيوط والحروز والقلائد، والاعتقاد أنها أسباب في ذلك، فهذا شرك في الربوبية من جهة اعتقاد أنَّ هذه الأسباب الموهومة تدفع الضر، وتجلب النفع، وهذا من أفعال ربوبية الله سبحانه وتعالى(١).

(١) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ٢٠٣.

المطلب الثاني: التسوية بين الخالق، والمخلوق بحرف "الواو" العاطفة.

حرف العطف "الواو" هو أصل حروف العطف في اللغة، ويدل معناه على مطلق الاشتراك، والجمع، وهو «إشراك الثاني فيما دخل فيه الأول»(١)، فالعطف بالواو يفيد الجمع، والاشتراك بين المتعاطفين، والعطف على هذا النحو بين الخالق، والمخلوق يقتضي التشريك.

ولذلك فإنَّ من الشرك في توحيد الربوبية، التسوية بين الخالق، والمخلوق بحرف العطف "الواو"، وقد جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله، وشئت، فقال له النبي ﷺ: «أجعلتني، والله عدلاً، بل ما شاء الله وحده»(٢)، «والعلة في ذلك أن الواو تقتضي تسوية المعطوف بالمعطوف عليه، فيكون القائل: ما شاء الله وشئت، مسوياً مشيئة الله ﷻ بمشيئة المخلوق، وهذا شرك، فإذا اعتقد أن المخلوق أعظم من الخالق، أو أنه مساوٍ له، فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنه أقل، فهو شرك أصغر»(٣).

ولذلك فإنَّ من الدين الخالص، والتوحيد الكامل أن لا يُساوى

---

(١) الأصول في النحو ٢/ ٥٥.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ الإمام أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عباس، رقم الحديث: (١٨٣٩)، وقال المحقق شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره.

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ٢١٩

المخلوق «برب العالمين في قول القائل: ما شاء الله، وشئت، وهذا منك، ومن الله، وأنا بالله، وبك، وأنا متوكل على الله، وعليك، والله لي في السماء، وأنت في الأرض، وهذا من صدقاتك، وصدقات الله، وأنا تائب إلى الله، وإليك، وأنا في حسب الله، وحسبك»[1].

ومثل هذا يجري على ألسنة كثيرين من غير إدراك لقدحه في التوحيد، إما نقضاً له، أو نقصاً، على التفصيل السابق.

---

(١) الروح، ص٢٦٣.

المطلب الثالث: التسوية بين الخالق والمخلوق بالحلف بغير الله ﷻ.

الحلف بغير الله ﷻ يقتضي تسوية المحلوف به الله ﷻ، لأنَّ الحلف معناه: «تأكيد الشيء بذكر معظم بصيغة مخصوصة، بالباء، أو التاء، أو الواو، وحروف القسم ثلاثة: الباء، والتاء، والواو»(١).

والحلف بالله ﷻ القصد منه «يرجع إلى قصد أن يشهد الإنسان الله تعالى على صدقه في خبر، أو وعد، أو تعليق، ولذلك يقول: بالله، أي: أخبر متلبساً بإشهاد الله، أو أعد، أو أعلق متلبساً بإشهاد الله على تحقيق ذلك، فمن أجل ذلك تضمن اليمين معنى قوياً في الصدق، لأن من أشهد بالله على باطل فقد اجترأ عليه، واستخف به»(٢).

ولذلك مبنى اليمين، الحلف على تأكيد الخبر بذكر معظّم في النفوس، ومن حلف بشيء غير الله ﷻ فقد جعله مساوياً لله ﷻ في التعظيم ، فإن اعتقد أن المحلوف به مساوٍ لله ﷻ في التعظيم من كل وجه، فهو شرك أكبر، وإلا فهو شرك أصغر، من باب الشرك في الألفاظ(٣).

فالحلف بغير الله ﷻ يدخل في نطاق اتّخاذ الأنداد، لأنَّ الذي يحلف بغير الله ﷻ يجعل المحلوف به نِدًّا لله ﷻ من جهة تعظيم المحلوف به، كتعظيم

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ٢/ ٤٥٤.

(٢) التحرير والتنوير (٢/ ٣٧٨)

(٣) ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص٥٩٣.

الله سبحانه وتعالى.

وعليه فإنَّ من الشرك الحلف بغير الله سبحانه وتعالى أيّاً كان المحلوف به، كالحلف بالكعبة، أو بالأمانة، أو بالشرف، أو ببركة فلان، أو بحياة فلان، أو بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، أو بالآباء، والأمهات، ونحو ذلك، وقد جاء في الحديث عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك﴾[1].

وقد أجمع العلماء على المنع من الحلف بغير الله سبحانه وتعالى، ونقل الإجماع ابن عبد البر، قال: «لا يجوز الحلف بغير الله عز وجل في شيء من الأشياء، ولا على حال من الأحوال، وهذا أمر مجتمع عليه»[2].

والحلف بغير الله سبحانه وتعالى شائع في بعض المجتمعات الإسلامية، كالحلف بالنبي صلى الله عليه وسلم، والحلف بالأمانة، والحلف بحياة الآباء، والحلف بالنعمة، ونحو ذلك، ويجري على ألسنة بعضهم عادةً، وهذا من نواقض، أو قوادح توحيد الربوبية على التفصيل المتقدم.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الأيمان والنذور، باب: في كراهية الحلف بغير الله، رقم (١٥٣٥)، وصححه الألباني، ينظر: صحيح سنن الترمذي ٢/ ٩٩.

(٢) التمهيد ١٤/ ٣٦٦، وينظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، ص٥٩٠.

المبحث الرابع:

الشرك في الربوبية بنسبة إيجاد النعمة لغير الله ﷻ وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: نسبة وجود النعمة لسبب حقيقي، وفيه فرعان:
الفرع الأول: نسبة النعمة للسبب على سبيل الحكاية.
الفرع الثاني: نسبة النعمة للسبب على سبيل تعظيم السبب.

المطلب الثاني: نسبة وجود النعمة لسبب وهمي.

المطلب الثالث: نسبة وجود النعمة إلى ما يُعتقد فيه التأثير.

المطلب الرابع: نسبة وجود النعمة إلى فعل الإنسان.

المطلب الخامس: إنكار نعمة الله ﷻ.

المطلب الأول: نسبة وجود النعمة لسبب حقيقي، وفيه فرعان:

الفرع الأول: نسبة النعمة للسبب على سبيل الحكاية.

نسبة وجود النعمة لسببٍ حقيقيٍّ ظاهرٍ على سبيل الحكاية، من باب الإخبار عن سبب وجود هذه النعمة، وربط الأسباب بمسبباتها، لما جعل الله ﷻ في الكون من السنن القدرية، مع الاعتقاد بأنَّ الله ﷻ هو الخالق المنعم، فهذا جائز لا بأس به، وذلك مثل نسبة نعمة الولد إلى النكاح، والزرع إلى البذر[1].

الفرع الثاني: نسبة النعمة للسبب على سبيل تعظيم السبب.

ونسبة النعمة للسبب الحقيقي على وجه تعظيم السبب، مع الإعراض عن المنعم ﷻ، فهذا نوع من أنواع الشرك في الألفاظ، وهو من قبيل الشرك الخفي الأصغر، لأنه ذريعة إلى الشرك الأكبر بإنكار نعمة الله ﷻ بالكلية، ونسبتها إلى غيره تعالى، وذلك داخل في عموم معنى قول الله ﷻ: ﴿ يَعۡرِفُونَ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: ٨٣]، ولما في ذلك أيضاً من التعلّق بغير الله ﷻ في حصول النِعم[2].

---

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، ص٥٨٤.

(٢) ينظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص٤٨٥.

المطلب الثاني: نسبة وجود النعمة لسبب وهمي.

ومن الشرك في ربوبية الله ﷻ نسبة وجود النعمة لسبب وهمي غير حقيقي، والاعتقاد في وجود النعمة من ذلك السبب الموهوم، كأنَّ يطلب البركة من شيء لم تُجعل فيه البركة، كمن اتخذ سبباً يطلب منه نفعاً، ولم يأت في الشرع الإذن به، ولم يشهد له الحسّ، والتجربة، كالذي يتخذ التمائم، والحروز، ويلبس الحلقة، والخيط، طلباً للحفظ، ودفع الشرّ، فهذا من الشرك في الربوبية من هذا الوجه[1].

---

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص١٥٢.

المطلب الثالث: نسبة وجود النعمة إلى ما يُعتقد فيه التأثير.

ومن أنواع الشرك في ربوبية الله ﷻ نسبة وجود النعم إلى معظّم في النفس، يُعتقد فيه التأثير، والذي يُعتقد فيه التأثير يختلف باختلاف أحوال الأشخاص، فمنهم من يعتقد التأثير في الكواكب، والنجوم على الحوادث الأرضية، فينسب إليها وجود النعم، والسعود، والنحوس، كما أنه أيضاً ينسب إليها التدبير كله، وهذا شرك أكبر كما مرَّ في نسبة الخلق إلى الكواكب، والنجوم(١).

وأيضاً من يعتقد في بعض البشر التدبير، والتصرّف، كالصوفية في اعتقادهم في النبي محمد ﷺ، وما يسمونه: الحقيقة المحمدية، وكذلك اعتقادهم في الأولياء، والمشايخ، والغوث الأعظم، فينسبون وجود النعم إلى غير الله ﷻ فيمن يعتقدون فيه التأثير من جلب النفع، ودفع الضرّ(٢).

وكذلك طوائف الفرق الباطنية ينسبون وجود النعم إلى آل البيت، وإلى أئمتهم على اختلاف كل طائفة في ذلك(٣).

---

(١) ينظر صفحة: ٢٧٧.

(٢) ينظر صفحة: ٣٧٣.

(٣) ينظر صفحة: ٣٧٢.

المطلب الرابع: نسبة وجود النعمة إلى فعل الإنسان.

من قوادح توحيد الربوبية، نسبة وجود النعم إلى فعل الإنسان استقلالاً، وإلى محض كسبه، وقوته، وفي ذلك يقول الله ﷻ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾[فصلت: ٥٠]، وهذه الآية الكريمة تبيّن أنَّ «خُلُقاً آخر في الإنسان، وهو أنه إذا زال عنه كربه، وعادت إليه النعمة، نسي ما كان فيه من الشدة، ولم يتفكر في لطف الله به، فبطر النعمة، وقال: قد استرجعت خيراتي بحيلتي، وتدبيري، وهذا الخير حق لي حصلت عليه»[1]، فينسب وجود النعمة إلى نفسه وقوته، قال الله ﷻ عن قارون:﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾[القصص: ٧٨]، وهو يقول عن نفسه أنه «إنما أدركت هذه الأموال بكسبي، ومعرفتي بوجوه المكاسب»[2].

ولقد وصف الله ﷻ الإنسان من حيث طبيعته أنه كفور لنعم الله ﷻ، جاحد لها، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[إبراهيم: ٣٤]، ومن الجحد لنعم الله ﷻ أن ينسب حصول النعِم إلى قوته، وفهمه، وذكائه، وحسن حيلته، ومهارته، غافلاً عن الله ﷻ الذي سخرها له، ويسر له أسبابها.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٥/ ١١.

(٢) تفسير السعدي، ص ٦٢٣.

المطلب الخامس: إنكار نعمة الله ﷻ.

إنكار النعمة، وجحد أن تكون من عند الله ﷻ، من نواقض، أو قوادح توحيد الربوبية، لأن النعم منشأها ابتداءً من عند الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣].

و تفسير السلف لهذه الآية: ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [النحل: ٨٣]، جاء بأكثر من معنى، فقد جاء بالكفر الأكبر، وجاء بالكفر الأصغر، وهذه أقوالهم كالتالي:

جاء عن مجاهد بن جبر في هذه الآية: هو قول الرجل: هذا مالي ورثته عن آبائي[١]، وهذا نوع من أنواع نسبة النعمة لغير الله ﷻ، من جهة أنه نسبها إلى سبب حقيقي، ولكن ليس على سبيل الحكاية المجردة، بل نسبها إلى هذا السبب ركوناً إليه، وتعلّقاً به.

وقال عون بن عبد الله: يقولون: «لولا فلان ما كان كذا وكذا، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا»[٢]، وهذا من النوع الذي ينسب النعمة إلى سبب وهمي ليس حقيقياً.

---

(١) ينظر تفسير الطبري ١٤/ ٣٢٦.

(٢) تفسير الطبري ١٤/ ٣٢٦.

ومن أهل العلم من قال: «رزقنا ذلك بشفاعة آلهتنا»[١]، وهذا نسبة النعمة إلى الآلهة ممن يعتقدون فيها التأثير، وهذا هو الكفر الأكبر.

والجامع لما تقدم هو جحود نعمة الله ﷻ، وإنكارها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا كثير جداً في الكتاب والسنة، يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره، ويشركه به، قال بعض السلف: هو كقولهم كانت الريح طيبة، والملاح حاذقاً، ولهذا قرن الشكر بالتوحيد في الفاتحة، وغيرها، أولها شكر، وأوسطها توحيد»[٢].

وكما يكون الإنكار لنعمة الله ﷻ بالقول، فكذلك يكون أيضاً بالحال والفعل، وذلك ظاهر في كل من أشرك مع الله ﷻ غيره، فإنَّ شركه بالله ﷻ يتضمن إنكاره لنعم الله ﷻ عليه.

---

(١) تفسير الطبري ١٤/ ٣٢٦.

(٢) مجموع الفتاوى ٨/ ٣٣.

الفصل الثالث:

الشرك في الربوبية بادعاء علم الغيب لبعض الخلق.
وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد: اختصاص الله ﷻ بعلم الغيب.

المبحث الأول: ادعاء علم الغيب لأحد من الخلق.

المبحث الثاني: صور من ادعاء علم الغيب في العصر الحديث.

المبحث الثالث: الاستسقاء بالأنواء في العصر الحديث.

تمهيد: اختصاص الله ﷻ بعلم الغيب.

الغيب في اللغة، هو ما غاب عن العقول، ولم تُعرف حقيقته، وكنهه، ويستعمل في كل غائب عن الحواس(١)، فالغيب «هو السرُّ، والخفيّ من الأمور»(٢)، وذلك أنَّ «الغين، والياء، والباء أصلٌ صحيح، يدلُّ على تستُّر الشيء عن العُيون...من ذلك الغَيْب: ما غاب، ممّا لا يعلمه إلا الله»(٣).

إذاً فالغيب في الاصطلاح هو «ما أخبر به الرسول عليه السلام مما لا تهتدي إليه العقول»(٤).

والغيب باعتبار معلومه نوعان:

نوع استأثر الله ﷻ بعلمه فلم يطلع عليه أحد، لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل، كحقائق صفاته العلى، وما في اللوح المحفوظ، وعلم قيام الساعة.

ونوع يُطْلع الله ﷻ عليه من يشاء من رسله، كما قال الله ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧].

والغيب أيضاً باعتبار العلم به نوعان: غيب مطلق، وغيب نسبي

---

(١) ينظر: لسان العرب ١/ ٦٥٤، والمفردات، للراغب الأصفهاني، ص٣٧٠.

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ١٤٤.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٤/ ٤٠٣.

(٤) أحكام القرآن، لابن العربي ١/ ١٦.

إضافي.

فالغيب المطلق هو المتعلق بالله ﷻ مما لا يطلع عليه إلا الله ﷻ، وهو من صفات الله ﷻ الذاتية، وقد دلَّ عليه قول الله ﷻ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقول الله ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥] .

وغيب نسبي إضافي يمكن معرفته بمعرفة أسبابه الموصلة إليه، قد يعرفه بعض البشر، ويخفى على بعضهم، بحسب استعدادهم، وما يهبهم الله ﷻ من العلم والفهم، ويدل على ذلك قول الله ﷻ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾[هود: ٤٩]، وقول الله ﷻ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [يوسف: ١٠٢]، وتلك الأنباء من الغيب النسبي الذي يمكن معرفته بأسبابه، كما علمه النبي محمد ﷺ من طريق الوحي[1].

ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة، اختصاص الله ﷻ بعلم الغيب المطلق، وذلك مما استأثر الله ﷻ بعلمه، فلم يطلع عليه أحد، لا ملك

(١) ينظر: علم الغيب في الشريعة الإسلامية ،ص٣٥، وتقديس الأشخاص في الفكر الصوفي ١/ ١٩١.

مقرب، ولا نبي مرسل، قال الله ﷻ: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ۝٦٥﴾ [النمل: ٦٥]، قال ابن كثير: «يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول معلماً لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب، وقوله: ﴿إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله ﷻ، فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له»(١)، ولكن الله ﷻ يطلع من يشاء من رسله على بعض المغيبات تأييداً لهم، وإظهاراً لصدقهم، قال الله ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧]، ومع هذا فقد بيّن الله ﷻ كمال علمه المحيط بكل شيء، وأنَّ البشر مهما كانوا لا يبلغون شيئاً من علم الله ﷻ إلا بإذنه تعالى، قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وبيّن الله ﷻ في مواضع من كتابه اختصاصه بعلم الغيب، فقال الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝٧٣﴾ [الأنعام: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦﴾ [السجدة: ٦]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٣﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/ ٢٠٧.

ومن ادّعى علم الغيب المطلق فقد كفر كفراً مخرجاً من الملة، وهو أحد نواقض توحيد الربوبية، لأنَّ علم الغيب من أخصِّ صفات الربوبية، بدلالة مفهوم الحصر في الآية الكريمة: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] ، وهذا هو الغيب المطلق الذي انفرد الله ﷻ بعلمه.

المبحث الأول:

ادعاء علم الغيب لأحد من الخلق.

المبحث الأول: ادعاء علم الغيب لأحد من الخلق.

من نواقض توحيد الربوبية في العصر الحديث، ادعاء علم الغيب لمخلوق، ولقد تجرأ بعض البشر بادّعاء علم الغيب، إما لأنفسهم، وإما لغيرهم، وذلك عند طوائف الصوفية، وفرق الباطنية، وعند ضعاف الإيمان من المسلمين ممن يتتبع العرافين، والمشعوذين، والدجاجلة، استشرافاً للمستقبل، وطلباً للقضاء على القلق النفسي، والخوف من المجهول.

والطرق الصوفية جعلت من أهم شروط الولاية عندهم، أنَّ الولي لا بدَّ أن يُكاشف بعلم الغيب، وهذا أبو حامد الغزالي يقرر هذا! ويزعم أنَّ الإنسان باستطاعته علم ما في اللوح المحفوظ!، يقول: «وحقيقة القول فيه أن القلب مستعد لأن تنجلي فيه حقيقة الحق في الأشياء كلها، وإنما حيل بينه وبينها بالأسباب الخمسة التي سبق ذكرها[1]، فهي كالحجاب المسدل الحائل بين مرآة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي هو منقوش بجميع ما قضى الله به إلى يوم القيامة، وتجلى حقائق العلوم من مرآة اللوح في مرآة القلب يضاهي انطباع صورة من مرآة في مرآه تقابلها، والحجاب بين المرآتين تارة يزال باليد،

---

(١) الأسباب الخمسة التي ذكرها قبل هذا الموضع، هي: ١- نقصان ذات القلب، كقلب الصبي، ٢- تكدر القلب بالمعاصي والشهوات، ٣- انصراف القلب عن التأمل في حضرة الربوبية، ٤_ وجود عقائد تكون سبباً لحجب القلب عن التعلق بالله ﷻ، ٥_ الجهل بالجهة التي يحصل بها المطلوب.

وأخرى يزول بهبوب الرياح تحركه، وكذلك قد تهب رياح الألطاف، وتنكشف الحجب عن أعين القلوب، فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ، ويكون ذلك تارة عند المنام فيعلم به ما يكون في المستقبل، وتمام ارتفاع الحجاب بالموت فبه ينكشف الغطاء وينكشف أيضاً في اليقظة حتى يرتفع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى، فيلمع في القلوب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم »[(١)].

ثم يؤكد ذلك بأنَّ سبيل الوصول إلى هذه المرتبة إنما تكون بالزهد في الدنيا، ومجاهدة النفس، لا بالتعلم والدراسة، وهذه طريقة المتصوفة للوصول إلى المكاشفة الغيبية، ويستدل على ذلك بحال الأنبياء والرسل أنهم لم يعانوا التعلم والدراسة، بل المجاهدة والزهد في الدنيا، فيقول: «فإذا عرفت هذا، فاعلم أن ميل أهل التصوف إلى العلوم الإلهامية دون التعليمية، فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم، وتحصيل ما صنفه المصنفون، والبحث عن الأقاويل، والأدلة المذكورة، بل قالوا: الطريق تقديم المجاهدة، ومحو الصفات المذمومة، وقطع العلائق كلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، ومهما حصل ذلك كان الله هو المتولي لقلب عبده، والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم، وإذا تولى الله أمر القلب فاضت عليه الرحمة، وأشرق النور في القلب، وانشرح الصدر، وانكشف له سر الملكوت، وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف الرحمة، وتلألأت فيه حقائق الأمور الإلهية، فليس على العبد إلا

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ١٨.

الاستعداد بالتصفية المجردة، وإحضار الهمة مع الإرادة الصادقة، والتعطش التام، والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه الله تعالى من الرحمة، فالأنبياء والأولياء، انكشف لهم الأمر، وفاض على صدورهم النور، لا بالتعلم والدراسة، والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا، والتبري من علائقها، وتفريغ القلب من شواغلها، والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى، فمن كان لله، كان الله له»[١].

وفي كلام الغزالي هذا تأصيل للتجهيل بأحكام الشريعة بدعوى أنَّ الأنبياء والرسل لم يعانوا التعليم والدراسة، وهذا مردود بنصوص الكتاب، فالأنبياء والرسل قد أوحى الله ﷻ إليهم وعلمهم وفهمهم، ولم يكن حالهم الزهد في الدنيا فحسب، بل تلقّوا التعليم من طريق يليق بمقامهم، فالتعليم الذي درسوه هو الوحي الذي أوحاه الله ﷻ إليهم، يقول الله ﷻ في بيان تعليمه للنبي محمد ﷺ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾[النساء: ١١٣]، وكذلك قال الله ﷻ في تعليم داوود وسليمان عليهما السلام: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾[النمل: ١٥]، والنصوص في ذلك كثيرة، والمقصود أنَّ الأنبياء والرسل، قد علّمهم الله ﷻ.

وأيضاً قوله: إنَّ الزهد في الدنيا، وقطع العلائق بها سبب لنيل علم

---

(١) إحياء علوم الدين ٣/ ١٩.

اللوح المحفوظ تحكّم ظاهر، فأنّى له الدليل على ذلك؟، فعلم اللوح المحفوظ لا يعلمه إلا الله ﷻ كما تقدم، والله ﷻ قد بيّن في كتابه الكريم أنه لا يحيط أحد بعلمه إلا بما شاء، لا بالرياضة والتصوف البدعي، فقال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة: ٢٥٥]، وقال ﷻ: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾[الجن: ٢٦ – ٢٧]، وهذه الآية الكريمة تؤكد أنَّ الغيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، ولا يطلع على هذا الغيب إلا من ارتضى من رسله، فأين ما جنح إليه الغزالي من القدرة على الوصول إلى علم الغيب عن طريق الرياضات، والزهد عن الدنيا؟.

وأيضاً يقرر الغزالي إمكانية علم الغيب للمخلوق في موضع آخر، فيقول: «ووراء العقل طور آخر، تفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب، وما سيكون في المستقبل»![1].

والصوفية المعاصرة قد ورثت أسلافهم في خرافاتهم، ولسان حالهم يقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾[الزخرف: ٢٣][2].

وأما الفرق الباطنية فلهم في ذلك نصيب عظيم من هذا الشرك، ومن أهم أسس عقائدهم ادعاء علم الغيب لمن اعتقدوا فيهم العصمة من أئمتهم، ويزعمون أنَّ علمهم بالغيب ناتج من معرفة حركة الكواكب، والنجوم،

(١) المنقذ من الضلال، ص ٥٣.

(٢) ينظر على سبيل المثال: علم الغيب في الشريعة الإسلامية، ص٤١٧.

فباستطاعتهم علم كل ما يُريدون علمه من هذه الطريق[١].

وكتبهم مشحونة بذلك، وما زال خلفهم يتبع سلفهم في هذه الشركيات إلى هذا العصر الحديث، وهؤلاء يلتقون مع المتصوفة في هذا الناقض[٢].

وكذلك أيضاً عند مذهب الروحية الحديثة، يزعمون أن أرواح الموتى تخبرهم بالمغيبات، ويستعينون بها على الأمور المستقبلية[٣].

---

(١) ينظر: طائفة الإسماعيلية، ص١٥١.

(٢) ينظر من كتب الرافضة على سبيل المثال زعمهم أنَّ الأئمة من آل البيت يعلمون الغيب: كتاب بحار الأنوار ٢٦/ ٢٧-٢٨ ، وينظر: علم الغيب في الشريعة الإسلامية، ص٥٠٥.

(٣) ينظر صفحة: ٤٨٩.

المبحث الثاني:

صور من ادعاء علم الغيب في العصر الحديث
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: السحر.
المطلب الثاني: الكهانة والعرافة.
المطلب الثالث: التنجيم في العصر الحديث، أنواعه وأساليبه.

المطلب الأول: السحر.

السحر في اللغة يُطلق على الخداع، والتمويه، وعلى صرف الشيء عن حقيقته، وعلى إخراج الباطل في صورة الحق، وعلى كل ما لَطُفَ ودقَّ مأخذه[(١)] .

وأما تعريف السحر في الاصطلاح، فـ «لا يمكن حدّه بحدٍّ جامع مانع، لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته، ولا يتحقق قدر مشترك بينها يكون جامعاً لها، مانعاً لغيرها، ومن هنا اختلفت عبارات العلماء في حده اختلافاً متبايناً»[(٢)].

ولكن من أجمع التعاريف في تعريف السحر، أن يقال: «هو المخادعة، أو التأثير في عالم العناصر بمقتضى القدرة المحدودة بمُعِيْنٍ من الجن، أو بأدوية، أَثَرَ استعدادات لدى الساحر»[(٣)].

والسحر العملي في حقيقته «اتفاق بين ساحر، وشيطان، على أن يقوم الساحر بفعل بعض المحرمات، أو الشركيات في مقابل مساعدة الشيطان له، وطاعته فيما يطلب منه»[(٤)].

---

(١) ينظر: النهاية في غريب الأثر ٢/ ٨٧٥، و تاج العروس من جواهر القاموس ١١/ ٥١٦، و تهذيب اللغة ٤/ ١٦٩، ولسان العرب ٤/ ٣٤٨.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ٤/ ٤١.

(٣) السحر بين الحقيقة والخيال ص ٢٠.

(٤) الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، ص١٧.

والسحر من أحد فروع ادّعاء علم الغيب، لما يزعمه الساحر من المعرفة بالأمور المستقبلية، أو الغائبة، والسحر بهذا الاعتبار يُعدُّ ناقضاً من نواقض توحيد الربوبية، كما أنه فيه أيضاً نواقض من جهات أخرى، كالشرك بالله ﷻ بالاستعانة بالشياطين، وما يصاحب ذلك من التقرّب إليهم بما يخرجه من الملة.

والسحر في العصر الحديث له انتشارٌ على نطاق واسع، بسبب كثرة الوسائل المعينة على نشره، وقد تميز هذا العصر بوسائل لنشر السحر حديثة، خرجت مخرج الألعاب الترفيهية، ونحوها، كما أن الساحر أيضاً في بعض الدول الغربية يخرج إلى الناس في الشوارع، والميادين العامة، لعرض بضاعته، وإغراء الناس بدجله.

وأيضاً المذاهب البدعية التي تنتسب إلى الإسلام من الباطنية، وغلاة الصوفية الذين يستعملون السحر لخداع الناس بحالهم، ويسمون ذلك كرامات الأولياء، ولهم في ذلك أعمال عجيبة غريبة، من ضرب الأجسام بالآلات الحادّة والسلاح الناري، ونحو ذلك، ويُوهمون الناس أنَّ ذلك من دلائل ولايتهم، وصحّة طريقتهم، وعملهم لا يعدو أن يكون سحراً، وشعوذةً تعينهم فيها الشياطين.

وكذلك أيضاً القنوات الفضائية، والصحف، والمجلات، والكتب، ومواقع الشبكة العنكبوتية العالمية، ووسائل الاتصال الهاتفية، الأمر الذي كان له مردودٌ ماليٌّ شجع أصحاب وملّاك تلك الوسائل الإعلامية، والسحرة على نشر برامج السحر عبر تلك المنافذ الإعلامية استغلالاً، وتجارةً، ولذلك

كان لها رواج كبير سواء من القنوات الفضائية، أو شركات الاتصالات التي تضع أرقاماً للاتصال تدرُّ مبالغ طائلة.

وكذلك أيضاً ينتشر السحر بين النخب السياسية في بعض دول العالم الغربي في حين إجراء الانتخابات، واختيار الرئيس المقبل، وتكثر التنبؤات حول ذلك، والحال التي تكون عليه البلاد في المستقبل(١).

وأيضاً ثمَّتَ سحر يمارسه بعض أهل الرياضة، وكرة القدم، في منافسة الأندية الرياضية الأخرى، يستخدمون نوعاً من السحر يسمّونه: الدنبوشي، وذلك للتأثير على اللاعبين صحياً أثناء المباراة، لتغيير موازين النتيجة فيها(٢).

كما أنَّ خلو القلب من الإيمان، أو ضعفه، مع كبد الحياة، وصعوبة المعيشة، مع كثرة تعقيدات الحياة ومشكلاتها، وكثرة المصائب، والمحن، والخوف من المستقبل، دفعت هؤلاء إلى استشراف المستقبل، والتكهّن بما يكون في قادم الأيام، وهذه القضية غالب نفوس الناس مولعة بها في القديم والحديث، كما ذكر المؤرخ ابن خلدون: «أنَّ من خواص النفوس البشرية التشوف إلى عواقب أمورهم، وعِلْمِ ما يحدث لهم من حياة وموت، وخير وشر، سيما الحوادث العامة كمعرفة ما بقي من الدنيا، ومعرفة مُدَد الدول أو تفاوتها، والتطلعُ إلى هذا طبيعةُ البشر، مجبولون عليها، ولذلك نجد الكثير من

(١) ينظر: كتاب عالم السحر والشعوذة، ص٥٤.

(٢) جاء ذلك في أحد حوارات بعض اللاعبين في جريدة المدينة على لسان أحدهم، ينظر جريدة المدينة عدد: ٤٥٣٣، بتاريخ ١٠/ ١/ ١٤٣٥هـ.

الناس يتشوفون إلى الوقوف على ذلك في المنام، والأخبار من الكهان لمن قصدهم بمثل ذلك من الملوك، والسوقة معروفة، ولقد نجد في المدن صنفاً من الناس ينتحلون المعاش من ذلك، لعلمهم بحرص الناس عليه، فينتصبون لهم في الطرقات، والدكاكين، يتعرضون لمن يسألهم عنه، فتغدو عليهم، وتروح نسوان المدينة، وصبيانها، وكثير من ضعفاء العقول، يستكشفون عواقب أمرهم في الكسب، والجاه، والمعاش، والمعاشرة، والعداوة، وأمثال ذلك، ما بين خط في الرمل، ويسمونه: المنجم، وطرق بالحصى والحبوب، ويسمونه: الحاسب، ونظر في المرايا والمياه، ويسمونه: ضارب المندل، وهو من المنكرات الفاشية في الأمصار»[1].

وكأنَّ ابن خلدون في ذلك الزمن وهو يتحدث عن أولئك السحرة المتكسبين بسحرهم، يتحدث عن هذه القنوات الفضائية، وشركات الاتصال وهي تبتزُّ أموال المخدوعين، وتكذب عليهم، حتى وصل الأمر إلى استضافة بعض السحرة، والمشعوذين على شاشاتهم الفضائية.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل تعدّى إلى غرس مفاهيم السحر بطريقة ماكرة في عقول الناشئة، والأطفال بعرض ممارسات المشعوذين، والسحرة، والدجالين، الأمر الذي يجعل الطفل يعتاد ما يراه في صغره، فلا يكاد ينكره في كبره، وذلك عبر البرامج التلفزيونية، والأفلام الكرتونية، والرسومات المتحركة، وغيرها، مما يستخدم وسيلةً لترويج هذه البضاعة الشركية بين

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٢/ ١٤٩.

أطفال المسلمين[١].

وهذه الأسباب وغيرها مما يستجدُّ تباعاً، جعلت هذه الخرافات الشركية تتلون بحسب العصر الذي يعيش الناس فيه، ليتواءم مع طبيعة حياتهم.

ومن الألوان التي يتلوّن بها هؤلاء السحرة في هذا الزمن، أنَّهم «خرجوا على الناس باسم أطباء، ومعالجين، وفتحوا محلات، يعالجون فيها المرضى بالسحر، والكهانة، لكن لا يقولون: هذا سحر، ولا يقولون: هذا كهانة، بل يُظهرون أنهم يعالجون النّاس بأمور مباحة، ويذكرون الله عند الناس، وقد يقرءون شيئاً من القرآن من أجل التلبيس»[٢].

---

(١) ينظر: كتاب الغزو الفكري في أفلام الكرتون، ص١٨.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ١/ ٣١٥.

المطلب الثاني: الكهانة والعرافة.

الكهانة في اللغة مأخوذة من كَهَنَ له، يَكْهُنُ كِهَانة، والعرب تطلق الكاهن على كل من تعاطى علماً دقيقاً، ولذلك يقال للذي يقوم بأمر الرجل ويسعى في حاجته، والقيام بأسبابه، كاهن[(١)].

والكهانة في الاصطلاح «-بفتح الكاف، ويجوز كسرها- ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة؛ فيلقيه في أذن الكاهن، والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمنجم، ويطلق على من يقوم بأمر آخر، ويسعى في قضاء حوائجه»[(٢)].

إذاً الكاهن هو كل من يدعي العلم بالغيب، بأيِّ طريقة كانت، ومن أشهر من يدعي علم الغيب هم الكهان، والعرافون.

وقيل الفرق بين العراف، والكاهن: أن الكاهن إنما يتعاطى الأخبار عن الكوائن في المستقبل، ويدعي معرفة الأسرار، والعراف يتعاطى معرفة الشيء المسروق، ومكان الضالة، ونحوهما[(٣)].

وبعض أهل العلم جعل العرافة تشمل الكهانة، وغيرها، ممن يدعي

---

(١) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس ٣٦/ ٨٣، و لسان العرب ١٣/ ٣٦٢.

(٢) فتح الباري ١٠/ ٢١٦.

(٣) شرح النووي على مسلم ٥/ ٢٢.

علم الغيب، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والعراف، قد قيل: إنه اسم عام للكاهن، والمنجم، والرمال، ونحوهم ممن يتكلم في تقدم المعرفة بهذه الطرق، ولو قيل: إنه في اللغة اسم لبعض هذه الأنواع، فسائرها يدخل فيه بطريق العموم المعنوي، كما قيل في اسم الخمر، والميسر، ونحوهما»[1].

والكهانة والعرافة ضرب من ادعاء علم الغيب الذي تقدم حكم من ادّعاه، وهي بهذا الاعتبار تُعدُّ ناقضاً من نواقض توحيد الربوبية، وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى عرافاً، أو كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ »[2].

وهذه الصنعة لها انتشار في العصر الحديث، وللكهنة والعرافين سوق رائجة، من خلال متابعة بعض الصحف، والمجلات، والقنوات الفضائية التي تستضيف لها الكهنة، والعرافين، وتتيح المجال لمن أراد الاتصال بهم، لممارسة الدجل والخداع، وما يصاحب ذلك من مظاهر الخرافات والشعوذة التي يحاول العرافون تضخيمها، وإغراء الناس بمتابعتها، بل وابتزازهم بها من خلال مداومتهم على هذه الوسائل الإعلامية من أجل رفع مبيعاتها، وزيادة نسبة الإعلان فيها.

ولم يقتصر الأمر على عامة الناس، ولكنه تعدى ذلك إلى خاصتهم،

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٧٣، وينظر: علم الغيب في الشريعة الإسلامية، ص٣٤٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٩٥٣٦)، والحاكم في المستدرك في كتاب الإيمان، رقم الحديث (١٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

حتى وصل الأمر في بعض الأحيان إلى علية القوم، بل إنَّ بعض القرارات السياسية لا تُصدر إلا بعد استشارة الكاهن، وأخذ رأيه باستشراف المستقبل[1].

ومما تتميز به الكهانة والعرافة في هذا العصر، أنَّ بعض الساسة يشتري تنبؤات الكهنة، والعرافين بما يخدم مصالحه السياسية، والتأثير على بعض الزعماء بتنبؤات مكذوبة[2].

---

(١) ينظر: عالم السحر والشعوذة، ص٢٧٨، وهناك لقاءات متلفزة مع الكهنة على عدة قنوات فضائية، وتنبؤات بالمستقبل، وما يكون عليه أمر الدول، والأحداث العالمية، وكذلك أيضاً ما يكون من الأحداث الشخصية والفردية، ومطلع كل عام ميلادي، ينشط هؤلاء الكهنة والعرافون في عرض بضاعتهم، ولذلك حضور إعلامي مكثف، موجود على الشبكة العالمية في مواقع تلك القنوات.

(٢) ينظر: عالم السحر والشعوذة، ص٢٩٢.

المطلب الثالث: التنجيم في العصر الحديث، أنواعه وأساليبه.

التنجيم في اللغة: مصدر الفعل نجم، والنجم اسم علم على كوكب الثريا[١].

وأصل التنجيم كما قال ابن منظور: «المنجم، والمتنجم الذي ينظر في النجوم يحسب مواقيتها، وسيرها»[٢]، ويقول الخليل بن أحمد: «والمنجم: الذي ينظر في النجوم»[٣].

ومن المعنى اللغوي جاء المعنى الاصطلاحي للتنجيم، ومن التعاريف الجامعة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية: «هو الاستدلال على الحوادث الأرضية، بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية، والقوابل الأرضية»[٤].

ويزيده ابن خلدون إيضاحاً بقوله: «هذه الصناعة يزعم أصحابها أنهم يعرفون بها الكائنات في عالم العناصر قبل حدوثها، من قبل معرفة قوى الكواكب، وتأثيرها في المولدات العنصرية، مفردة، ومجتمعة، فتكون لذلك أوضاع الأفلاك، والكواكب دالةً على ما سيحدث من نوع من أنواع الكائنات

---

(١) ينظر: الصحاح، للجوهري ٥/ ٢٣٩.

(٢) لسان العرب ١٢/ ٥٦٨.

(٣) كتاب العين ٦/ ١٥٤.

(٤) مجموع الفتاوى ٣٥/ ١٩٢.

الكلية، والشخصية»(١).

ومن هذا التعريف الاصطلاحي، فالمنجم الذي يمارس علم التنجيم، لابد أن يعتقد في النجوم، والكواكب التأثير في الأحوال الأرضية، وهذا الاعتقاد يتفرّع إلى نوعين:

الأول: اعتقاد أنَّ النجوم، والكواكب أحياء ناطقة لها أرواح ، تدبر الكون، والعالم، ويصدر منها الخير، والشر، والسعود، والنحوس، وهو «ما يفعله عبدة النجوم، ويعتقدونه في السبعة السيارة وغيرها، فقد بنوا بيوتاً لأجلها، وصوروا فيها تماثيل سموها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسك، وشرائع يعبدونها بكيفياتها، ويلبسون لها لباساً خاصاً، وحليةً خاصةً، وينحرون لها من الأنعام أجناساً خاصة لكل نجم منها جنس زعموا أنه يناسبه، وكل نجم جعلوا لعبادته أوقاتاً مخصوصة كأوقات الصلوات عند المسلمين، واعتقدوا تصرفها في الكون، وهذا هو المعروف عن قوم إبراهيم عليه السلام ببابل، وغيرها»(٢).

الثاني: اعتقاد أنَّ الخالق والمدبر هو الله سبحانه وتعالى، ولكن للكواكب تأثير في الكون بقدر الله سبحانه وتعالى، والله سبحانه وتعالى أجرى الحوادث الأرضية، وجعل سير الكواكب، والنجوم علامات، ودلالات على ما يحدث في الأرض(٣).

---

(١) مقدمة ابن خلدون ٥/ ٢٦٤.

(٢) معارج القبول ٢/ ٥٥٩، وينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٥/ ١٧١-١٨١، وتيسر العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، ص٤٤١.

(٣) ينظر: الملل والنحل ٢/ ٥٤-٥٥، والسر المكتوم في مخاطبة النجوم، مخطوط، =

وكل هذا من الشرك بالله ﷻ في ربوبيته، فأما القسم الأول، فهو شرك الصابئة عبدة الكواكب، وهو شرك أكبر، سواء كان الاعتقاد فيها أنَّ الكواكب، والنجوم مستقلة في التدبير، والتصرف في الكون، أو أنها تفعل ذلك مع الله ﷻ.

وأما القسم الثاني فمن أهل العلم من قال بتحريمه، إذا لم يقترن بذلك صرف نوع من العبادة لها، أو ادّعاء علم الغيب، ومنهم من قطع بكفره، لأنَّ الغالب على من يمارس التنجيم أنَّه يدّعي علم الغيب، أو يشوب عمله باعتقاد تدبير النجوم، والكواكب، وتصريفها، فيتنازعه أمران: ادعاء علم الغيب، واعتقاد التدبير فيها، إن أخطأه أحدهما، وقع في الأخر(١).

وفي الزمن المعاصر مع ظهور وسائل الاتصال الحديثة، وتفنّن البشر في تطويرها، قام سوق التنجيم على أشده، واستشراف المستقبل من طريق قراءة الأبراج، والنجوم، وسير الكواكب، من طريق وسائل حديثة عِدّة، أذكر منها أبرزها:

أولاً: الفضائيات، والقنوات التلفزيونية التي أبرزت التنجيم بطريقة تناسب حياة الناس، وتتلاءم مع عقول العامة من الناس، وطريقة تفكيرهم، ويُستضاف لها المنجمون، رجالاً، ونساءً، ويطلقون عليهم: علماء الروحانيات، ونحو ذلك من المسميات، ويسمّون هذه الخرافات بتوقعات،

=

ص٢٨، والتنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، ص٣٥.

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، ص٤٤١.

وحسابات أرقام، ومعرفة الحظوظ، ونحو ذلك من التدليس، وهذا محفوظ في الشبكات العنكبوتية العالمية، من فاته متابعتها عبر التلفاز المباشر، وجده محفوظاً يطلبه حين يريده.

ثانياً: فتح المواقع والمنتديات عبر الشبكة العنكبوتية، ووضع البرامج الحاسوبية المصممة على مزاولة التنجيم شخصياً من دون منجّم، وتحميلها على الحاسوب الشخصي، ليتمكن الشخص من ذلك بنفسه، وهناك مواقع مختصصة لذلك، وتسمّيها بمسمّيات مموّهة، مثل: "المستشار الفلكي، وبرجك هذا اليوم، والشامل للتنجيم، والفلك" وغيرها كثير حسبما يستجدُّ لهم من خُدع الشياطين وحيلهم، كما أنها أيضاً تقدم الإرشادات، والتعليمات لمن يجهل بعض هذه الشركيات، وطريقة العمل بها.

وفي الزمن الماضي اعتمد المنجمون في أغلب الأحيان على الملاحظات الفورية للأجسام الفلكية، ومخطط حركاتها، وفي الوقت الحالي فالمنجمون يستخدمون بيانات فلكية جاهزة، يتم تحويلها إلى مجموعة جداول تنجيمية عبر الحاسوب، تظهر التغيرات الفلكية للأجرام السماوية، ثم يوضع فيها التواريخ المطلوبة، لتظهر النتيجة تلقائياً، وذلك باسم: معرفة الطالع، والنظر في الحظ، وبهذه الطريق ينخدع من لا حَصَانة له من علمٍ يقيه من هذه الشركيات.

ثالثاً: ومن الوسائل الحديثة أيضاً، الكتب المؤلّفة في التنجيم، ومعرفة الحظ، ودور النشر التي تتولّى طباعة كتب التنجيم ونشرها، كمكتبة القاهرة، والمكتبة الأهلية ببيروت، وأيضاً من الكتب الحديثة، وهي كثيرة تخرج تباعاً، ككتاب مفاتيح الحظ، وكتاب دليل الحيران في مطالع الإنسان، وغيرها.

رابعاً: ما ينشر في الصحافة والمجلات من الدعوة الصريحة إلى التنجيم، بل وتخصيص جزء منها لمنجّم له متابعون يلقون عليه الأسئلة والاستفسارات، ليوافيهم بالدجال، والخرافات، وهذا منتشر في مجلات عديدة، كما أنها أيضاً تنشر ما يكون من خصائص النجوم، والطوالع، وما فيها من السعود، والنحوس، والتنبوءات التي تغري عامة الناس بالتعلق بها، والاعتقاد فيها [١].

خامساً: وجود معاهد متخصصة لتعليم التنجيم، ومن ذلك معهد الفتوح الفلكي بمصر، وكذلك المعهد الشامل لعلم الفلك وأحكام النجوم بطرطوس الشام[٢]، وأيضاً هناك مجاميع لذلك، ومن أشهرها: الاتحاد العالمي للفلكيين، والروحانيين بباريس[٣].

مسألة:

ومن الألفاظ التي لها تعلّق بأحكام التنجيم، قول القائل: من حسن الطالع كان كذا وكذا، أو من سوء الطالع، وهذا يتضمن إسناد الحوادث إلى مطالع النجوم، فالطوالع والنجوم ليس لها حسن ولا قبح فيما يكون من

---

(١) ينظر: التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، ص١٣٥، وعلم الغيب في الشريعة الإسلامية، ص٣٦٤.

(٢) وموقعهم على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ١٨/ ١/ ١٤٣٦هـ:
http://albumazar.arabblogs.com/index1.htm

(٢) ولهم موقع على الشبكة العنكبوتية بتاريخ ١٨/ ١/ ١٤٣٦:
/http://world-union-for-astronomers.blogspot.com

المقادير، وإنما الأمر لله ﷻ وحده، وهو الذي يقّدر الأشياء وفق مشيئته، وحكمته، فإن كان القائل يعتقد أن هذه المطالع فاعلة بنفسها من دون الله ﷻ، فهو شرك أكبر، وإن كان يعتقد أن الأمور كلها بيد الله وحده، ولكن تلفظ بذلك فقط، فهو من شرك الألفاظ الذي ينافي كمال التوحيد الواجب(١).

(١) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة ٢٦/ ٣٦٧.

المبحث الثالث:

الاستسقاء بالأنواء في العصر الحديث
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نسبة نزول المطر للأنواء.
المطلب الثاني: نسبة نزول المطر للأحوال الجوية.
المطلب الثالث: الجزم بمعرفة وقت نزول المطر.

المطلب الأول: نسبة نزول المطر للأنواء.

نسبة نزول الغيث للأنواء من خصال الجاهلية التي توارثوها جيلاً بعد جيل.

ومن أعلام نبوة النبي محمد ﷺ الإخبار باستمرارها في الناس، كما ورد في الحديث عن أبي مالك الأشعري، عن النبي ﷺ، قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن، الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة »[(١)].

والاستسقاء بالنجوم يتضمن «نسبة السقيا، ومجيء المطر إلى الأنواء، جمع نوء، وهي منازل القمر...وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة، وطلوع رقيبها، يكون مطر، وينسبونه إليها، فيقولون: مطرنا بنوء كذا، وإنما سمي نوءاً، لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب، ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءاً، أي: نهض وطلع»[(٢)].

ونسبة نزول الغيث إلى النجوم والأنواء، له حالان:

الأول: أن يعتقد أن النجومَ، أو الكواكب هي المنزلة للغيث، وهذا كفر

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، رقم الحديث (٩٣٤).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، ص ٣٩٦.

أكبر مخرج من الملة، إذ لا خالق إلا الله ﷻ، وإنزال الغيث من خصائص الربوبية، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر: قول الله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾ [الشورى: ٢٨]، وقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]، وقول الله ﷻ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾ [النور: ٤٣]، وقول الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [غافر: ١٣]، ولا ريب أنَّ نسبة نزول الغيث إلى غير الله ﷻ شرك أكبر.

وكذلك من اعتقد أن النجوم، والكواكب هي الفاعلة لإنزال المطر بما جعل الله ﷻ لها من القدرة على ذلك(١).

الثاني: أن ينسب إنزال المطر إلى النجم مع اعتقاده أنَّ الله ﷻ هو الفاعل لذلك المنزل له، لكن الله ﷻ أجرى العادة بوجود المطر عند ظهور ذلك النجم، وهذا من باب نسبة نِعم الله ﷻ إلى غيره، كما جاء في الحديث عن زيد بن خالد الجهني ؓ، قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على

---

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، ص٤٥٤، والتنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، ص١٥٢.

اثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل الناس، فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»[(١)]، والمراد بالكفر في هذا الحديث، هو الكفر الخفي الأصغر بنسبة تلك النعمة إلى غير الله ﷻ، وإن كان يعتقد أن الله ﷻ هو الخالق للمطر المنزل له، وهذا النوع من الشرك الخفي، وهو الذي أراده النبي ﷺ، وأخبر أنه من أمر الجاهلية كما في حديث أبي مالك الأشعري المتقدم[(٢)].

وهذا بخلاف من جعل الأنواء والكواكب علامة على نزول المطر من غير نسبته نزوله إليها، كما أنه أيضاً قد يصيب تارة، ويخطئ أخرى، إذ مبنى ذلك على غلبة الظن، وهذا جائز لا محذور فيه[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستسقاء، باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾، رقم الحديث (١٠٣٨)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب كفر من قال: مطرنا بالنوء، رقم الحديث (٧١).

(٢) ينظر: تيسر العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد، ص٤٥٤ – ٤٥٨.

(٣) ينظر: التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، ص١٥٢.

المطلب الثاني: نسبة نزول المطر للأحوال الجوية.

تقدم أن إنزال الغيث، والمطر من خصائص ربوبية الله ﷻ، ونسبة ذلك إلى غير الله ﷻ شرك في الربوبية، ومن ذلك نسبة نزول المطر إلى الأحوال الجوية التي ظهر الاهتمام بها في الزمن المعاصر، وكُونت لها هيئات مستقلة تعمل على رصد الأحوال الجوية.

ومن حكمة الله ﷻ في نزول المطر أنَّ الله ﷻ جعل لنزوله أسباباً إذا انعقدت كان لها أثرها، فدراسة هذه الأسباب، ومنها الكُتَل الهوائية، وترتيب الرياح، ونسبة كثافة السحب المنتشرة، ودرجات الحرارة والرطوبة، والمنخفضات، والمرتفعات الجوية، وبناء توقعات على ذلك بهطول المطر لا بأس به، لأنَّه من قبيل معرفة سنن الله ﷻ الكونية، فـ«الإخبار عما يسمى "بالطقس"، وأحوال الجو من أمطار، أو رياح، أو غيوم، أو صحو، أو غير ذلك، فهي توقعات مبنية على مقدمات مستفادة من مراصد الأحوال الجوية التي تتأثر بالرطوبة، واليبوسة، ونحو ذلك، ولهذا كثيراً ما يكون الأمر على خلاف ما قالوا»[1].

وإنما المحذور من ذلك نسبة نزول المطر إلى أسبابه القدرية، دون النظر إلى مسبب تلك الأسباب، وهو الله ﷻ، مما يجعل القلوب تتعلق بتلك الأسباب، حتى يدخل ذلك في نسبة النعمة إلى غير الله ﷻ، الأمر الذي يقدح

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، الشيخ عبد الله الغنيمان ١/ ٩٧.

في توحيد الربوبية.

ونسبة نزول المطر للضغط الجوي، والمنخفض الجوي، وإن كان «سبباً حقيقياً، ولكن لا يفتح هذا الباب للناس، بل الواجب أن يقال: هذا من رحمة الله، هذا من فضله، ونعمه»[(١)].

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ١/ ٥٦٨.

المطلب الثالث: الجزم بمعرفة وقت نزول المطر.

الجزم بمعرفة نزول وقت المطر من نواقض توحيد الربوبية، لأنَّ العلم بنزول الغيث من مفاتيح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله ﷻ، قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان: ٣٤]، فالله ﷻ هو وحده الذي ينزل الغيث «في الأوقات التي جعلها معينة لإنزاله، ولا يعلم ذلك غيره»(١) ، وقال القرطبي: «أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه، إلا من اصطفى من عباده، فمن قال: إنه ينزل الغيث غداً، وجزم فهو كافر، أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا...فإن لم يجزم، وقال: إن النوء ينزل الله به الماء عادة، وأنه سبب الماء عادة، وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر، إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به، فإن فيه تشبيهاً بكلمة أهل الكفر، وجهلاً بلطيف حكمته، لأنه ينزل متى شاء، مرة بنوء كذا، ومرة دون النوء»(٢).

وجاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله،

---

(١) فتح القدير ٤/ ٢٤٥.

(٢) تفسير القرطبي ٧/ ٢.

ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»[(١)].

«وهذه النصوص وغيرها قد دلّت على أنَّ علم وقت نزول المطر مختص بالله وحده دون ما سواه، فلا يستطيع أحد أن يعرف وقت نزول المطر، ويجزم به، لأنه يكون مدعياً لعلم الغيب الذي اختصَّ الله به، فمن ادّعى ذلك، وجزم به فهو كافر.

أما إذا لم يجزم بذلك، وجعل الحكم بحسب العادة، والتجربة، فلا يُكفّر، ولا يُفسّق، لأن ذلك جائز»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾، رقم الحديث (٧٣٧٩).

(٢) علم الغيب في الشريعة الإسلامية، ص٧٦.

الفصل الرابع:

الشرك في الربوبية بتعطيل أفعال الله تعالى وفيه سبعة مباحث:

المبحث الأول: إنكار البعث واليوم الآخر.

المبحث الثاني: إنكار الرسل والرسالات.

المبحث الثالث: إنكار الشرائع.

المبحث الرابع: إنكار الأفعال والصفات الاختيارية لله سبحانه وتعالى.

المبحث الخامس: إنكار القدر.

المبحث السادس: مذهب الروحية الحديثة.

المبحث السابع: مذهب العلمانية غير الملحدة.

توطئة:

من أنواع صفات الله ﷻ الصفات الفعلية، أو الصفات الاختيارية، والصفات الفعلية هي التي تدل على صفة، وزمن، وهي المتعلقة بمشيئة الله ﷻ، وقدرته، واختياره، وتتجدد حسب المشيئة، فإن شاء الله ﷻ فعل، وإن لم يشأ لم يفعل، ويقال فيها: قديمة النوع، حادثة الآحاد، وذلك كالاستواء، والنزول، والمجيء، والغضب، والرضى، ونحو ذلك من أفعال الله ﷻ.

وأفعال الله ﷻ نوعان:

أفعال لازمة، كالاستواء، والمجيء.

أفعال متعدية، كالخلق، والرزق[(١)].

وأفعال الله ﷻ من حيث قيامها بذاته، تُسمّى صفات ذات، ومن حيث أنها متعلقة بمشيئة الله ﷻ يفعلها إذا أراد، تُسمّى صفات أفعال[(٢)]، وأفعال الله ﷻ لا منتهى لها، قال الله ﷻ: ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومن مظاهر الشرك في الربوبية تعطيل بعض أفعال الله ﷻ، كما سيأتي في المباحث التالية:

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٢٣٣، ومختصر الصواعق ٣/ ١١٢٣.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٢١٧، وصفات الله ﷯ الواردة في الكتاب والسنة، ٣١.

المبحث الأول:

إنكار البعث، واليوم الآخر.

المبحث الأول: إنكار البعث، واليوم الأخر.

إنكار البعث واليوم الآخر، يتضمّن تعطيلاً لبعض أفعال الله ﷻ، كما سيأتي بيانه، قال الله ﷻ: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، قال ابن القيم: «فجعل كمال ملكه، وكونه سبحانه الحق، وكونه لا إله إلا هو، وكونه رب العرش المستلزم لربوبيته لكل ما دونه، مبطلاً لذلك الظن الباطل، والحكم الكاذب، وإنكار هذا الحسبان عليهم مثل إنكاره عليهم حسبانهم أنه لا يسمع سرهم، ونجواهم، وحسبان أنه لا يراهم، ولا يقدر عليهم، وحسبان أنه يسّوي بين أوليائه، وبين أعدائه في محياهم ومماتهم، وغير ذلك مما هو منزه عنه تنزيهه عن سائر العيوب والنقائص، وأن نسبة ذلك كنسبة ما يتعالى عنه مما لا يليق من اتخاذ الولد، والشريك، ونحو ذلك، مما ينكره سبحانه على من حسبه أشد الإنكار، فدلَّ على أن ذلك قبيح ممتنع نسبته إليه، كما يمتنع أن ينسب إليه سائر ما ينافي كماله المقدس...فإن ملكه الحق يستلزم أمره، ونهيه، وثوابه، وعقابه، وكذلك يستلزم إرسال رسله، وإنزال كتبه، وبعث المعاد ليوم يجزى فيه المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فمن أنكر ذلك، فقد أنكر حقيقة ملكه، ولم يثبت له الملك الحق، ولذلك كان منكر ذلك كافراً بربه، وإن زعم أنه يقر بصانع العالم، فلم يؤمن بالملك الحق الموصوف بصفات الجلال، والمستحق لنعوت

الكمال»[١].

كما يشرح ابن القيم أيضاً أنَّ إنكار البعث، واليوم الآخر مبنيٌّ على تعطيل بعض أفعال الله ﷻ، ونسبة العبث، وعدم الحكمة في خلق الخلق، وهذا قوله أنقله بتمامه لفائدته، فيقول: «وهو سبحانه يقرر المعاد بذكر كمال علمه، وكمال قدرته، وكمال حكمته، فإن شبه المنكرين له كلها تعود إلى ثلاثة أنواع:

أحدها: اختلاط أجزائهم بأجزاء الأرض على وجه لا يتميز، ولا يحصل معها تميز شخص عن شخص.

الثاني: أن القدرة لا تتعلق بذلك.

الثالث: أن ذلك أمر لا فائدة فيه، أو إنما الحكمة اقتضت دوام هذا النوع الإنساني شيئاً بعد شيء هكذا أبداً، كلما مات جيل خلفه جيل آخر، فأما أن يميت النوع الإنساني كله، ثم يُحييه بعد ذلك فلا حكمة في ذلك، فجاءت براهين المعاد في القرآن مبنية على ثلاثة أصول:

أحدها: تقرير كمال علم الربِّ –سبحانه– كما قال في جواب من قال: ﴿مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾[يس:٧٨–٧٩]، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٦﴾[الحجر:٨٥–٨٦]، وقال: ﴿قَدۡ

(١) التبيان في أقسام القرآن ٢/ ١٦٢.

عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾[ق: ٤] .

والثاني: تقرير كمال قدرته، كقوله: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ﴾[يس:٨١]،وقوله:﴿ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾[القيامة: ٤]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ﴾[الحج: ٦]، ويجمع سبحانه بين الأمرين كما في قوله: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾[يس: ٨١].

الثالث: كمال حكمته كقوله: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾[الدخان:٣٨]، وقوله:﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ﴾ [ص:٢٧] –إلى أن قال–: ولهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب تعالى، وكمال أسمائه، وصفاته تقتضيه، وتوجبه وأنه منزه عما يقوله منكروه كما ينزه كماله عن سائر العيوب، والنقائص»[1].

كما أنَّ إنكار البعث، واليوم الأخر يتضمن ظنَّ السوء بالله ﷻ، وذلك أنَّ «من ظن به أن يترك خلقه سدى معطلين عن الأمر، والنهي، ولا يرسل إليهم رسله، ولا ينزل عليهم كتبه، بل يتركهم هملاً كالأنعام، فقد ظنَّ به ظنَّ السوء، ومن ظنَّ أنه لن يجمع عبيده بعد موتهم للثواب والعقاب، في دار يجازي المحسن فيها بإحسانه، والمسيء بإساءته، ويبين لخلقه حقيقة ما اختلفوا

---

(١) الفوائد، ص٦-٧.

فيه، ويظهر للعالمين كلهم صدقه، وصدق رسله، وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين فقد ظن به ظن السوء»[١].

وإنكار البعث، واليوم الآخر في العصر الحديث له صور، وأمثلة، وهي كالتالي:

قد يكون إنكاراً لمعاد الأجساد مع الإقرار بمعاد الأرواح، وذلك عند من تأثر بمذهب الفلاسفة.

ويكون إنكار البعث بالقول بتناسخ الأرواح، وانتقالها إلى أجساد أخرى، كما هو عند الدروز، والنصيرية[٢].

وقد يكون إنكاراً لبعث الأرواح، والأجساد، كما هو شائع في العصر الحديث عند الملاحدة، وأصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة التي تنكر الغيبيات، وقد تقدم طرف من مذاهبهم[٣].

وكذلك أيضاً مذهب الروحية الحديثة، إذ يدّعون أنَّ الأرواح التي تخاطبهم في سعادة، وهناء، ويقلون: إن باب التوبة مفتوح بعد الموت، وأنَّ الجنة والنار حالة عقلية، يتخيّلها الفكر، من غير حقيقة لهما، وكلُّ ذلك من

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٢٠٤.

(٢) ينظر: طائفة النصيرية، تاريخها، وعقائدها، ص٨٥.

(٣) ينظر صفحة: ١٢٢.

إنكار اليوم الآخر، وسيأتي مزيد بيان لهذا المذهب -إن شاء الله تعالى-[١].

---

(١) ينظر صفحة: ٤٨٩.

المبحث الثاني:

إنكار الرسل والرسالات.

المبحث الثاني: إنكار الرسل والرسالات.

جاء في القرآن الكريم أنَّ الرسالة لم تخل منها أمة من الأمم، قال الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾[النحل: ٣٦]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[فاطر: ٢٤] .

وبيّنَّ الله ﷻ أنه بعث الرسل، والنبيين مبشرين من طاعهم، ومنذرين من عصاهم، فقال: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾[البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[الكهف: ٥٦].

وبيّن الله ﷻ أنه لا يُهلك أمّةً حتى يبعث فيها رسولاً، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ﴾ [القصص: ٥٩]، وقال الله ﷻ: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الإسراء: ١٥].

فبعثة الرسل للبشر من ضروريات وجودهم في الحياة الدنيا، وهي أيضاً من مقتضيات لطف الله ﷻ، ورحمته بخلقه، ومن مقتضيات حكمته من الخلق، وكذلك من مقتضيات ربوبيته تعالى، وما كان الله ﷻ ليذر الناس على ما هم عليه حتى يُعرّفهم بحقّه من طريق رسله، وأحد الأسئلة التي يُواجه بها

الناس يوم القيامة: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[القصص: ٦٥].

وإرسال الرسل لا ينكره إلا معاند لم يقدر الله ﷻ حق قدره، ولذلك قال الله ﷻ:﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٩١]، «أي ما عرفوه حق معرفته، في اللطف بعباده، والرحمة لهم، إذ أنكروا بعثه للرسل، وإنزاله للكتب»[1]، فمن أنكر الرسالة على وجه العموم، أو أنكر رسالة رسول فما عظم الله ﷻ حق تعظيمه، ولا عرفه حق معرفته.

ومن أنكر نبوة نبيٍّ، أو رسالة رسول، كان إنكاره ذلك «إنكاراً للرب تعالى في الحقيقة، وجحوداً له، فلا يمكن الإقرار بربوبيته، وإلهيته، وملكه، بل ولا بوجوده مع تكذيب»[2] رسله وأنبيائه.

وإنكار الرسل، والرسالات، كما كان فيمن سلف من أهل البغي، والمكابرة الذين قالوا: ﴿ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ﴾[الأنعام: ٩١]، فكذلك في هذا الزمن خرج هذا الإنكار في صورة معاصرة، ولا سيما في العالم العربي، فقد خرجت صيحات إلحادية تحاول عبثاً الطعن في مصداقية الرسالة، والنبوة.

والإلحاد في العالم العربي نزع في إلحاده ابتداءً إلى إنكار الرسالة، والطعن في الرسل، ليكون ذلك ذريعةً إلى إنكار وجود الله ﷻ بالكلية،

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل، ص ٤٤٣.

(٢) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص ١٨٨.

وتعطيل ربوبيته، لأن الرسل هم الواسطة في البلاغ بين الله ﷻ، وبين خلقه، فإذا أُسقطت هذه الواسطة استطاع الملاحدة التوصّل إلى إنكار وجود الله ﷻ، أو التشكيك فيه، ومن هنا ندرك خطر ما ينشر من شبهات، وتشكيك حول عصمة النبي محمد ﷺ، وما يُلقى من آراء عبر وسائل الإعلام الحديث ترمي إلى ذلك الغرض(١).

وكذلك أيضاً مما يدخل في هذا المبحث من إنكار الرسل، والرسالات، ما ورّثته الصوفية الغالية، والمذاهب الفكرية الفلسفية من اعتقادهم في النبوة، والرسالة أنها مكتسبة، وليست اصطفاءً من الله ﷻ، وأنها حرفة من الحرف كالولاية، والسياسة، يكتسبها من أرادها بالرياضة، والمجاهدة، ومن توفرت فيه شرائطها الثلاثة، «قوة الحدس الصائب التي يسمونها القوة القدسية، وقوة التأثير في العالم، وقوة الحس التي بها يسمع ويبصر المعقولات متخيلة في نفسه»(٢)، وعلى ذلك فالنبي رجل عبقري له صفات يحصل عليها بالمران والخبرة والدربة.

فإنكار الرسل، أو دعوى أنَّ النبوة مكتسبة، ناقض من نواقض توحيد الربوبية، لإنكاره بعض أفعال الله ﷻ، من الحكمة، والرحمة، والحُكم(٣).

---

(١) ينظر: من تاريخ الإلحاد في الإسلام، ص ٥.

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٧/ ٥٨٨.

(٣) ينظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ٤/ ١٧٥.

المبحث الثالث:

إنكار الشرائع.

المبحث الثالث: إنكار الشرائع.

من أسماء الله ﷻ الحَكَم، ومن صفاته وأفعاله: الحُكْم، قال الله ﷻ: ﴿فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝١١٣﴾[البقرة: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِۖ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [الممتحنة: ١٠].

ومما يدخل في إنكار أفعال الله ﷻ، إنكار حكمه الشرعي بين الناس، إذ أحكام الله ﷻ ثلاثة أنواع: الحكم القدري، والحكم الشرعي، والحكم الجزائي، والمراد هنا في هذا المبحث هو حكم الله ﷻ الشرعي من الأمر والنهي، كما قال الله ﷻ: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا﴾[المائدة: ٤٨].

وإنكار الشرائع، أو إنكار شيء منها يدخل في عموم إنكار أفعال الله ﷻ، ومن أفعال الله ﷻ الحُكْم.

والإنكار للشرائع إما أن يكون على وجه العموم، فيجحد المنكر أن يكون الله ﷻ أنزل شريعةً على الناس، كما قال الجاحدون: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ [الأنعام: ٩١]، وهذا شائع عند أصحاب المذاهب الفكرية الإلحادية المعاصرة، فإنهم ينكرون جميع الأديان، ويكفرون بجميع الشرائع، وبنوا

أصول مذاهبهم على هذا الأساس(١).

أو يجحد الشريعة التي نزلت على النبي محمد ﷺ، كما آل إليه أمر غلاة الصوفية من إبطال الشرائع، وسقوط التكاليف لمن بلغ منهم غاية التصوف، ودرجة اليقين -عندهم-، فيرى الكون كله شيئاً واحداً، ومظهراً واحداً عن الله ﷻ، وذلك بعد أن مهّدوا لإبطال الشرائع بوحدة الوجود، حتى يصل الصوفي إلى حالٍ يستخفُّ فيها بالشرائع، ولا يعمل فيها بأيِّ شريعة، أو دين، حتى أباح زنادقتهم لأنفسهم كل المحرمات.

وهذا الهراء الصوفي، مقصوده إبطال الشريعة، وإنكارها، قد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أنَّ ذلك هو مقصودهم من بدعهم ومحدثاتهم، قال -رحمه الله-: «فإني رأيت أهل البدع، والضلالات، والأهواء، كالمتفلسفة، والباطنية، والملاحدة، والقائلين بوحدة الوجود، والدهرية، والقدرية(٢)، والنصيرية، والجهمية...وغيرهم من أهل البدع، قد تجاذبوا فيها بأزمّة الضلال، وبان لي أن كثيراً منهم إنما قصد إبطال الشريعة المقدسة المحمدية الظاهرة على كل دين،

---

(١) ينظر على سبيل المثال كتاب: وهم الإله، للملحد ريتشارد دوكنز، أنكر وجود الإله، وأنكر على أثر ذلك الأديان كلها.

(٢) سمّوا بذلك لقولهم في القدر، وهم يزعمون أن العبد هو الذي يخلق فعل نفسه استقلالاً، ويسمّون مجوس الأمة، ومتقدموهم ينكرون علم الله تعالى بالأشياء قبل وجودها، ومن أشهر فرقهم المعتزلة. ينظر: (مقالات الإسلاميين ١/ ٢٩٨، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٨/ ٤٣٠_ ٤٥٠).

العلّية، وأن جمهورهم أوقع الناس في التشكيك في أصول دينهم»[١].

وكما هو أيضاً موقف كثير من اللبراليين، والعلمانيين في الزمن المعاصر من محاولة إلغاء الشريعة من حياة الناس، واستبدالها بغيرها، وسلكوا شتّى الوسائل إلى غرضهم، وحالوا توظيف كل حدث يمرُّ على المسلمين، لأجل إسقاط هيبة الشريعة من القلوب، تمهيداً لرفضها، وإنكارها بالكلية[٢].

وكذلك أيضاً من أمثلة إنكار الشرائع في العصر الحديث، أصحاب الدين الطبيعي، أو المذهب الربوبي، وهو مذهب نشأ في العصر الحديث في القرن السابع عشر ميلادي، وهذا المذهب يؤمن أصحابه بوجود إله خالق للكون، ويستخدمون الخطاب الديني بالإيمان بوجود الخالق، ولكن بعد تفريغه من محتواه، لأنهم يرون أن الوصول إلى هذا الإله، يتمُّ عبر طريق التأمل في قوانين الطبيعة، وآلياتها، إذ هي الدليل عليه.

وهذا المذهب مع إيمانه بوجود الخالق، إلا أنَّ إنكار الشرائع من أخص سماته، ويرون أن قوانين الطبيعة توازي الكتب المقدسة، ومن ثَمَّ لم تكن حاجة إلى وحي، أو كتاب مقدس، أو أي تدخل إلهي في تنظيم الحياة البشرية، لكفاية الأنظمة الطبيعية الكونية[٣].

أو يكون الإنكار للشرائع إنكاراً جزئياً، كما قال الله ﷻ عن اليهود إذ

---

(١) الأعلام العلية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، ص٣٣.

(٢) ينظر: حقيقة الصوفية وحدة الوجود الخفية، ص٢٣١، والعلمانية نشأتها، وتطورها، وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، ص٥٦١.

(٣) ينظر: العلمانية الجزئية، والعلمانية الشاملة ٢/ ٥١.

زعموا الإيمان بشريعتهم، وكفروا بما سواها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]، «والمعنى أنهم إنما كفروا حسداً لمحمد ﷺ، لما تفضل الله عليه بالرسالة»(١)، ومن كفر بشريعة واحدة، فقد كفر بجميع الشرائع.

كما يدخل في هذا المعنى أيضاً إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، وذلك أنَّ «الإيمان بوجوب الواجبات الظاهرة المتواترة، وتحريم المحرمات الظاهرة المتواترة، هو من أعظم أصول الإيمان، وقواعد الدين، والجاحد لها كافر بالاتفاق»(٢).

وهذا الإنكار له صور: فربما كان إنكاراً صريحاً ظاهراً، أو يقول بتحريم ما كان حلالاً بالإجماع، وكذلك لو اعترف شخص بهذا الحكم المعلوم من الدين بالضرورة، لكنه لا يقبله، ويأبى أن يذعن لله ﷻ في حكمه، ويرفض الانقياد لهذا الحكم عناداً، واستكباراً.

وشيخ الإسلام ابن تيمية يفصّل المقال في حكم هذه المسألة، فيقول: «إنَّ العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرمه عليه، واعتقاد انقياده لله فيما حرمه، وأوجبه، فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه، أو أنه حرمه، لكن امتنع من قبول هذا التحريم، وأبى أن يذعن لله، وينقاد، فهو إما جاحد، أو معاند، ولهذا قالوا: من عصى مستكبراً كإبليس كفر بالاتفاق، ومن عصى

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ٩٠.

(٢) مجموع الفتاوى ١٢/ ٤٩٦.

مشتهياً لم يكفر عند أهل السنة والجماعة، وإنما يكفره الخوارج، فإن العاصي المستكبر، وإن كان مصدقاً بأن الله ربه، فإن معاندته له، ومحادته تنافي هذا التصديق.

وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلاً لها، فهو كافر بالاتفاق، فإنه ما آمن بالقرآن من استحلَّ محارمه، وكذلك لو استحلَّها بغير فعل، والاستحلال اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية، أو لخلل في الإيمان بالرسالة، ويكون جحداً محضاً غير مبني على مقدمة، وتارة يعلم أن الله حرمها، ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله، ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم، ويعاند المحرم، فهذا أشدُّ كفراً ممن قبله، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذبه، ثم إن هذا الامتناع، والإباء، إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر، وقدرته، فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمرداً، أو إتباعاً لغرض النفس، وحقيقته كفر هذا، لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به، ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك، ويبغضه، ويسخطه، لعدم موافقته لمراده، ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقر بذلك، ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق، وأنفر عنه، فهذا نوع غير النوع الأول، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع»[1].

---

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول، ص ٥٢١.

وهذه الصور، والأمثلة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، لإنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة، قد كثرت في هذا العصر، وتنوعت أساليب دعاتها، وتطالعنا الصحف بأوابد الكتبة الصحفيين، من التهكم ببعض أحكام الشريعة خوضاً في دين الله ﷻ، وردّاً لبعض أحكام الشريعة، مما لا يوافق أهواءهم، ويقضي على مشروعهم التغريبي، وكذلك بعض الأحكام تردُّ، لأجل خلاف شاذ فيها! والله المستعان.

المبحث الرابع:

إنكار الأفعال، والصفات الاختيارية لله ﷻ.

المبحث الرابع: إنكار الأفعال، والصفات الاختيارية لله ﷻ.

أفعال الله ﷻ تدخل في عموم الصفات الاختيارية، والصفات الاختيارية لله ﷻ، «هي الأمور التي يتصف بها الربُّ ﷻ، فتقوم بذاته بمشيئته، وقدرته، مثل كلامه، وسمعه، وبصره، وإرادته، ومحبته، ورضاه، ورحمته، وغضبه، وسخطه، ومثل خلقه، وإحسانه، وعدله، ومثل استوائه، ومجيئه، وإتيانه، ونزوله، ونحو ذلك من الصفات التي نطق بها الكتاب العزيز والسنة»(١).

وأيضاً يقال في تعريفها بعبارة أخرى لمزيد التوضيح، والبيان: «هي الصفات التي يمكن مفارقتها له مع بقاء الذات، أو الصفات التي تنفك عن الذات، أو الصفات التي تتعلق بالمشيئة، والقدرة»(٢).

والصفات الاختيارية تتضمن بعض الصفات الذاتية التي لها تعلق بالمشيئة، وتتضمن الصفات الفعلية غير الذاتية.

وهذه الصفات الاختيارية، إما أن تكون من باب الأفعال، كالمجيء، والنزول إلى سماء الدنيا.

أو من باب الأقوال، والكلمات، مثل الكلام، والنداء، والمناجاة،

---

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية ٢/ ٣، وينظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٦/ ٢١٧-٢٤٤.

(٢) الصفات الإلهية، تعريفها، أقسامها، ص ٦٩.

والقول.

أو من باب الأحوال، مثل الفرح، والعجب، والرضا، والغضب، والضحك[(١)].

وضابط الصفات الاختيارية أنها كل ما كان بعد عدمه من الصفات، وذلك يكون بمشيئة الله ﷻ، وقدرته[(٢)].

وأوّل من شَهَرَ القول في الإسلام بإنكار الصفات الاختيارية، وأفعال الله ﷻ هم الجهمية المعطلة، أنكروا محبّة الله ﷻ، وخلّته، واستواءه على عرشه، وهذا الإنكار لبعض الصفات، والأفعال يتضمن إنكاراً لبعض خصائص الربوبية، ونفي الصفات التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، وهذا إما أن يكون ناقضاً من نواقض توحيد الربوبية، كما كفر السلف الجهمية[(٣)].

وإما أن يكون قادحاً من قوادح توحيد الربوبية، لتضمنّه نفي شيء مما يجب الإيمان به من توحيد الربوبية، لشبهة التأويل، وما خاض فيه المتكلمون من قطعية الدليل العقلي، كما هو الحال عند المعتزلة، والأشاعرة، ومن سلك سبيلهم، فإن لهم تأويلاً لنصوص الصفات، صرفوها عن ظاهرها المراد، إلى

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل ٤/ ٢٣، والصفات الإلهية، تعريفها، أقسامها، ص ٦٩.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٦/ ٢٤٤، والصفات الإلهية، تعريفها، أقسامها، ص ٦٩.

(٣) ينظر: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي ١/ ١٧٨، و مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ٣٥١.

معاني مرجوحة، أو باطلة[١].

وهؤلاء الطوائف المعطلة نفاة الصفات، ما زال لهم وجود في هذا الزمن المعاصر، ولكل قوم وارث، وقد تابعوا أسلافهم في ذلك، وما زالت بعض الأحزاب المعاصرة في بعض الدول الإسلامية ترفع عقيرتها بمذهب الاعتزال، وتنادي بمبادئه[٢].

(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ص١٥٠،وأساس التقديس، ١٠٥، و مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٦/ ١٤٧- ٥٢٠ -٥٢٤.

(٢) ينظر على سبيل المثال: الجهمية والمعتزلة، نشأتها، وأصولها، ومناهجها، وموقف السلف منها، ص٢٠٠، وفرقان الفرقان في صفات الخالق وصفات الأكوان، ص٩٥، وابن تيمية ليس سلفياً، ص٧، ومقالات الكوثري، ص٢٨٨.

المبحث الخامس:

إنكار القدر
وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعطيل القدرية لأفعال الله ﷻ.

المطلب الثاني: إنكار القدر عند الملاحدة.

المطلب الثالث: إنكار القدر عند العقلانيين.

توطئة:

القدر لغةً من التقدير، و«القاف، والدال، والراء أصل صحيح، يدل على مبلغ الشيء، وكنهه، ونهايته، فالقدر: مبلغ كل شيء، يقال: قدره كذا، أي: مبلغه، وكذلك القدر، وقدرت الشيء أقدره، وأقدره من التقدير»(١).

والمعنى اللغوي له ارتباط بالمعنى الشرعي، فالقدر شرعاً هو «قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها، ونهاياتها التي أرادها لها»(٢)، أو يقال أيضاً بعبارة أوضح بياناً: «هو تقدير الله ﷻ الأشياء في القدم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها»(٣).

وفي هذا الزمن كثر الخوض في مسائل القدر، وتوسع بعض الناس في الجدال فيه، سواء كان ذلك بين طوائف أهل القبلة(٤)، أو كان عند أعداء الإسلام من المستشرقين، وأضرابهم، وأصبح أعداء الإسلام يثيرون الشبهات في عقيدة المسلمين في باب القدر، ويكثرون الخوض فيه، ويحاكمون أفعال الله

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٦٢.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ٥/ ٦٢.

(٣) القضاء والقدر، للدكتور عبد الرحمن المحمود، ص٣٩.

(٤) طوائف أهل القبلة في باب القدر على ثلاثة أقوال، طرفي نقيض، ووسط، فأهل السنة والجماعة وسط بين الجبرية القائلين: إن العبد مجبور على فعله، وبين القدرية القائلين: إن العبد يخلق فعل نفسه، فقال أهل السنة والجماعة: أفعال العباد مخلوقة لله، ولهم إرادة واختيار. ينظر: العقيدة الواسطية، ص ٣٠.

ﷻ، ويقيسونها على أفعال العباد، وكان ذلك سبباً لمزالق بعض من اغترَّ بشبهاتهم، بل وأحياناً يكون سبباً للإلحاد، والخروج من ربقة الإيمان.

وفيما يلي من المطالب الثلاثة التالية أذكر أبرز مظاهر ذلك في العصر الحديث.

المطلب الأول: تعطيل القدرية لأفعال الله ﷻ.

القدرية هم المنكرون للقدر، وغالباً ما يطلق هذا على الغلاة نفاة القدر، الذين زعموا أن الله ﷻ لا يعلم بالأشياء قبل وقوعها، وأنكروا علم الله ﷻ السابق، وزعموا أنَّ الله ﷻ لم يقدر أفعال العباد سلفاً، ولم يعلمها، ولم يكتبها في اللوح المحفوظ، وأن الأمر أنف، فأنكروا العلم، والكتابة، وتقدير عموم أفعال المكلفين خيرها، وشرّها، وهؤلاء هم القدرية الغلاة، وأوّل من قال بهذه البدعة هو معبد الجهني(١)، وذلك في آخر زمن الصحابة، وقد تبرّأ الصحابة من مذهبه كابن عمر، وأنس، وغيرهما -رضي الله عنهم-(٢).

ثم خلف غلاة القدرية في بدعتهم، القدرية المتوسطون، بعد أن بيّن العلماء شناعة مذهبهم، فصار جمهور القدرية المتأخرين يقرّون بالعلم المتقدم، والكتاب السابق، لكن ينكرون عموم مشيئة الله ﷻ، وقدرته، وخلقه لأفعال العباد، فأنكروا أن يكون الله ﷻ خالقاً لأفعال العباد، أو بعضها، وقالوا: إن الله ﷻ لا يخلق الشر، ولا يقدّر المعاصي والذنوب، فينكرون من القدر مرتبتي: الإرادة، والخلق، وينسبون ذلك للإنسان، وهذا ما استقرت عليه القدرية،

---

(١) معبد بن عبد الله بن عليم ـ وقيل: عكيم ـ الجهني البصري القدري ـ توفي عام ٨٠هـ ـ . ينظر: (سير أعلام النبلاء ٤/ ١٨٥).

(٢) ينظر: شرح النووي لصحيح مسلم ١/ ١٥٠، والاحتجاج بالقدر، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص٩١.

وعلى رأسهم المعتزلة الذين بنوا مذهبهم على أصولهم الخمسة، ومنها العدل الذي ستروا تحته نفي القدر، وأن العبد يخلق فعل نفسه[١]، وهم بذلك قد.أنكروا شيئاً من أفعال الله ﷻ، وهو خلق أفعال العباد، ولا ريب أن هذا قادح في توحيد الربوبية.

وما زالت بدعة القدرية إلى هذا الزمن المعاصر، وذلك في كل من تأثر بمذهب المعتزلة.

وفي الزمن المعاصر خرج من يدعو إلى مذهب المعتزلة في القدر، ويجدد أنصاب مذهبهم، ومن ذلك ما قاله الدكتور عبد الكريم عثمان مشيداً بمذهب المعتزلة: «المتتبع لحياة كبار ورجال الاعتزال، يجد أن أحداً لا يجاريهم في هذا الميدان، لأنهم كانوا يعتبرون العمل فيه واجبهم الأساسي، وهكذا فقد دافعوا عن التوحيد أشد دفاع، ورفضوا أن يتحول القول بوحدانية الله إلى نوع من التجسيم يعود بالمسلمين إلى وثنية جديدة، ودافعوا عن العدل الإلهي، وأبوا أن يناصروا الباطل، فيرمى الله بالحيف، والظلم، تعالى الله عن ذلك»[٢].

ثم يحاول في موضع أخر أن يدفع عن المعتزلة معرّة قولهم في القدر، وما ردَّ به أهل السنة عليهم من إسناد الخلق لغير الله ﷻ في أفعال العباد، فقال:

---

(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ص٣٠١، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه، ص٣٠٥.

(٢) مقدمة شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار الهمداني، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، ص٣٥.

«وفي رأينا أن قول المعتزلة والقاضي[١] في الأفعال، لا يحدُّ من قدرة الله ومشيئته، ولا يؤدي إلى استقلال العباد في أفعالهم استقلالاً تاماً عن قدرة الله تعالى، وأما أن هذه النظرية لا تؤدي إلى كون العبد مستقلاً في فعله عن الله، فلأنه هو الذي أقدره على فعله، ومكنه منه، مع هيمنته المطلقة على الإنسان، والمخلوقات جميعاً، فإن شاء منعه، وإن شاء أمكنه الاستمرار عليه، سواء خالف مراد العبد في التصرف، أو وافقه»[٢].

والأمثلة على ذلك كثيرة، من كتابات من تأثر بالمعتزلة، ويدعو إليها في هذا الزمن[٣].

---

(١) أي: القاضي عبد الجبار المعتزلي.

(٢) كتاب: قاضي القضاة عبدالجبار بن أحمد الهمداني، ص١٩٧.

(٣) ينظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه، ص٢٢٠.

المطلب الثاني: إنكار القدر عند الملاحدة.

العصر الحديث يتسم بكثرة انتشار المذاهب الفكرية، والغربية على وجه الخصوص، وهذه المذاهب تجتمع في قضايا مشتركة، على اختلاف أفكارها ومبادئها، ومن هذه القضايا الإلحاد، وإنكار الدين، وهذه المذاهب الفكرية تتحدث عن قضية مهمة، بنت عليها أفكارها، وهي قضية حرية الإنسان، هل هو حرٌّ في أفعاله؟ وهل هو مسئول عن أعماله؟ وهل عليه ضغوط في ذلك؟ وبالتالي فهو معذور لا يُلام على ما يفعل[(١)].

هذه القضية وإن اختلفوا في تناولها، إلا أنهم متفقون على أنَّ الإنسان له الحرية التامة بلا قيد، فيما يأتي، وما يذر، وهذه الحرية خرجت من تصوراتهم تجاه دوافع الإنسان على ممارسة الأشياء، ومن هنا جاءت أفكار بعض المذاهب الإلحادية لتتوافق مع من أنكر القدر، وخلق الله ﷻ لأعمال العباد، وإن كانت هذه المذاهب الإلحادية ابتداءً لا تؤمن بوجود الله ﷻ حتى يصحَّ منها القول في القدر!

فمذهب الوجودية الإلحادي الذي دعا إليه سارتر، يكرّس مبدأ إنكار القدر جملة وتفصيلاً، من منطلق أن وجود الإنسان لا يخضع لشيء، ومن ذلك أن الإنسان يسير في هذه الحياة بلا قدر سابق، بل الإنسان بحريته الاختيارية يخلق ماهيته، ويحدّد وجوده[(٢)].

---

(١) ينظر: القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه، ص٢١٧.

(٢) ينظر: كواشف زيوف المذاهب الفكرية، ص٣٦٤.

المطلب الثالث: إنكار القدر عند العقلانيين.

المراد بالعقلانيين في هذا المطلب، هم أصحاب المدرسة العقلية الحديثة التي سبق الكلام على شيء من أفكارها[(١)]، ومن فروع أفكار هذه المدرسة ما يتعلق بالإيمان بالقدر، وهؤلاء تغلب عليهم النزعة الاعتزالية فيما يتعلق بالعقائد، فجاء مذهبهم في القدر كالذي نحا إليه أهل الاعتزال من إنكار القدر في مسألة خلق أفعال العباد، وحتى كتاباتهم المعاصرة جاءت متوافقةً مع هذا الفكر الاعتزالي.

غير أنَّ هؤلاء المعتزلة الجدد أربوا على أسلافهم، وأتوا بما لم يأت به من تقدمهم، فزعم بعضهم أنَّ من أسباب تأخر المسلمين في العصر الحديث، وانحطاطهم، وتخلّفهم عن ركب الحضارة هو الإيمان بالقضاء والقدر، وردِّ الأمور إلى مشيئة الله ﷻ[(٢)].

ومنهم من زعم أنَّ الإنسان يتمتع بالحرية المطلقة في أفعاله وتصرفاته، وأنَّ الإسلام جاء ليحرر الإنسان من الاعتقاد بسلطان القدر![(٣)].

ومنهم من أنكر تقدير الله ﷻ أرزاق العباد، وآجالهم، وأعمالهم، فيقول أحدهم: «لقد ظنَّ الكثير أن عمر الإنسان، ورزقه، وعمله مكتوب عليه

---

(١) ينظر صفحة: ١٦٤.

(٢) ينظر: موقف البشر تحت سلطان القدر، ص٢١٨.

(٣) ينظر: القرآن ومشكلات حياتنا المعاصرة، ص٧٩.

سلفاً»[١].

وهذا الإنكار للقدر، سببه -والله أعلم- هو جنوحهم إلى الاحتكام إلى العقل في المسائل الإيمانية الغيبية التي تحار فيها العقول.

---

(١) القراءة المعاصرة، لمحمد شحرور، ص ٤١١.

المبحث السادس:

مذهب الروحية الحديثة.

المبحث السادس: مذهب الروحية الحديثة.

خرج في هذا العصر الحديث من رحم الماسونية، واليهودية العالمية، مذهب كان منطلقه إثبات الجانب الروحي في الإنسان، وضرورة الاهتمام به، على النقيض من إنكار وإغفال الجانب الروحي من قبل رواد الفكر المادي الإلحادي، حتى تعدّى ذلك إلى إحياء وثنيات التعامل مع الأرواح، وتحضيرها، واستمداد طاقة أرواح الموتى، ويدعي أصحابها أنهم يستحضرون أرواح الموتى من مسلمين، ويهود، ونصارى، وبوذيين، وأهل جاهلية على تباين نحلهم، ويزعمون أنهم يعيشون جميعاً في سعادة، وهناء.

كما أنهم أيضاً يستمدون طاقة أرواح الكواكب، والأفلاك، ويزعمون تأثيرها.

وقد انتهجوا فيما زعموه من استدعاء الأرواح طريقةً ماكرةً، إذ يزعمون ذلك تحت سلطان العلوم التجريبية، ومحاربة الإلحاد، والمادية الطاغية على الحياة المعاصرة، حتى خدعوا المخدوعين بباطلهم أنهم يستحضرون أرواح الموتى، ويكلمونهم، ويستفتونهم في مشاكل حياتهم، ويستعينون بهم على علاج الأمراض، والكشف عن العلاج الملائم، ويستنبئونهم عن المستقبل والغيب.

وقد اجتذبت هذه الدعوة كثيرين، فظنوا أنهم على الحق تحت تأثير ما يصوره لهم الوهم، والتمويه، والدجل، وما قد يقع لهم من الغرائب، وما لا

يدخل تحت إدراك الحواس [١].

ومذهبهم هذا يهدف من خلال ممارساته إلى أنَّ السعادة، والنجاة لا تحصل بالدين الذي يختاره الإنسان لنفسه، وخاصة الإسلام، بمعنى أن النجاة التي ينشدها الإنسان من تدينه تحصل بغير الدين، وطريقتهم هذه ترمي إلى الاستخفاف بالأديان، والشرائع، وتكوين مفاهيم لا تتقيد بالأديان، تمهيداً لإنكارها .

كما أنَّ أصحاب هذا المذهب يستخفّون غوغاء أهل الأديان من مسلمين، ونصارى، وغيرهم، لتنفيذ أجندتهم تحت مسميات لا تعدو ألفاظها، وليس لها من الحقيقة شيء، كالإنسانية والإخاء، ومحاربة المادية، والسعي نحو الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء الأديان.

ومذهب الروحية الحديثة يرتكز على استحضار أرواح الموتى، حتى زعموا لأنفسهم أنهم تخطّوا حاجز الموت إلى ما وراءه، والكشف عن المجهول، حتى اجتذبوا بهذه الخُدع كثيراً من الناس، وغرّهم في باطلهم ما كانوا يموّهون به على البلهاء والسذج، بأساليب يزعمون أنها علمية تجريبية، «وتعتمد في خداع المخدوعين بها على ما يتمتع به الأسلوب التجريبي في دراسة الظواهر الطبيعية، والإنسانية من تقدير، واحترام في هذه الأيام، وقد لقيت هذه المزاعم فوق ما يتوقعه أصحابها من رواج، حتى تسابقت إلى تتبع أخبارها، ونشر دعاواها صحف، ومجلات لم تكن من قبل تنشط لشيء يمسّ

---

(١) .ينظر: الموسوعة الميسرة ٢/ ٨٤٦، والروحية الحديثة، ص١٠، وما بعدها.

الروح، أو الحياة الآخرة، ولم تكن في يوم من الأيام داعية إلى الدين، أو الإيمان بالله، وكان كثيراً ما تنشر هذه الصحف، والمجلات في هذا الباب أدنى إلى الدعاية منه إلى الخبر»(١).

وقد تأثر بهذا المذهب بعض المسلمين، وحتى من رجال العلم والثقافة! وهذا مما ألهب الحماس لدى الدكتور محمد محمد حسين أستاذ الأدب العربي بجامعة الاسكندرية أن يكتب كتاباً ينقض هذا المذهب من داخله، ويأتي عليه من أصوله، إذ كان في زمن ممن تأثر بهذا المذهب حتى بان له عواره(٢).

وهذا المذهب الهدام قد جمع في أفكاره إنكاراً لأفعال الله ﷻ، ومن ذلك إنكار يوم القيامة الذي يتضمن إنكار البعث، والجزاء، والحساب، والفصل بين العباد، بدعوى أن الأرواح كلها من مختلف الديانات في راحة، وهناء، وسعادة، فهذه غايتها، ومنتهى أمرها.

كما يتضمن أيضاً إنكار الشرائع، وإنكار الرسل والرسالات، إذ الأديان في هذا المذهب لا قيمة لها، ولا جدوى من ورائها إذا كان الكلّ ينتهون إلى مصير واحد، لا يتمايزون فيه.

---

(١) الروحية الحديثة، ص١٦.

(٢) وهو كتاب: الروحية الحديثة دعوة هدامة، تحضير الأرواح وصلته بالصهيونية العالمية.

المبحث السابع:

مذهب العلمانية غير الملحدة.

المبحث السابع: مذهب العلمانية غير الملحدة.

العلمانية غير الملحدة وليد خرج من رحم مفهوم العلمانية التي تقدم الكلام عليها في الباب الأول[١]، ولما كانت العلمانية خاصة في البلاد الإسلامية مسخاً فكرياً لا يمكن تقبله، بخلاف البلاد الأوربية التي ارتبط مفهومها للدين بمفهوم الخرافة النصرانية، والوصاية الكنسيّة المتسلطة، فالعلمانية بالنسبة لهم تحرير من كهنوت الكنيسة وبطشها، وممارساتها الظالمة، ففروا من خرافة الكنيسة إلى حمأة الإلحاد، وإنكار وجود الله ﷻ، الذي يسمّونه: "إله الكنيسة".

فمذهب العلمانية الملحدة التي تنكر وجود الله ﷻ، عند المسلمين مذهب إلحاديٌّ شاذٌّ يهدف إلى إلغاء الدين، وقطع صلته بالحياة، فأفكار العلمانية لم تكن سائغةً لا شرعاً، ولا عقلاً، فهذا الطريق العلماني لم يكن مطروقاً عند المسلمين كالذي كان عند من تلظى بنار ظلم الكنيسة.

ومن مكر الملاحدة في العصر الحديث، أنه لّما وُضعت أفكار العلمانية في مكانها اللائق بها من مزبلة التاريخ، حاولوا تخفيف الرفض العارم للإلحاد العلماني، بإحداث مصطلح جديد ينفون به معرّة الشناعة الإلحادية.

وهذا العصر الحديث قد شهد «حالة مراجعة عميقة جداً إزاء تصور الفصل التام بين الدين والسياسة، وعلى سبيل المثال، فإن باريس، مهد الثورة

---

(١) ينظر صفحة:١٢٨.

الفرنسية، التي تبنت هذا الفصل التام بين الدين والسياسة، وصدرته إلى كل أنحاء العالم تقريباً، شهدت ميلاد مصطلح "العلمانية المؤمنة"»(١).

والعلمانية المؤمنة، أو العلمانية غير الملحدة، «هي علمانية لا تنكر وجود الله، وتؤمن به إيماناً نظرياً، لكنها تنكر تدخل الدين في شئون الدنيا، وتنادي بعزل الدين عن الدنيا»(٢)، في الحكم، والسياسة، وأطلقوا على الحكم بالشريعة الإسلامية مصطلح: الإسلام السياسي، فهم لا يحاربون الإسلام هكذا صراحة، ولكن من وراء حجاب خلف مصطلحات مضمونها القضاء على الحكم بالشريعة الإسلامية.

فالعلمانية غير الملحدة، أو «العلمانية المؤمنة، تطالب بدولة ديمقراطية مدنية حديثة تتمتع بكل أسس الحضارة المتقدمة، وتعتمد على تداول السلطة، وتطبيق برنامج سياسي، واجتماعي، واقتصادي منبثق من الأولويات الدنيوية المعاصرة، وليس التراث الديني الذي طبق في أزمنة مختلفة شكلاً ومضموناً»(٣).

إذا فالعلمانية غير الملحدة لا تنكر وجود الله ﷻ كالعلمانية الملحدة، ولكنها في تطبيقاتها من تنحية الدين عن الحياة في التعامل، والحكم، ومحاربة

---

(١) قطعة من مقال من مجلة المجلة، الصادرة من لندن، بتاريخ السبت، ٨ فبراير، ٢٠١٤م.

(٢) العلمانية وثمارها الخبيثة، ص١٦.

(٣) قطعة من مقال في صحيفة الدستور الأردنية، في العدد الصادر يوم الأثنين ٢٢ يوليو- يوليه – تموز ٢٠١٣م.

حكم الإسلام، تلتقي مع العلمانية الملحدة في مضمونها، والأولى أخبث وأضرَّ على المسلمين، لأنَّ الباطل إذا كان فيه شائبة من حق، كان أدعى للتلبيس والتدليس، بخلاف الباطل المتمحّض.

فالعلمانية غير الملحدة تنطلق من منطلق خطير جداً على الإسلام، وشريعته، فهدفها الرئيس ضرب أكبر قواعد الإسلام، وهي قاعدة: الإسلام دين ودولة، أو بعبارة أخرى: الإسلام عقيدة، وسياسة، وإحالة شريعة الإسلام إلى دين لاهوتي، يقتصر على العبادات الشخصية، منفصل كلياً عن مناهج السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، وشؤون الحياة العامة، فأصحاب هذا المذهب يريدون من مصطلح العلمانية المؤمنة، تفريغ الإسلام من أكبر مقرراته وتشريعاته، وأعظم معطياته، لكونه منهج حياة، ونظام، ودين، وسياسة، ليكون الإسلام شكلياً خالياً من مضمونه، وجسداً لا روح فيه، ولذلك تعالت صيحاتهم، ورفعوا عقيرتهم: بحرب الإسلام السياسي، كما زعموا(١).

وعلى ما تقدم فالعلمانية غير الملحدة، من خلال ظاهر حالها، تنكر من أفعال الله ﷻ الحكم، بمحاربتها الحكم بشريعة الإسلام، كالذي تقدم من الكلام على إنكار الشرائع(٢).

---

(١) ينظر: معلمة الإسلام ٢/ ٥٣٣.

(٢) ينظر صفحة: ٤٦٩.

الخـــاتـــمة

الخـــــاتمــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتنال المواهب، والمكرمات، فقد تم إنجاز هذا البحث، وإتمامه، بتوفيق الله تعالى، وعونه، وحسبي أني بذلت في ذلك وسعي، وجهدي، فما كان من صواب وسداد، فمن الله ﷻ، وله الفضل والحمد، وما كان من قصور، وخطأ، فمن نفسي، والشيطان، وأستغفر الله ﷻ، وأتوب إليه.

وإلى هنا ينتهي البحث، وقد حاولت جاهداً، الإلمام بالموضوع، واستيفاء البحث حقه، وقد حرصت فيه على التركيز، والإيجاز -قدر المستطاع- بين الإيجاز المخلِّ، والإطناب المملِّ، وقد توصلت إلى نتائج مهمة، وتوصيات على ما يلي:

النتائج:

أولاً: توحيد الربوبية هو أحد أقسام التوحيد الثلاثة، وتوحيد الربوبية في الاصطلاح الشرعي، هو إفراد الله ﷻ بأفعال الربوبية.

والربوبية مأخوذة من كلمة "ربّ"، ولفظة "الربُّ" مأخوذة من معنى التربية، وهي إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام، وهذا يتضمّن كمال الرعاية، والعناية، والقيام بالمصالح للخلق.

والربوبية يجتمع معناها في ثلاثة أصول: الخلق، والملك، والتدبير.

ثانياً: توحيد الربوبية توحيد فطري في البشر، وهو من لوازم خلقهم،

ضروري فيهم، ولهذا لم يكثُر في نصوص الكتاب، والسنّة الأدلة على إثبات وجود الله ﷻ، إذ هذه الفطرة تُقِرُّ بها قلوب البشر جميعاً، ولم يخالف في هذه الفطرة إلا شواذٌّ من البشر، وخصومة الأنبياء، والرسل مع أقوامهم لم تكن في قضية إثبات وجود الله ﷻ، واتصافه بصفات الربوبية، بل في قضية استحقاق الله ﷻ بالعبادة، وإفراده بالألوهيّة، والخلوص من إقرارهم بربوبية الله ﷻ على إلزامهم بإخلاص الدين له وحده لا شريك له.

ثالثاً: أنَّ ظهور نواقض توحيد الربوبية في العصر الحديث، له أسباب أدّت إليه، ومن أبرزها: الجهل، وطبيعة الإنسان الجدلية، وخصومته في ربه، والخلل في مفهوم التوحيد، والغلو في الأولياء، والصالحين، والتأثر بالفلسفات، والديانات القديمة.

رابعاً: أنَّ توحيد الربوبية له نواقض، وقوادح.

والنواقض هي اعتقادات، أو أقوال، أو أفعال ترفع التوحيد، وتزيله.

والقوادح هي التي تنقص التوحيد الواجب، أو كماله المستحب الذي لا يبلغ حدَّ الشرك، إما من جهة كونه وسيلةً إلى الشرك، أو ما ورد في النصوص كونه شركاً، ولا يبلغ حدَّ الشرك الأكبر المخرج من الملّة، أو يقدح في كماله الذي لا يبقى معه التوحيد الكامل.

ونواقض التوحيد بأقسامه الثلاثة بينها تلازم وتداخل، فالخلل، والانحراف في أيِّ نوع من أنواع التوحيد، هو في حقيقته خللٌ في التوحيد كلّه، ولكن هناك نواقض ألصق ببعض أقسام التوحيد من غيره، فتنسب إليه.

خامساً: من أعظم نواقض توحيد الربوبية في العصر الحديث، إنكار

وجود الله ﷻ، إذ لم يسبق في تاريخ البشرية مثل الذي كان في هذا الزمن، من تبني أغلب المذاهب الفكرية المعاصرة للإلحاد، والدعوة إليه، وإضفاءه على العلوم التجريبية الحسية، حتى اقترن التقدم، والتطور العلمي الدنيوي، والصناعي بالإلحاد.

وإنكار وجود الله ﷻ تمثل في جوانب من أبرزها ما يلي:

تأليه الطبيعة، ونسبة صفات الربوبية إليها، وإجراء قوانين الطبيعة على الخالق العظيم.

ووصف الله ﷻ بسلب النقيضين.

والشك، أو التشكيك في وجود الله ﷻ.

ومذهب وحدة الوجود الذي يؤول أمره إلى إنكار وجود الله ﷻ.

ودعوى أن كل موجود مفتقر إلى موجود قبله، حتى في وجود الخالق، وقياس وجود الله ﷻ على وجود المخلوق، وقادهم ذلك إلى إنكار وجود الله ﷻ.

وتأليه العقل، وتحكيمه في كل شؤون الحياة، حتى نزع أصحاب هذا المذهب على الإلحاد، والكفر بكل الغيبيات، وما وراء الحس.

ومن أغلظ أوجه إنكار وجود الله ﷻ، ترجمة ذلك من واقع السخرية، والاستهزاء، والشتم، والسبّ لجناب الربوبية.

وكذلك أيضاً نسبة الموت، والعدم للخالق العظيم، تعالى الله وتقدس، في مظهر من مظاهر إنكار وجود الله ﷻ.

سادساً: أنَّ من نواقض توحيد الربوبية في العصر الحديث، إنكار خلق الله

ﷻ، وجحد أن يكون الله ﷻ خالقاً، ونسبة الخلق إلى غيره تعالى على وجه التشريك، وذلك بالاعتقاد بقدم العالم، ودوامه، وما ترتب على ذلك من الاعتقاد في الكواكب، والنجوم، واعتقاد التأثير فيها.

وكذلك أيضاً إعطاء المخلوق صفة الخلق من القدرة المطلقة على التصرف في الكون، الذي هو من خالص صفات الربوبية.

وكذلك أيضاً الاعتقاد بأزلية المادة، وأبديتها، وأنَّ الكون نشأ منها بفعل تطورها، وتخليق الكائنات ذاتياً من دون خالق، واستمرار وجودها عن طريق الانتخاب الطبيعي، والبقاء للأقوى.

ومن إنكار خلق الله ﷻ، القول بوجود العالم والمخلوقات نتيجة المصادفة العشوائية، ومحاولة تفسيرها تفسيراً عقلياً.

سابعاً: أنَّ من أكثر صور الشرك في الربوبية في العصر الحديث خاصة عند بعض الطوائف المنتسبة للإسلام، اتخاذ الأنداد مع الله ﷻ في شيء من خصائص الربوبية.

وذلك مثل اتخاذ الأنداد مع الله ﷻ في الذات، باعتقاد صفات الربوبية لأحد من الخلق، وذلك عند الصوفية، والفرق الباطنية، من الإسماعيلية، والنصيرية، والدروز، والرافضة.

أو باتخاذ الأنداد مع الله ﷻ في بعض صفات الله ﷻ، وأفعاله، كصفة القدرة، والتدبير، والحكم، أو وصف المخلوق بما لا يجوز وصفه إلا بالله ﷻ.

أو التسوية اللفظية بين الخالق، والمخلوق.

أو ادعاء علم الغيب لأحد من الخلق، ويدخل في ذلك السحر، والكهانة،

والعرافة، والتنجيم، وما زالت هذه الخرافات، تضرب بجرانها على من ابتعد عن التوحيد.

أو تعطيل بعض أفعال الله ﷻ، وذلك يتمثل في إنكار البعث، واليوم الأخر، وإنكار الرسل، والرسالات، وإنكار الشرائع، وإنكار القدر.

وكذلك أيضاً إنكار الصفات الاختيارية، ففي ذلك تعطيل لبعض أفعال الربوبية.

التوصيات:

أولاً: نواقض وقوادح توحيد الربوبية تخرج في هذا الزمن الحديث بطرق مختلفة، مما يحتّم تتبعها، ودراستها، والتحذير منها.

ثانياً: هناك بعض القوانين الفيزيائية الحديثة التي تناقض، أو تقدح في توحيد الربوبية، فينبغي للمتخصصين تتبعها ودراستها.

ثالثاً: أدوات الإلحاد المعاصر، تتشكل بحسب الظروف، وتتغير طريقة الدعوة إليه بما يتواءم مع ثقافة كل زمن، وما زال هناك مجالات للبحث في دهاليز الإلحاد، من حيث طرقه، وأساليبه، وأسبابه، وآثاره.

رابعاً: النزعة العقلية لدى البشر، ما زالت أرضاً خصبةً للبحث والدراسة.

والحمد لله، أولاً، وأخراً، وظاهراً، وباطناً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة:

وتشتمل على:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية والآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس الفرق والمذاهب.
- فهرس المصطلحات والألفاظ المشروحة.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	الفاتحة	٢	٣٥
﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾	الفاتحة	٤	٣٦٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾	البقرة	٢١	٢٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾	البقرة	٢١ – ٢٢	٣٢
﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨﴾	البقرة	٢٨	٣١٤
﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣﴾	البقرة	٧٣	٢١٩
﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾	البقرة	٧٩	٣٨٠
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ	البقرة	٩١	٤٧٢

الصفحة	رقم الآية	السورة	الآية
			وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾
٤٦٩	١١٣	البقرة	﴿فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾
٣١٥	٢١٢	البقرة	﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ ﴾
٤٦٥	٢١٣	البقرة	﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾
٣١٤	٢٤٣	البقرة	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾
٢٥٢	٢٥٥	البقرة	﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾
٤٢٥، ٤٣١	٢٥٥	البقرة	﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾
٣٣٦	٢٥٨	البقرة	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ﴾			
﴿قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ٢٥٨﴾	البقرة	٢٥٨	٧٨
﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾	البقرة	٢٥٩	٣١٤
﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	آل عمران	٢٦ – ٢٧	٣٢٢
﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ﴾	آل عمران	٤٩	٣٠١
﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾	آل عمران	٦٤	٤٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾	آل عمران:	١٠٢	٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ	آل عمران	١١٨	٢٤١، ٢٤٩

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾			
﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾	آل عمران	١٨١	٣٩٧
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾	آل عمران	١٨٥	٢١٤
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾	النساء	١	٣
﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾	النساء	٢٨	٢١٥
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾	النساء	٥٩	٣٩١
﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾	النساء	٥٩	٢٤٨
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا	النساء	٦٠	٣٧٨، ٣٨٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾			
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾]	النساء	٦٥	٣٧٨
﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾	النساء	١١٣	٤٣٠
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ ﴾	النساء	١٧١	٣٩٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾	النساء	١٧٤	٢٣٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾	المائدة	١	٤٦٩
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾	المائدة	٣	٣٣٨
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾	المائدة	١٥	٢٣٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ﴾	المائدة	١٧	٣٣
﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾	المائدة	٤٨	٤٦٩
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾	المائدة	٦٤	٣٩٧
﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى﴾	المائدة	١١٠	٣٠١
﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾	الأنعام	١٠	١٨٧
﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾	الأنعام	٥٩	٤٢٤، ٤٢٥
﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾	الأنعام	٦٢	٣٧٧
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾﴾	الأنعام	٧٣	٤٢٥
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾	الأنعام	٩١	٥٦، ٤٦٦
﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾	الأنعام	٩١	٤٦٦، ٤٧٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	الأنعام	١٠٨	١٩٣، ١٩٤
﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	الأعراف	٥٤	٣٢
﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾	الأعراف	٥٧	٣٣
﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾	الأعراف:	٥٩	٧١
﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾	الأعراف	١٦٩	٣٨٠
﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ	الأعراف	١٧٢	٤٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾			
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾	التوبة	٢٨	٣٩٥
﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	التوبة	٣١	٢٣٢، ٣٨٠
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾	التوبة	٣٢	٩٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	التوبة	٣٤	٣٨٠
﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾	التوبة	٦٥ – ٦٦	١٨٨
﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾	التوبة	٦٧	١٩٠
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾	يونس	٣	٣٥، ٢٧٤
﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا	يونس	٥	٣٢٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾			
﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	يونس	٣١	٣٨، ٥٠
﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِمَا لَمۡ يُحِيطُواْ بِعِلۡمِهِۦ وَلَمَّا يَأۡتِهِمۡ تَأۡوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾	يونس	٣٩	٥٧
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾	يونس	٩٠	٧٨، ٣٣٥
﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾	يونس	٩٠	٣٣٥
﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾	يونس	٩١ – ٩٢	٣٣٥
﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا	يونس	١٠٧	٧١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾			
﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾	هود	٤٩	٤٢٤
﴿هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾﴾	هود	٧٧	٢٠٤
﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾	يوسف	٤٠	٣٧٧
﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾﴾	يوسف	١٠٢	٤٢٤
﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾	يوسف	١٠٦	٥٤
﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾	الرعد	٢	٢٧٤، ٣٥٨
﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾	الرعد	١٦	٣٥٨
﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾	الرعد	٢٠	٦٥
﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾	الرعد	٤١	٤٦٩
﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	إبراهيم	١٠	١٤٥
﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	إبراهيم	١٠	٥١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾	إبراهيم	٢٧	٤٥٧
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾	إبراهيم	٣٤	٤١٩
﴿وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾	الحجر	٨٥ – ٨٦	٤٦٠
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾	الحجرات	١٥	١٤٥
﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾	النحل	١٧	٣٠٢
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ﴾	النحل	٣٦	٧٢، ٤٦٥
﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾	النحل	٤٠	٤٦٩
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾	النحل	٥٣	٤٢٠
﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾	النحل	٧٤	١٠٤، ٣٩٧، ٤٠٣
﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا	النحل	٨٣	٤١٦،

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾			٤٢٠
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾	النحل	٨٩	٣٩١
﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾	النحل	٩١	٦٥
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾	النحل	٩٢	٦٥
﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾	النحل	٩٧	٩٤
﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾﴾	الإسراء	١٢	٣٢١
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾	الإسراء	١٥	٤٦٥
﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾	الإسراء	٤٣	١٨٥
﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾	الإسراء	٦٧	٥١
﴿وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾	الكهف	٢٦	٣٧٧
﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ	الكهف	٥٤	٥٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
مَثَلٍۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾]			
﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	الكهف	٥٦	٤٦٥
﴿وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾	الكهف	١١٠	٣٥٨
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾	مريم	٦٤	١٩٠
﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾	مريم	٦٥	٤١، ١٠٤
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا﴾	مريم	٨٨ – ٩٢	٣٩٤
﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠﴾	مريم	٩٠	١٣٢، ٣٠٩
﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾	طه	٤٩ – ٥٠	٢٨، ٣٤
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾	طه	١١٠	٥٨
﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾	طه	١٢٤	٩٤، ١٧٨
﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	الأنبياء	٢٢	٢٠١، ٣٧٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾	الأنبياء	٢٥	٧١
﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ﴾	الأنبياء	٣٤	٣١٤
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦﴾	الحج	٦	٤٦١
﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ﴾	الحج	٤٦	٢١٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١﴾	الحج	٦١	٣٢١
﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ﴾	المؤمنون	١٢ – ١٤	٣٧٣
﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾	المؤمنون	١٤	٣٠٠، ٣٠١
﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	المؤمنون	٨٤ – ٨٩	٥٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾	المؤمنون	٨٨	٣٧
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾	المؤمنون	١١٥	٤٥٩
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾	المؤمنون	١١٥ – ١١٦	١٨٠
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾﴾	النور	٤٣	٤٥٠
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ﴾	الفرقان	٥٨	٢٥٢، ٣١٤
﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	الشعراء	٢٣ – ٢٨	٣٤
﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	الشعراء	٢٣	٣٣٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾	النمل	١٤	٤٦، ٧٧
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ عِلۡمٗاۖ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥﴾	النمل	١٥	٤٣٠
﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾	النمل	٤٩	٤٩
﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥﴾	النمل	٦٥	٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦
﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾	القصص	٣٨	٧٨، ٣٣٤
﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَا﴾	القصص	٥٩	٤٦٥
﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥﴾	القصص	٦٥	٤٦٦
﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾	القصص	٧٠	٣٧٧
﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾	القصص	٧٨	٤١٩
﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ	القصص	٨٨	٢٨٧

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾			
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	القصص	٨٨	٢٥٢
﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	القصص	٨٨	٣٧٧
﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾	العنكبوت	٦	١٠٩
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾	العنكبوت	٦١	٤٩
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	العنكبوت	٦٣	٤٩
﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	العنكبوت	٦٥	٥١
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾	الروم	٢٥	٣٢
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾	الروم	٣٠	٤٧
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ	الروم	٤٠	٣٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾			
﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾	لقمان	١١	٣٠٠
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾	لقمان	٢٥	٤٩
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾	لقمان	٢٩	٣٢١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾	لقمان	٣٤	٤٥٠، ٤٥٤
﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾	السجدة	٥	٣٣
﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾	السجدة	٥	٢٧٤

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ﴾	السجدة	٦	٤٢٥
﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾	السجدة	١٠	١٧٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ ﴾	الأحزاب	٥٧	١٩٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾	الأحزاب	٧٠	٣
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾	الأحزاب	٧٢	٥٥
﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ﴾	سبأ	٣	٤٢٥
﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾	سبأ	٢٢ – ٢٣	٢١٥

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾	فاطر	٢	٧٠
﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾	فاطر:	٣	٣٠٠، ٣٠٢
﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾	فاطر	٨	٣١٠
﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾	فاطر	١٣	٣٢١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾	فاطر	١٥	٧١، ٢١٥
﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾	فاطر	٢٤	٤٦٥
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾	فاطر	٤٤	٣٧٢

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾	يس	٣٩ – ٤٠	٣٢١
﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾	يس	٧٧	٥٨
﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾	يس	٧٨	١٧٤
﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾	يس	٧٨ – ٧٩	٤٦٠
﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾	يس	٨١	٤٦١
﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾	يس	٨٣	٢٠١
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾	ص	٢٧	٤٦١
﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾	الزمر	٥	٣٢١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾﴾	الزمر	١٣ – ١٤	٣٧٠
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾	الزمر	٣٨	٤٩
﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾	الزمر	٣٨	٧١
﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ﴾	الزمر	٤٢	٣١٤
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	الزمر	٦٢	٣٣، ٣٧، ٢٨٧
﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	الزمر	٦٧	٥٦، ١٩٧
﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ	غافر	١٣	٤٥٠

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
ٱلسَّمَآءِ رِزۡقٗاۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴾			
﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾	غافر	١٦	٣٦٨
﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾	غافر	٣٦ - ٣٧	٣٣٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾	فصلت	٣٠	٣٠
﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي ﴾	فصلت	٥٠	٤١٩
﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣ ﴾	فصلت	٥٣	٣٣١
﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥ ﴾	الشورى	٥	٥٥، ١٩٧، ٣٦٢
﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾	الشورى	١١	٥٨، ١٠٤، ٣٩٦
﴿أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا	الشورى	٢١	٣٨٣

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾			
﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ (٢٨)﴾	الشورى	٢٨	٤٥٠
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ (٩)﴾	الزخرف	٩	٥١،٥٠
﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (٢٣)﴾	الزخرف	٢٣	٤٣١
﴿نَحْنُ قَسَمْنَا﴾	الزخرف	٣٢	٢٧٠
﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾	الزخرف	٣٢	١٠٩
﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾	الزخرف	٣٢	٢١٥
﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ (٤٥)﴾	الزخرف	٤٥	٧١
﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٨٧)﴾	الزخرف	٨٧	٥١

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾	الدخان	٣٨	٤٦١
﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾	الجاثية	٢٤	٧٩، ١٧٤، ٢٠٢
﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾	ق	٤	٤٦١
﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾	الطور	٣٥	٢١١
﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾	القمر	٤٩	٣٣، ٢٧١
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾	الرحمن	٢٦ – ٢٧	٢٨٧
﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾	الحديد	٣	١٠٤
﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾	الحديد	٣	٢١٣، ٢١٤
﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾	الحديد	١٧	٢١٩
﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾	الحشر	٢٤	٣٠٠
﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾	الممتحنة	١٠	٤٦٩

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ١٠﴾	الملك	١٠	٢١٩
﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾	القلم	١	٢٧٨
﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾	نوح	١٣	١٨٣
﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾	نوح	٢٣	٦٠
﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ٢٢﴾	الجن	٢١ – ٢٢	٣٦٩
﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾	الجن	٢٦ – ٢٧	٤٢٣، ٤٢٥، ٤٣١
﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ٤﴾	القيامة	٤	٤٦١
﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾	الإنسان	١	٢١٤
﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا﴾	الإنسان	٢٣	٢٧٠
﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ٢١ ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ ٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾	النازعات	٢١ – ٢٤	٣٣٤
﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾	النازعات	٢٤	٧٨

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	النازعات	٢٤	٣٤٨، ٣٤٩، ٣٦٣
﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ١﴾	الأعلى	١	٢٧١
﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم﴾	الغاشية	٢٥ – ٢٦	٣٣، ٣٧١
﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥﴾	الفجر	٥	٢١٨
﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ١٣﴾	الليل	١٣	٣٦٩
﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾	الضحى	٣	٣٥
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	الكافرون	١	٤٤
﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	الإخلاص	١	١٥٧
﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾	الإخلاص	٤	١٠٤، ٣٩٦

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

الحديث	الصفحة
شيئاً، فحبست عليه حتى فتح الله عليه	
قال الله ﷻ يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار	٢٠١
قال أناس: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟	٣٩٩
لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان	٣٣٨
لا يزال الناس يسألونكم عن العلم، حتى يقولوا: هذا الله خلقنا، فمن خلق الله؟»، قال: وهو آخذ بيد رجل، فقال: صدق الله، ورسوله، قد سألني اثنان، وهذا الثالث، أو قال: سألني واحد، وهذا الثاني	٢٠٨
لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك	٤٨
اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء	٢١٤
لولا أنا، لكان في الدرك الأسفل من النار	٤٠٩
ما لك ولها؟ معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء، وتأكل الشجر، حتى يلقاها ربها	٢٩
ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من	٤٧

الحديث	الصفحة
جدعاء؟	
مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله، لا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت إلا الله، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله	٤٥٥
من أتى عرافاً، أو كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ	٤٤٠
من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك	٤١٤
هل تدرون ماذا قال ربكم، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله، ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب	٤٥١
وأنت الآخر فليس بعدك شيء	٢١٤
يا فاطمة أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها	٣٦٩
يأتي الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا؟ من خلق كذا؟ حتى يقول: من خلق ربك؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته	١٠٥
يطوى الله ﷿ السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوى	٣٦٨

الحديث	الصفحة
الأرضين بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟	
يقول الله: يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني وما ينبغي له، أما شتمه، فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه، فقوله: ليس يعيدني كما بدأني	١٩٥
يقول الله: يشتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، ويكذبني، وما ينبغي له، أما شتمه، فقوله: إن لي ولداً، وأما تكذيبه، فقوله: ليس يعيدني كما بدأني	١٨٥، ٣٩٤

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الفرق والمذاهب

فهرس الألفاظ والمصطلحات المشروحة

فهرس الأبيات الشعرية

البيت	الصفحة
آمنت بالبعث رباً لا شريك لـه ** وبالعروبـة دينـاً مـا لـه ثـاني	١٣١
إن لم يكن في معادي آخذاً بيدي ** فضلاً وإلا فقل يا زلـة القـدم	٣٧٠
ولا التمست غنى الدارين من يـده ** إلا استلمت الندى من خير مستلم فإن من جـودك الـدنيا وضرتها ** ومن علـومك علم اللوح والقلم	٣٦٩
وليس يصح في الأذهان شيء ** إذا احتـاج النهـار إلى دليـل	٥١
يخبرنـا الرسـول بـأن سـنحيا ** وكيـف حيـاة أصـداء وهـام	١٧٤

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، للإمام الحافظ أبي عبد الله ابن بطة العكبري، تحقيق: الحسن بن عباس قطب، نشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

٢. الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، تأليف: آنا ماري شميل، ترجمة: محمد إسماعيل السيد، ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، ألمانيا ٢٠٠٦م.

٣. ابن تيمية ليس سلفياً، تأليف: منصور محمد عويس، دار النهضة العربية، مصر، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.

٤. اتجاهات الشعر العربي المعاصر، تأليف: د. إحسان عباس، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٨م.

٥. الاتجاهات العقلانية الحديثة، تأليف: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٦. الاتجاهات الفكرية المعاصرة، وموقف الإسلام منها، تأليف: الدكتزر جمعة الخولي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.

٧. الآثار الكاملة، تأليف: محمد الماغوط، دار العودة، بيروت، دون ذكر سنة الطبع.

٨. أثر علماء المسلمين في الحضارة الأوربية، تأليف أحمد علي الملا، دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٩. الاحتجاج بالقدر، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، تخريج: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة ١٤٢٥هـ.

١٠. أحكام أهل الذمة، لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٣ هـ.

١١. الإحكام شرح أصول الأحكام، لابن حزم، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

١٢. الأحمدية عقائد وأحداث، تأليف: حسن محمود عودة، مؤسسة التقوى العالمية، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٣. أربعة كتب إسماعيلية، تحقيق: شتروطمان، دار التكوين، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

١٤. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني، تحقيق محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٦هـ.

١٥. أساس التقديس، لفخر الدين الرازي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٦هـ

١٦. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، تأليف: علي محمد جريشة، ومحمد شريف الزيبق، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

١٧. الاستقامة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

١٨. أسطورة سيزيف، تأليف: ألبير كامو، ترجمة أنس زكي حسن، منشورات دار مكتبة الجياة، بيروت، ١٩٨٣م.
١٩. الإسلام والحضارة الغربية، تأليف: د. محمد محمد حسين، دار الفرقان.
٢٠. الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان، تأليف: وحيد الدين خان، تعريب: د. ظفر الإسلام خان، مكتبة الرسالة.
٢١. الأسماء والصفات، للبيهقي أحمد بن الحسين، تحقيق : عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي – جدة، الطبعة الأولى.
٢٢. الإسماعيلية تاريخ وعقائد، تأليف: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.
٢٣. الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته، تأليف: أبي عبد الله القرطبي، تحقيق: الشيخ عرفان بن سليم الدمشقي، المكتبة الحضرية، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ.
٢٤. إشكالية التحيز، تحرير، رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد، تحرير: د. عبد العزيز المسيري، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٧هـ، الولايات المتحدة الأمريكية.
٢٥. أصل الأخلاق وفصلها، فردريك نيتشه، ترجمة: حسن قبيسي.
٢٦. أصل الأنواع ونشأة الإنسان، تأليف: تشارلز داروين، ترجمة: مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
٢٧. أصول الإسماعيلية دراسة تحليل نقد، تأليف: د. سليمان بن عبد الله السلومي، دار الفضيلة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٨. أصول التاريخ الأوربي الحديث، تأليف: هربرت فيشر، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة.
٢٩. أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي، تأليف: د. محمد علي أبو ريان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٩م.
٣٠. أصول الفلسفة الماركسية، تأليف: جورج بلتيزر، وجي بيس موريس كافين، ترجمة: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.
٣١. الأصول في النحو، تأليف: أبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي، تحقيق : د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٨م.
٣٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
٣٣. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تأليف: محمد عمر الرازي، تحقيق: علي سامي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٢هـ.
٣٤. الأعراف والعادات القبلية المخالفة للشريعة الإسلامية، تأليف: د. سعيد بن علي القحطاني.
٣٥. الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، تأليف: عمر بن علي بن موسى البزار، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.
٣٦. الأعلام والأقزام في ميزان الإسلام، تأليف: د. سيد حسين العفاني، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣٧. الأعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.
٣٨. الأعمال السياسية الكاملة، لنزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٨٣م.
٣٩. الأعمال الشعرية، تأليف: معين بسيسو، دار العودة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.
٤٠. الأعمال الكاملة، تأليف: توفيق صايغ، رياض الريس للكتب والنشر، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
٤١. أفول الأصنام، فردريك نيتشه، ترجمة: حسان بورقيه، ومحمد الناجي، أفريقيا الشرق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٤٢. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق د. ناصر بن عبد الكريم العقل، ط دار عالم الكتب، بيروت، الطبعة السابعة ١٤١٩هـ.
٤٣. الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها : عبد الرحمن عبد الخالق.
٤٤. الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، تأليف: د. سعيد بن ناصر الغامدي، دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.
٤٥. الأنساب، للسمعاني، تحقيق عبد الله عمر البارودي، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٤٦. أولاد حارتنا، رواية من تأليف: نجيب محفوظ، دار الآداب، بيروت لبنان.

٤٧. البابية عرض ونقد، تأليف: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور باكستان.
٤٨. البابية نقد وتحليل، تأليف: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، الطبعة السادسة.
٤٩. البابية وجذورها البهائية، تأليف: الدكتور عامر النجار، الناشر: عيد للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٥٠. الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية، تأليف: سليمان أفندي الأذني.
٥١. بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تأليف: محمد باقر المجلسي، إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ.
٥٢. بحوث ودراسات في المذاهب والتيارات، تأليف: د. محمد مجاهد نور الدين، دار هجر للنشر والتوزيع.
٥٣. البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع، للشوكاني، تحقيق محمد حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
٥٤. بدائع الفوائد، لابن القيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد.
٥٥. البدعة أسبابها ومضارها، تأليف: الشيخ محمود شلتوت، ضبط وتعليق: علي حسن عبد الحميد، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٥٦. البريلوية عقائد وتاريخ، ، تأليف: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

٥٧. بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم، تحقيق د سهيل زكار، دار الفكر.

٥٨. بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : د. موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٩. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٣٩٩هـ

٦٠. البهائية نقد وتحليل، تأليف: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٦١. بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي،، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ.

٦٢. بيان تلبيس الجهمية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ.

٦٣. تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف : محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٦٤. تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، تأليف: السيد محمد رشيد رضا، دار الفضيلة، الطبعة الثانية ١٤٢٧هـ.

٦٥. تاريخ الثورة الفرنسية، تأليف: ألبير سوبول، ترجمة جورج كوسي، منشورات البحر المتوسط، الطبعة الرابعة ١٩٨٩م.

٦٦. تاريخ الخلفاء، للسيوطي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دون ذكر سنة الطبع.

٦٧. تاريخ الدعوة الإسماعيلية، تأليف مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت لبنان، الطبعة الثانية.

٦٨. التاريخ السري للعلاقات الشيوعية الصهيونية، تأليف: نهاد الغادري.

٦٩. تاريخ الفكر الأوربي الحديث، تأليف: دونالد سترومبرج، ترجمة: أحمد الشيباني، دار القارئ العربي، مصر، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ.

٧٠. تاريخ الفلسفة العربية، تأليف: حنا الفاخوري، وخليل الجرّ، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٢٨م.

٧١. تاريخ الفلسفة اليونانية، تأليف: يوسف كرم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٥هـ.

٧٢. تاريخ المعرفة في الإسلام، تأليف: د. عبد القرني، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٧٣. تاريخ أوربا في العصور الوسطى، تأليف: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

٧٤. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٧٥. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر ١٩٩٥م.

٧٦. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، تأليف: طاهر بن محمد الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

٧٧. تجديد الفكر العربي، تأليف: د. زكي نجيب محمود، دار الشروق، بيروت ١٩٧١م.

٧٨. التجديد في الفكر الإسلامي، تأليف: د. عدنان محمد أمامه، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٧٩. التحذير من مختصرات محمد علي الصابوني في التفسير، الطبعة الثانية ١٤١٠هـ.

٨٠. التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور، دار التونسية.

٨١. التدمرية،، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: السادسة ١٤٢١هـ

٨٢. تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية، تصحيح الشيخ عبد الرحمن المعلمي، ١٣٧٤هـ.

٨٣. تذكرة الحفاظ، للحافظ الذهبي، تصحيح الشيخ عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، ١٣٧٤هـ

٨٤. التذكرة السعدية في الأشعار العربية، لمحمد بن عبد الرحمن العبيدي، تحقيق عبد الله الجبوري، المكتبة الأهلية بغداد، ١٣٩١هـ.

٨٥. تسهيل العقيدة الإسلامية، تأليف: د. عبد الله بن عبد العزيز الجبرين، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الثانية.

٨٦. التصوف المنشأ والمصادر، تأليف: إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، لاهور، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

٨٧. التعددية الدينية في فلسفة جون هيك، تأليف: د. وجيه قانصو، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٨٨. التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥.

٨٩. تفسير أسماء الله الحسنى، تأليف: أبي إسحاق الزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الخامسة ١٤٠٦هـ.

٩٠. تفسير الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق د.عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ .

٩١. تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، تصحيح وتعليق هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية، طهران.

٩٢. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ .

٩٣. تفسير غريب القرآن ، تأليف: ابن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٩٤. التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، تأليف أورانج رحمات، ترجمة: رؤوف شلبي،

٩٥. تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي عرض وتحليل على ضوء الكتاب والسنة، تأليف: د. محمد أحمد لوح، دار ابن القيم، الدمام، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٩٦. تكملة المعاجم العربية، تأليف: رينهارت بيتر آن، نقله إلى العربية وعلق عليه: محمَّد سَليم النعَيمي وجمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.
٩٧. تلبيس إبليس، لابن الجوزي، دار القلم للطباعة، بيروت، ١٤٠٣هـ.
٩٨. التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام، تأليف: عبد المجيد بن سالم المشعبي، مكتبة الديث، الطائف، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٩٩. تهافت التهافت، لابن رشد الحفيد، تحقيق: د. سليمان دنيا، دار المعارف، الطبعة الأولى ١٩٦٤م.
١٠٠. تهافت العلمانية، تأليف: د. عماد الدين خليل، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.
١٠١. تهافت الفلاسفة، تأليف: أبو حامد الغزالي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة.
١٠٢. تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
١٠٣. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، تأليف: الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٠٤. الثابت والمتحول، صدمة الحداثة، تأليف: أدونيس، دار الساقي، لبنان.

١٠٥. ثلاث رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٠٦. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، المحقق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى ، ١٤٢٠ هـ .

١٠٧. جامع الرسائل، لتقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: د.محمد رشاد سالم، دار العطاء، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

١٠٨. جامع المسائل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق : محمد عزير شمس، إشراف : بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

١٠٩. جامع كرامات الأولياء، تأليف: القاضي يوسف بن إسماعيل النبهاني، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار سنت بركات رضا، الهند، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

١١٠. الجمع بين رأيي الحكيمين، لأبي نصر الفارابي، علق عليه الدكتور ألبير نصري نادر، دار المشرق، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.

١١١. الجهمية والمعتزلة، نشأتهما، وأصولهما، ومناهجهما، وموقف السلف منهما، تأليف: د. ناصر بن عبد الكريم العقل، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١١٢. جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي، تأليف: د. محمود عبد الحكيم عثمان، مكتبة المعارف، الرياض. ا

١١٣. جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية، تأليف: د. شمس الدين الأفغاني السلفي، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١١٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. ناصر بن حسن ناصر، ود. حمدان بن محمد الحمدان، ود. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ.

١١٥. جواهر المعاني في فيض أبي العباس التيجاني، تأليف: علي حرازم برادة، مطبعة الحلبي، القاهرة، ١٩٦٣م.

١١٦. الحجة في بيان المحجة، تحقيق محمد بن ربيع المدخلي، ظ دار الراية،، سنة النشر ٤١٩هـ، الرياض.

١١٧. الحداثة في العالم العربي، تأليف: د. محمد بن عبد العزيز العلي، رسالة دكتوراه.

١١٨. الحداثة في ميزان الإسلام، تأليف: عوض بن محمد القرني، دار هجر، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ..

١١٩. الحدود الأنيقة، والتعريفات الدقيقة، تأليف: القاضي زكريا الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت ١٤١١هـ.

١٢٠. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي، عقائدها وحكم الإسلام فيها، تأليف د. محمد بن أحمد الخطيب، مكتبة الأقصى، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

١٢١. حقوق النبي ﷺ بين الإجلال والإخلال، لمجموعة من المؤلفين، تقديم: معالي الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، نشر: مجلة البيان، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

١٢٢. حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، تأليف: د. عبد الرحيم بن صمايل السلمي، دار المعلمة للنشر والتوزيع.

١٢٣. حقيقة العبادة عند ابن عربي، تأليف: د. كرم أمين أبو كرم، دار الأمين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

١٢٤. حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها، تأليف: سليمان بن صالح الخراشي، ١٤٢٩هـ.

١٢٥. الحكم بغير ما أنزل الله، أحواله وأحكامه، تأليف: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

١٢٦. الحكومة الباطنية، تأليف: د. حسن محمد الشرقاوي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٢٧. حياة محمد ﷺ، تأليف: محمد حسين هيكل، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الرابعة عشر.

١٢٨. الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الرابعة.

١٢٩. خطط الشام، تأليف: محمد كرد علي، دار النوري، دمشق دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

١٣٠. درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الثانية ١٤١١هـ.

١٣١. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، تأليف: د. سعود بن عبد العزيز الخلف، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٣٢. دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة، تأليف: عبد الله الأمين، دار الحقيقة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩١م.

١٣٣. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، تأليف: د. أحمد محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الرابعة ١٤٢٩هـ.

١٣٤. دنيا الله، رواية نجيب محفوظ، الناشر مكتبة مصر، مصر.

١٣٥. ديالكتيك الطبيعة، تأليف: انجلز فردريك، ترجمة: توفيق سلوم، دار الفاربي، بيروت، ١٩٨٨م.

١٣٦. الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، تأليف: د. محمد عبد الله دراز، دار القلم،، الكويت.

١٣٧. ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، تحقيق مروان العطية، دار الإمام النووي للنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٣٨. ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تقديم وتحقيق: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٤٩م.

١٣٩. ديوان صلاح عبد الصبور، دار المعودة، بيروت ١٩٨٦م.

١٤٠. ديوان عبد العزيز المقالح، دار المعودة، بيروت ١٩٨٠م.

١٤١. راحة العقل، تأليف: الداعي الإسماعيلي أحمد حميد الدين الكرماني، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٩٨٤م.

١٤٢. رجال الكشي، محمد بن عمر الكشي، تصحيح وتعليق: حسن المصطفوي، طهران.

١٤٣. الرسالة الحميدية في حقيقة الديانة الإسلامية والشريعة المحمدية، تأليف: الأستاذ حسين الجسر، طبع برخصة رئاسة مجلس ولاية بيروت، ١٣٠٥هـ.

١٤٤. رسائل الحكمة، تأليف: حمزة بن علي الإسماعيلي، دار لأجل المعرفة، لبنان، الطبعة الخامسة ١٩٨٦م.

١٤٥. الروض الأنف في تفسير سيرة النبوية للسهيلي، تحقيق مجدي بن منصور الشوري، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

١٤٦. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الرابعة عشرة ١٤٠٧.

١٤٧. السحر بين الحقيقة والخيال، تأليف: د. أحمد بن ناصر الحمد، مكتبة التراث، مكة المكرمة ١٤٠٨هـ.

١٤٨. السر الأعظم، للدكتور مصطفى محمود، دار المعارف، القاهرة، الطبعة العاشرة.

١٤٩. سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٥٠ . سنن الترمذي، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٥١ . شأن الدعاء، تأليف: الحافظ أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، دمشق، الطبعة الثالثة ١٣١٢هـ.
١٥٢ . شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار المعتزلي، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة.
١٥٣ . شرح المقاصد في علم الكلام، تأليف: سعد الدين التفتازاني، دار المعارف النعمانية، باكستان، ١٤٠١هـ.
١٥٤ . شرح الغقيدة الواسطية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الثانية ١٤١٥هـ.
١٥٥ . الروحية الحديثة، الدكتور محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة.
١٥٦ . زاد المستقنع في اختصار المقنع، تأليف: أبو النجا الحجاوي، تحقيق: محمد بن عبد الله الهبدان، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
١٥٧ . شرح رسالة تحكيم القوانين، تأليف: د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي.
١٥٨ . شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، تأليف: الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.
١٥٩ . الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تأليف: القاضي عياض، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
١٦٠ . شمس العلوم، ودواء كلام العرب من الكلوم، تاليف: نشوان بن سعيد الحميرى، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري ، ومطهر بن علي

الإرياني، ود. يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

١٦١. شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، تأليف: القاضي يوسف بن إسماعيل النبهاني، تعليق وضبط: عبد الوراث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ.

١٦٢. الشيعة الإسماعيلية، رؤية من الداخل، تأليف: علوي طه الجبل، دار الأمل، القاهرة.

١٦٣. الشيوعية والإسلام، تأليف: عباس محمود العقاد، وأحمد عبد الغفور عطار، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الثانية.

١٦٤. الشيوعية وليدة الصهيونية، تأليف: أحمد عبد الغفور عطار، منشورات المكتبة العصرية، بيروت.

١٦٥. الشيوعية وموقف الإسلام منها، تأليف: د. حمود بن أحمد الرحيلي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٦٦. الشيوعية، تأليف محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٦٧. الصارم المسلول على شاتم الرسول، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٦٨. الصحاح، للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة.

١٦٩. صحيح البخاري، دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

١٧٠. صحيح مسلم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
١٧١. صحيفة الصلاة، للإسماعيلي سيد نصر الله، حيدر آباد، ١٣٩٢هـ.
١٧٢. صراع مع الملاحدة حتى العظم، تأليف: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ.
١٧٣. الصفدية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ.
١٧٤. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
١٧٥. صور ومشاهد من الحضارة الإسلامية، تأليف عبد القادر الخلادي، دار الكتب العربية، الرباط.
١٧٦. صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام، تأليف: تحقيق علي سامي النشار، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الأولى.
١٧٧. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، للسخاوي، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
١٧٨. طائفة الإسماعيلية تاريخها نظمها عقائدها، تأليف: د.محمد كامل حسين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٥٩م.
١٧٩. طبقات الحفاظ، للسيوطي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.

١٨٠. الطبقات الكبرى، (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)، لعبد الوهاب الشعراني، المطبعة الشرفية، القاهرة، ١٣٠٥هـ.

١٨١. الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، تأليف: د . عبد الله بن دجين السهلي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١٨٢. عالم السحر والشعوذة، تأليف: د. عمر بن سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ.

١٨٣. عقائد المفكرين في القرن العشرين، تأليف: عباس محمود العقاد، دار المعارف، القاهرة.

١٨٤. العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، تأليف: محمد بن الطاهر البيروتي، تحقيق: د. محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة للنشر، القاهرة.

١٨٥. العقيدة الاصفهانية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٨٦. عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، تأليف: د. أحمد بن عبد العزيز القصير، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

١٨٧. العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

١٨٨. العلاقة بين الصوفية والإمامية، جذورها، واقعها، أثرها على الأمة، تأليف: د. زياد بن عبد الله الحمام، الناشر مجلة البيان، الرياض ١٤٣٢هـ.

١٨٩. علم الغيب في الشريعة الإسلامية، تأليف: د. أحمد بن عبد الله الغنيمان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.

١٩٠. العلمانية تحت المجهر، تأليف: د. عبد العزيز المسيري، ود، عزيز العظمة، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

١٩١. العلمانية جذورها وأصولها، تأليف: د. محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

١٩٢. العلمانية جذورها وأصولها، للدكتور محمد علي البار، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٩هـ.

١٩٣. العلمانية وثمارها الخبيثة، تأليف: محمد شاكر الشريف، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

١٩٤. العلمانية، تأليف: د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار الهجرة.

١٩٥. عوارف المعارف، تأليف: عبد القادر السهروردي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

١٩٦. عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون ذكر سنة الطبع.

١٩٧. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون ذكر سنة الطبع.

١٩٨. الغارة على العالم الإسلامي' تأليف: أ. ل. شاتليه، ترجمة: وليد اليافي، ومحب الدين الخطيب، منشورات العصر الحديث، جدة، الطبعة الثانية ١٣٨٧.

١٩٩. الغزو الفكري في أفلام الكرتون، تأليف: د. أحمد نتوف، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ.

٢٠٠. غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، تأليف: محمد بن إبراهيم النفزي، تحقيق: عبد الحليم محمود، ومحمود الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٢٠١. فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم ، جمع وترتيب: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الثانية.

٢٠٢. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، مراجعة قصي محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية.

٢٠٣. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: د. الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، دار المؤيد، الرياض، الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ.

٢٠٤. الفتوحات المكية، لابن عربي، تحقيق وتقديم: عثمان يحيى، و د. إبراهيم مدكور، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٥هـ.

٢٠٥. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٧م.

٢٠٦. فرق معاصرة تنتسب للإسلام، وبيان موقف الإسلام منها، تأليف: د. غالب بن علي عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، الطبعة الرابعة ١٤٢٢هـ.

٢٠٧. فرقان الفرقان بين صفات الخالق والأكوان، تأليف: الأستاذ سلامة القضاعي العزمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٠٨. الفصول المهمة في أصول الأئمة، تأليف: الرافضي محمد الحسن الحر العاملي، تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين.

٢٠٩. فصوص الحكم، لابن عربي، تحقيق: أبي العلاء عفيفي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٦م.

٢١٠. فضائح الباطنية، لأبي حامد الغزالي، تحقيق د. عبد الرحمن بدوي، مؤسسة دار الكتب الثقافية، الكويت.

٢١١. الفقه الأبسط، للإمام أبي حنيفة ، شرح د. محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط مكتبة الفرقان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢١٢. فقه الأسماء الحسنى، للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة

٢١٣. الفكر الإسلامي الحديث، وصلته بالاستعمار الغربي، تأليف: د. محمد البهي.

٢١٤. الفكر الإسلامي وسموم التغريب والتبعية، تأليف: أنور الجندي، دار الفضيلة.

٢١٥. الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، تأليف: عبد الرحمن عبد الخالق، مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الثانية.

٢١٦. الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، تأليف: أ د. يحيى هاشم حسن فرغل، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، ١٤١٩هـ.

٢١٧. الفلسفة الإسلامية دراسة ونقد، تأليف: الدكتور عرفان عبد الحميد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.

٢١٨. الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم، تأليف: د. إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار الوفاء، الإسكندرية.
٢١٩. فلسفة النشوء والارتقاء، تأليف: د. شبلي الشميل، دار مارون عبود، الطبعة الثانية ١٩٨٣م.
٢٢٠. فلسفة وحدة الوجود، تأليف: د. حسن الفاتح قريب الله، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
٢٢١. الفهرست، لابن النديم، دار المعرفة، بيروت، دون ذكر سنة الطبع.
٢٢٢. في الشعر الجاهلي، تأليف: د. طه حسين، مكتبة دار الندوة الاكترونية.
٢٢٣. القاديانية دراسة وتحليل، تأليف: إحسان إلهي ظهير، دار ترجمان السنة، لاهور، الطبعة السادسة عشر ١٤٠٤هـ.
٢٢٤. القاديانية، تأليف:د. عامر النجار، نشر المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ،بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
٢٢٥. القرآن والتوراة والإنجيل والعلم، دراسة الكتب المقدسة في ضوء العلم الحديث، تأليف: د. موريس بوكاي، الناشر مكتبة مدبولي، القاهرة. الطبعة الثانية ٢٠٠٤م.
٢٢٦. قصة الحضارة، تأليف: وِل ديورانت، ترجمة محمد بدران، دار الجيل، بيروت.
٢٢٧. قصة العلوم الطبية في الحضارة الإسلامية، للدكتور راغب السرحاني، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٢٢٨. قصة النزاع بين الدين والفلسفة، تأليف: توفيق الطويل، الطبعة الثانية، مصر.

٢٢٩. القضاء والقدر، تأليف: د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ.

٢٣٠. قضايا الأدب والثقافة، تأليف: أنور الجندي، دار الفضيلة.

٢٣١. القوانين القبلية في جنايات الدماء، تأليف: ناصر بن عايض الدريس.

٢٣٢. القول السديد شرح كتاب التوحيد، تأليف: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر بن سعدي، الناشر: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.

٢٣٣. القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، للشيخ الدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، ط دار ابن عفان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٣٤. القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف: الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية،الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ.

٢٣٥. كتاب العين، تأليف: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٢٣٦. كتاب النوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد، لابن منده، تحقيق د. علي بن محمد بن ناصر فقيهي.

٢٣٧. كتاب الينابيع، للداعي الإسماعيلي أبي يعقوب السجستاني، تحقيق: مصطفى غالب، المكتب التجاري للنشر والطباعة، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٦٥م.

٢٣٨. الكتاب والقرآن، قراءة معاصر، تأليف: د. محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

٢٣٩. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تأليف: محمد بن علي الحنفي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة: الأولى ١٩٩٦م.

٢٤٠. الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، لعبد القادر الجيلي، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، مكتبة عالم الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٢٤١. كنز الولد، تأليف إبراهيم بن الحسين الحامدي، تحقيق مصطفى غالب، نشر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، دار صادر، بيروت، ١٣٩١هـ.

٢٤٢. الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، تأليف الشيخ عبد العزيز المحمد السلمان، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.

٢٤٣. كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، تألف: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ.

٢٤٤. الكواكب الدرية في مدح خير البرية ﷺ، للبوصيري، شرح وتعليق: الشيخ إبراهيم الباجوري، مكتبة الصفا، القاهرة.

٢٤٥. الكون والفساد لأرسطو، نقله من الإغريقية إلى الفرنسية: بارتلمي سانتهلير، ونقله إلى العربية: أحمد لطفي السيد.

٢٤٦. لسان العرب، لابن منظور، ط دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٢٤٧. لوامع الأنوار البهية، تأليف: محمد بن أحمد السفاريني، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ.

٢٤٨. ليس من الإسلام، تأليف: محمد الغزالي، دار نهضة مصر، الطبعة الأولى.

٢٤٩. ما أصل الإنسان، بين العلم والكتب السماوية تأليف: د. موريس بوكاي، ترجمة: فوزي شعبان، المكتبة العلمية.

٢٥٠. ما بعد الحداثة، الفلسفات العدمية والتفسيرية في ثقافة ما بعد الحداثة، تأليف: جياني فاتيمو، ترجمة: د. فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٩٨م.

٢٥١. المادية ونقد مذهب نقد التجربة، تأليف: فلاديمير لينين، إعداد: د. توفيق سلوم، دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٦م.

٢٥٢. مجموع الرسائل والمسائل، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

٢٥٣. مجموع مؤلفات الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار الميمان للنشروالتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ.

٢٥٤. المجنون، تأليف: خليل جبران خليل، ترجمة: أنطونيوس بشير، دار العرب للبستاني، القاهرة.

٢٥٥. مختار الصحاح، تأليف: محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، الطبعة طبعة ١٤١٥ هـ.

٢٥٦. مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، ط دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ.

٢٥٧. المدائح النبوية في الأدب العربي، تأليف: زكي مبارك، الشركة الدولية للطباعة، مصر، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

٢٥٨. مدخل إلى المذهب العلوي النصيري، تأليف: د. جعفر الكنج الدندشي، سنة الطبع ٢٠٠٠م.

٢٥٩. مذاهب الإسلاميين، تأليف د. عبد الرحمن بدوي، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٣.

٢٦٠. المذاهب الفكرية المعاصرة، ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، تأليف: د. غالب بن علي العواجي، المكتبة العطرية الذهبية، جدة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.

٢٦١. مذاهب فكرية معاصرة، تأليف: الدكتور محمود مزروعة.

٢٦٢. مذاهب فكرية معاصرة، تأليف: محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة ١٤١٣هـ.

٢٦٣. المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، تأليف: محمد الحسن، دار البشير للثقافة والعلوم، طنطا، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ.

٢٦٤. مذهب الدروز والتوحيد، تأليف: عبد الله النجار، دار المعارف، مصر، سنة الطبع ١٩٦٥م.
٢٦٥. مرآة الأنوار، ومشكاة الأسرار، لأبي الحسن الشريف بن المولى البناطي الفتوني، مطبعة الافتاب، طهران، ١٣٧٤هـ.
٢٦٦. المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.
٢٦٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل، إشراف على التحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ.
٢٦٨. مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام، تأليف: أنور الجندي، مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، القاهرة، ١٣٩٢هـ.
٢٦٩. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف العلامة: أحمد بن محمد الفيومي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
٢٧٠. مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، تأليف: الخميني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
٢٧١. المصطلح الفلسفي عند العرب، المؤلف: عبد الأمير الأعسم، الهيئة المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٨٩ م.
٢٧٢. معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، تأليف د. محمود سعيد عمران، دار المعرفة الجامعية.

٢٧٣. معالم تاريخ الإنسانية، تأليف : هـ.ج، ولز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة ١٩٩٤م.

٢٧٤. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، تأليف: محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ.

٢٧٥. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، تأليف: جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر، تونس.

٢٧٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، تأليف: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ.

٢٧٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ.

٢٧٨. معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية، تأليف: د. عبد العزيز مصطفى كامل.

٢٧٩. معنى الربوبية، وأدلتها وأحكامها، وإبطال الإلحاد فيها، للدكتور محمد بن عبد الرحمن بو سيف الجهني.

٢٨٠. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للشيخ شمس الدين محمد ابن الخطيب الشربيني، اعتنى به: محمد خليل عتاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٨١. مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

٢٨٢. المفردات في غريب القرآن، للراغب الاصفهاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.

٢٨٣. مفهوم الحرية، تأليف: عبد الله العروي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٩٥م. .

٢٨٤. مقارنة الأديان، اليهودية، تأليف: د. أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة ١٩٨٨م.

٢٨٥. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تأليف: أبو الحسن الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.

٢٨٦. مقالات الكوثري، تأليف: محمد زاهد الكوثري، إشراف: توفيق شعبان، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٢٨٧. مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقق: عبد السلام محمد هارون، ط دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ.

٢٨٨. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، المغرب، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.

٢٨٩. مقدمة كتاب أضواء البيان، للدكتور خالد السبت، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

٢٩٠. الملل والنحل، تأليف: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق : محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٩١. من تاريخ الإلحاد في الإسلام: تأليف الدكتور عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

٢٩٢. المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، تأليف: أبي العباس مصطفى ابن علوية المستغانمي، تحقيق: سعود القواص، دار ابن زيدون، بيروت.

٢٩٣. المنقذ من الضلال، لأبي حامد الغزالي، تحقيق : محمد محمد جابر، المكتبة الثقافية، بيروت.

٢٩٤. منهاج السنة النبوية في الرد على الرافضة القدرية، تأليف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: رشاد مصطفى سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ.

٢٩٥. منهاج الطالبين وعمدة المفتين، تأليف: الإمام محيي الدين النووي، دار المنهاج، جدة، الطبعة الثانية ١٤٣٢هـ.

٢٩٦. المنهاج في شعب الإيمان ، تصنيف الحافظ أبي عبد الله الحسين الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، دار الفكر الطبعة الأولى ١٣٩٩هـ.

٢٩٧. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

٢٩٨. الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، تأليف: د. ناصر العقل، ود. ناصر القفاري، دار الصميعي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.

٢٩٩. الموحدون الدروز في الإسلام، تأليف: القاضي الدرزي مرسل نصر، دار الإسلامية، بيروت لبنان، الطبعة الثانيةة ١٤١٧هـ.

٣٠٠. موسوعة الحضارة العربية الإسلامية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٥م..

٣٠١. موسوعة السياسية، تأليف: د.عبد الوهاب الكيالي وآخرون. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

٣٠٢. الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف: د. محمد حسين نصار، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ.

٣٠٣. موسوعة الفلسفة، تأليف: عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربي للدراسات والنشر، بروت، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

٣٠٤. الموسوعة الفلسفية، تأليف: عبد المنعم الحنفي، دار ابن زيدون، بيروت، الطبعة الأولى.

٣٠٥. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف: د. مانع بن حماد الجهني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ.

٣٠٦. موقف الإسلام من العلمانية، تأليف: صلاح الصاوي، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٠٧. موقف البشر تحت سلطان القدر، تأليف: الشيخ مصطفى صبري، شيخ الإسلام بالدولة العثمانية، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٥٢هـ.

٣٠٨. موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعبادة المرسلين، تأليف: شيخ الإسلام في الدولة العثمانية مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

٣٠٩. موقف شيخ الإسلام ابن تيمية من آراء الفلاسفة ومنهجه في عرضها، تأليف: د. صالح بن غرم الله الغامدي، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٣١٠. موقف من الميتافيزيقا، تأليف: زكي نجيب محمود، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ.

٣١١. النحلة اللقيطة البابية والبهائية، تاريخ ووثائق، تأليف: د. عبد المنعم أحمد النمر، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة.

٣١٢. نحو حرب دينية، جدل العصر، تأليف: روجيه جارودي، ترجمة: صياح الجهيم، دار عطية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٧م.

٣١٣. نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، تأليف: تشارلز داروين، ترجمة: مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.

٣١٤. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، تأليف: د. علي سامي النشار، دار المعارف القاهرة، الطبعة التاسعة.

٣١٥. النصيحة الإيمانية في كشف فضائح البابية والبهائية، تأليف: الحسيني الحسيني معدي، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.

٣١٦. نظرية التطور وأصل الإنسان، تأليف: سلامة موسى، الناشر كلمات عربية للنشر والترجمة، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٥٧م.

٣١٧. نظرية السيادة وأثرها على شرعية الأنظمة الوضعية، تأليف: د. صلاح الصاوي.

٣١٨. نقد أصول الشيوعية، تألبف: صالح بن سعد اللحيدان، مكتبة الحرمين، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.

٣١٩. نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع، تأليف: سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، إدارة الطبع والترجمة، الطبعة السادسة، ١٤١١هـ.

٣٢٠. نقد الليبرالية، تأليف: د. الطيب بوعزة، الناشر مجلة البيان، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٣٢١. نقض المنطق، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الشيخ محمد بن عبد الرزاق حمزة، والشيخ سليمان بن عبد الرحمن الصنيع، مطبعة السنة المحمدية، الطبعة الأولى ١٣٧٠هـ.

٣٢٢. نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، تأليف: محمد الخير عبد القادر، مكتبة وهبة، مصر، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٢٣. نهاية الاقدام في علم الكلام، عبد الكريم الشهرسناتي، حرره وصححه: الفرد جيوم.

٣٢٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ .

٣٢٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.

٣٢٦. نواقض الإسلام، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.

٣٢٧. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، تأليف: ابن قيم الجوزية ، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٣٢٨. هذه هي الصوفية، تأليف: عبد الرحمن االوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.

٣٢٩. الهفت الشريف، رواه المفضل بن عمر الجعفي، تحقيق: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت لبنان، الطبعة الثانية.

٣٣٠. هكذا تكلم زرادشت، تأليف: فردريك نيتشه، ترجمة: فليكس فارس، مطبعة جريدة البصيرة، الأسكندرية، ١٩٣٨م.

٣٣١. الوجود والجدل في فلسفة سارتر، تأليف: د. حبيب الشاروني، نشر منشأة المعارف، الاسكندرية.

٣٣٢. الوجودية مذهب إنساني، تأليف: جان بول سارتر، ترجمة: عبد المنعم الحنفي، الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

٣٣٣. الوجودية، تأليف: جون ماكوري، تعريب: د. إمام عبد الفتاح، مراجعة: د. فؤاد زكريا، نشر عالم المعرفة، الكويت، ١٩٧٨م.

٣٣٤. وحدة الوجود العقلية، تأليف: عبد الجبار الوائلي، دار النضال، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.

٣٣٥. الوحي والإنسان، قراءة معرفية، تأليف: محمد السيد الجليند، الناشر: دار قباء للطباعة والتشر والتوزيع، القاهرة.

٣٣٦. وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر.

٣٣٧. منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد، د. إبراهيم البريكان، ط دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٣٨. وهم الإله، للملحد ريتشارد دوكنز، ترجمة: بسام البغدادي، الطبعة العربية الثانية.

المجلات والدوريات:

٣٣٩. مجلة المجلة، الصادرة من لندن، بتاريخ السبت، ٨ فبراير، ٢٠١٤م.

٣٤٠. صحيفة الدستور الأردنية، في العدد الصادر يوم الأثنين ٢٢ يوليو- يوليه – تموز ٢٠١٣م.

٣٤١. جريدة المدينة، عدد: ٤٥٣٣، تاريخ ١٠/ ١/ ١٤٣٥هـ.

٣٤٢. مجلة المنار، منشأها: السيد محمد رشيد رضا، الجزء الثالث عشر، مصر، الطبعة الأولى، محرم ١٣٢٨هـ.

فهرس الموضوعات